

دار الفکر
لادارة الامانة

مجلس ائمة
الشيعة في العراق
والعراق

حقوق التبرك في بغداد من مكتبة ناعورة

تأليف

محمد خير رمضان يوسف

هذه المادة حصرية لـ
دار الفکر
الطبعة الثانية
الطبعة الاولى
الطبعة الثالثة

الطبعة الاولى
الطبعة الثانية
الطبعة الثالثة

يهدى ولا يباع

رقيق التراث

مختارات من كتب نادرة

محمد خير رمضان يوسف

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١١	الأذكياء، لابن الجوزي
٣٣	الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدى
٦١	بھجة المآالس وأنس المآالس وشحد الذاهن والهاآس، لابن عبد البرّ القرطبي
١٠١	التعازي والمرائي، للمبرّد
	حدائق الأزاهر في مستحسن الأآوبة والمضحكات والآكم والأمثال والنوادر، لابن عاصم الأندلسي والأصحاب
١٢١	الشكوى والعتاب وما وقع للآلان، للآعالي
١٥٧	طبائع النساء، لابن عبد ربه الأندلسي
١٦٩	الظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت، للآعالي
١٨١	مآالس العلماء، للزآاآي
١٩٩	المآننى، لابن دريد
٢١٥	المآسن والمساوى، للبيهمى
	مآضرات الأءباء ومآورات الشعراء والبلآاء، للراغب الأصبهاني
٢٦١	المآآار من الشّوار، للآكري
٢٩٩	آتاب المّعمرين، لأبي آاتم السآسآاني
٣٢١	النهآ المسلوك في سياسة الملوك، للشيزري
٣٣٧	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه رحلة جديدة إلى عالم التراث.
وجولة جديدة في كتبه النادرة.
بساتين ممتدة على طول التاريخ الإسلامي الحي.
فيها أنواع الشجر، وأصناف الثمر، وأشكال الزهر.
وفيها كُتبان مسكٍ يتضوّع طيباً.
وجداول ماء رقاق يحاكي خريزه همس المحبين!
وأرض حمراء منقوشة تندی حوافها تحت ظلال
أشجارها....
واستعرت جناحين من خيال، أحاكي بهما نحلة لا تهدأ،
تطوف بأشجار البستان وثمره، فلا تقف إلا على وردٍ أصفر
تعلوه حمرة، أو ثمرٍ ناضجٍ كاد أن يسقط من غصنه! ولا تشرب
إلا من أول النبع الذي لم يكدره طين الساقية.
ويتجمع رحيق لذيذ بعد هذه الجولة، تضعه هذه النحلة في
قمقم محكم الإغلاق، لتجنّب الهوام!
ونتيجة آثار الزمان... يتحول هذا الرحيق إلى مزبور ذي
غلافين داخل قَمَطَر، فيه ورقات قد نكتت جوانبها من آثار

ذلك البستان... ليستلقي بين يديك، مرهوناً بما فيه، وتنقل
فيه بعينيك، فتصادف فيه ما صادفته النحلة هناك...
وغلبتني النحلة ببعض حواسها فكانت تعرف الزهر الذي
سبق لها أن استفادت منه!

لكني كنت أضيع أحياناً في ذلك البستان الخالي من
الأسوار... وأذهب إلى بساتين مجاورة مشابهة... ثم أعود بعد
مدة لأقطف الزهرات نفسها ذات الألوان الخلابة!
ثم اختلطت عليّ الروائح الطيبة، فلم أميّز بعضها عن
بعض!

وشربتُ ماء كثيراً لعدوبته، حتى صار ينافس الرحيق
المصنوع!

وهكذا وجدتُ نفسي أسقط في جرّة عسل! وكدت أن
أفقد جناحيّ وقد عُمساً فيه..
وخرجت منه "معسولاً"!

وهذا حالي مع كتب التراث النادرة أيها القارئ العزيز..
فقد وجدتُ نفسي غارقاً في طيّات صفحاته، بعد أن
خضت لجُح بحاره! وشعرتُ أنني أكرر بعض الأخبار والحكم
والحكايات هنا وهناك.. وأقف عند بعضها فأتردد: هل ذكرتها

أم لا؟ وأين؟ وإذا أحجمتُ أحياناً عن إيراد بعضها خوفاً مما ذكرت، فإنني لم أتردد في إيراد غيرها إذا أهمني أمرها، وعلمتُ فائدتها للقارئ.

على أن الذي يمرُّ بي قد يكون من غير صنف الكتب النادرة التي أعرضها، فقد يكون قراءة من كتاب عارض تصفّحته، أو سبق لي قراءته منذ زمن، أو هو من كتب مخطوطة أحققها، أو مختارات أودعتها "الكشكول اللطيف"، أو أنني احتفظت بها لـ"مختارات" أخرى.

ولم تعد ثقتي بذاكرتي مثل "أيام زمان"، فإن ثقباً عديدة خرمتها.

وعلى هذا فقد يكون من الأفضل توقيف هذه السلسلة في رقم قريب، وإذا كُتب لها الاستمرار فسيكون - على الأغلب - لكتب ذات موضوعات متخصصة نادرة، والله أعلم.

* * *

وآثرت عدم كتابة مقدمة على نموذج ما كنت أقدمه للكتب السابقة من هذه السلسلة، هنا وفيما يأتي إن شاء الله، حيث لم تكن المقدمات السابقة سوى مدخل تشويقي، فيه بيان بالكتب المعروضة، وتعريف بمؤلفيها، ونموذج أو نموذجان من أخبارها النادرة. وهذا ما يجده القارئ في هامش أول كل

كتاب يُعرض. وقد يستغني القارئ عن ذلك المدخل التشويقي بعد أن عرف السلسلة ومنهجها... كما يرى قائمة بالكتب المعروضة في فهرس الكتاب... وفي أخباره وحكمه وحكاياته فوائد ولطائف وظرائف كافية للتشويق إن شاء الله.

وقد سبق تقديم ستة كتب من هذه السلسلة، وهي التي حملت العناوين التالية:

- جولة بين كتب غريبة.
 - كتب نادرة من التاريخ الإسلامي.
 - نوادر الكتب: غريبها وطريفها.
 - الغريب النادر من كتب التراث الإسلامي.
 - أسرار خزانة المكتبة التراثية: عرض مجموعة كتب نادرة.
 - الإبحار إلى أعماق التراث: عرض مجموعة كتب نادرة.
- أدعو الله تعالى أن ينفع بها، ويكتب لي الأجر والثواب، إنه كريم جواد.

محمدخير يوسف

الأذكياء (١)

لابن الجوزي

قال أبو بكر الأنباري: قولهم: فلان ذكي، معناه كامل

(١) الأذكياء / لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي؛ قام بضبطه وتصحيحه محمد محمود. - الرياض: المكتبة الأهلية، -١٣٨هـ، ٢٩٥ص.
قال المؤلف: أحببت أن أجمع كتاباً في أخبار الأذكياء الذين قويت فطنتهم وتوقد ذكاؤهم، لقوة جوهرية عقولهم، وفي ذلك ثلاثة أغراض:
أولها: معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.
والثاني: تلقيح ألباب السامعين إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة.
وقد ثبت أن رؤية العاقل ومخالطته تفيد ذا اللب، فسماع أخباره يقوم مقام رؤيته.. وقد قال المأمون: لا شيء أطيب من النظر في عقول الرجال.
والثالث: تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسّر عليه لحاقه.
وقد وزع المؤلف موضوعات كتابه على ثلاثة وثلاثين باباً.. منها: في بيان معنى الذهن والفهم والذكاء، العلامات التي يستدل بها على ذكاء الذكي، في سياق المنقول عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة، ثم عن الصحابة، والخلفاء والوزراء، والسلاطين والأمراء والحجاب والشرطة، والقضاة وكبار علماء هذه الأمة وفقهائها، وعن العباد والزهاد، وعلماء العربية، ثم من احتال بذكائه لبلوغ غرض، ومن احتال فانعكس عليه مقصوده، ومن وقع في آفة فتخلص بالحيلة منها، وفيمن غلب من العوام بذكائه كبار الرؤساء، أقوال وأفعال صدرت من أوساط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء، احترازات الأذكياء، من حيل المحاربين، فطن المتطبيين، فطن المتطفلين، فطن المتلصصين، فطن الصبيان، عقلاء المجانين، النساء المتفطنات، فيما ذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه ذكاء آدميين، ما ضربته العرب والحكماء مثلاً على ألسنة الحيوان.
وقد استبعدت كثيراً من الفقرات المناسبة عن هذا الكتاب، نظراً لأني أوردتها في عروض كتب سابقة. والله ولي التوفيق.

الفطنة تأمُّها، من قول العرب: قد ذكت النار: إذا تمَّ وقودها، ويقال: مسكٌ ذكي: إذا كان تامَّ الطَّيب. ويقال ذكيتُ الشاة: إذا أتممتُ ذبحها.

● قال الحكماء: الخُلُق المعتدل، والبنيةُ المتناسبة، دليلٌ على قوة العقل وجودة الفطنة، وإذا غلظت الرقبة دلَّت على قوة الدماغ ووفوره...

● يستدلُّ على عقل العاقل بسكوته، وسكونه، وخفض بصره، وحركاته في أماكنها اللائقة بها، ومراقبته للعواقب، فلا تستفزُّه شهوة عاجلةٌ عقباها ضرر، وتراه ينظر في القضاء فيتخيَّر الأعلى والأحمدَ عاقبة، من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعدُّ لما يجوز وقوعه.

● قال هشام بن عبد الملك لمؤدِّب ولده: إذا سمعتَ منه الكلمة العوراء في المجلس بين جماعة فلا تؤنِّبه لتخجله، وعسى أن ينصر خطأه فيكون نصره للخطأ أقبح من ابتدائه به، ولكن احفظها عليه، فإذا خلا فردَّه عنها.

● كان حسن اللؤلؤي يحدِّث المأمون - والمأمون يومئذ أمير - فنعس المأمون، فقال له اللؤلؤي: نمتَ أيها الأمير؟ فاستيقظ المأمون وقال: سوقِيَّ والله، يا غلام خذ بيده.

قال ابن الجوزي: وإنما قال ذلك لأن هؤلاء إنما يريدون الحديث ليناموا عليه، فكان إيقاظه غفلةً عمّا يُراد من الحديث وسوءَ أدب.

● عن سهل بن محمد السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمّال السلطان بالبصرة أبرع منه. فدخلتُ مسلماً عليه، فقال: يا سجستاني، من أعلمكم بالبصرة؟





فقلت: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنّا، والشاذكوني أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط.

فقال لكاتبه: إذا كان الغد فاجمعهم إليّ.

قال: فجمعنا وقال: أيكم المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنذا يرحمك الله. قال: هل يجزي في الظهر عتق عبدٍ أعور؟ فقال المازني: لستُ صاحبُ فقه، أنا صاحبُ عربية.

فقال: يا زيادي، كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعتها زوجها على الثلث من صداقها؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال الرأي!

قال: يا هلال، كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوبي.

قال: يا شاذكوبي، من قرأ    من قرأ  قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم أبي حاتم!.

فقال: يا أبا حاتم، كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة وما أصابهم في الثمرة وتسأله لهم النظر بالبصرة؟ قال: لستُ رحمك الله صاحب بدعة وكتابة، أنا صاحب قرآن.

قال: ما أقبح بالرجل يتعاطى بالعلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً، حتى إذا سُئل عن غيره لم يُجَلِّ فيه ولم يمرّ، لكن عاملنا بالكوفة الكسائي، لو سُئل عن هذا كلّه لأجاب!

● دخل على إياس بن معاوية ثلاث نسوة فقال: أما واحدة فمُرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيب.

ف قيل له: يمّ علمت؟ قال: أما المرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينها يميناً وشمالاً.

● جاء رجل إلى أبي حازم فقال له: إن الشيطان يأتيني

فيقول: إنك قد طلقت زوجتك، فيشككني، فقال له: أوليس قد طلقته؟ قال: لا. قال: ألم تأتي أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلا اليوم، ولا طلقته بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية!

● اختصم رجلان في شاة، وكلُّ واحد منهما قد أخذ بأذنها، فجاء رجل، فقالا: قد رضينا بحكمك! فقال: إن رضيتما بحكمي فليحلف كل واحد منكما بالطلاق أنه لا يرجع فيما أحكم به.

فحلفا، فقال: خلياها. فخلّياها، فأخذ بأذنها وساقها، فجعلا ينظران إليه ولا يقدران على كلامه!!

● قال بعضهم: كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم النخعي يقول: إذا سُئلت عن فقولوا: لا ندري أين هو، فإنكم إذا خرجتم لا تدرون أين أكون!

● قال محمد بن الحسن: دخل اللصوصُ على رجل فأخذوا متاعه، واستحلفوه بالطلاق ثلاثاً أن لا يُعْلِمَ أحداً. فأصبح الرجل وهو يرى اللصوصَ يبيعون متاعه ولا يقدر أن

يتكلم من أجل يمينه!

فجاء يشاور أبا حنيفة، فقال له: أحضر ناساً أمام حيّك. فأحضرهم، فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يردّ الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم. قال: فاجمعوا كل ذي فجور ومثّهم، فأدخلوهم في دار، ثم أخرجوا واحداً واحداً فقولوا له: هذا لصُّك؟ فإن كان ليس بلصّه قال إنه ليس هو، وإن كان لصّه فليسكت، فإن سكت فاقبضوا عليه.

ففعّلوا ما أمرهم به أبو حنيفة، فردّ الله عليه جميع ما سرق!

● وقال أبو حنيفة رحمه الله: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعه إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم، وقبضت القربة. ثم قلت: يا أعرابي، ما رأيك في السّويق؟ فقال: هات. فأعطيته سويقاً ملتوتاً بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ. ثم عطش فقال: شربة. قلت: بخمسة دراهم. فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء. فاسترددت الخمسة وبقي معي الماء!

● عطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمده الله. فقال له ابن المبارك: أيّ شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال: الحمد لله. قال: يرحمك الله.

● قال بعضهم: قال لي يزيد بن هارون: أنت أثقل عندي من نصف رحي. قلت: لم لم تقل من الرحي كله؟ قال: إذا الرحي كاملاً تدحرج، وإذا نصفاً لم يُرفع إلا بجهد!

● اشتكى أبو العيناء تأخر رزقه (راتبه) إلى عبد الله بن سليمان، فقال: ألم نكتب لك إلى فلان، فما فعل في أمرك؟ قال: إنه يؤخر ويماطل كثيراً. قال: أنت الذي اخترته. قال: وما عليّ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة، واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالكفار مرتداً، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري فحكم عليه!

● جاء رجلٌ إلى أبي الوفاء بن عقيل فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين أو ثلاثاً لا أتيقن أنه قد غمستني الماء ولا أني قد تطهّرت، فكيف أصنع؟ قال: لا تصل. قال: كيف قلت هذا؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رُفِعَ القلمُ عن ثلاث: عن الصبيّ حتى يبلغ، وعن النائم حتى ينتبه، وعن المجنون حتى يُفَيّق". ومن ينغمس في النهر مرةً أو مرتين أو ثلاثاً ويظنُّ أنه ما اغتسلَ فهو مجنون!.

● عن الشعبي قال: خرج عمرو بن معديكرب يوماً حتى انتهى إلى حيّ، فإذا بفرس مشدودٍ ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدّةٍ يقضي حاجته. فقال له: خذ حذرك فيني قاتلك. قال: ومن أنت؟ قال: عمرو بن معديكرب. قال: يا أبا ثور ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري.

فأعطاه عهداً أن لا يقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره. فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس. فقال له: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن كنت نكثت عهداً فأنت أعلم. فتركه ومضى. قال: فهذا أحييلٌ من رأيت.

● عن ابن الأعرابي: قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشربُ الحامض من اللبن ولا تتنحّج؟ فقال: نعم. فتجاعلاً جُعلاً، فلما شربه آذاه، فقال: كبشٌ أملح ونبتٌ أقبح وأنا فيه أسجح. فقال أخوه: قد تنحّجت. فقال: من تنحّج فلا أفلح!

● ولي أعرابي البحرين، فجمع يهودها وقال: ما تقولون في

● دعا أعرابي على عامل فقال: صبَّ الله عليك
الصادات. يعني الصفع والصرف والصلب!

● قال أبو بكر الخطاط: كان رجل خطه في غاية الرداءة،
فكان أصدقاؤه يعيونه بخطه ويقولون: لا يكون خطُّ أردأ من
خطك! فيضجر من عيبتهم إياه. فمرَّ يوماً بمجلد، فرأى عنده
كتاباً فيه خطُّ أردأ من خطه. فبالغ في ثمنه، فاشتراه بدينار
وقيراط، وجاء به ليحتجَّ عليهم إذا قرؤوه.

فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه، فقال لهم: قد
وجدت أقبح من خطي، وبالغتُ في ثمنه حتى أتخلصَ من
عيبتكم.

فأخرجه، فتصفَّحوه، وإذا في آخره اسمه، وأنه كتبه في
شبابه. فخجل من ذلك.

● كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال، فسئل
عن مسألة في مجلس الخليفة فقال: لا أدري. فقالوا له: تأخذ
في كلِّ شهر كذا وكذا ولا تُحسن مسألة؟

فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا
أحسن لفني بيت المال ولا يفني ما لا أحسن.

وقائدها!

● قال الصاحب بن عباد: خجلتُ من أبي الحسين
البهديني، فإنه كان في نفرٍ من جلسائي، فقلت له وقد أكثر
من أكل المشمش: لا تأكله فإنه يلطخ المعدة!
فقال: ما يعجبي من يطبُّ الناس على مائدته!

قال: وجئت مرة من دار السلطان وأنا ضجرٌ من أمر
عرض لي، فقال لي: من أين أقبلت؟ فقلت: من لعنة الله!
فقال: ردَّ الله غربتك. فأحسن إساءة الأدب.

● كان فتيان من قريش يرمون، فرمى منهم من وُلد أبي
بكر وطلحة فأصاب فقال: أنا ابن القرينين. فرمى آخر من ولد
عثمان فأصاب فقال: أنا ابن الشهيد، ورمى رجل من الموالي
فأصاب فقال: أنا ابنٌ من سجدت له الملائكة، فقالوا: من
هو؟ فقال: آدم.

● شكوا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس
أرزاقهم، فدخل على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن منادياً
نادى يا مفلس، ما بقي أحد من أصحابك إلا التفت!
فضحك، وأمر بصلة أرزاقهم.

- قال بعض الأدباء لصديق له: أنت والله بستان الدنيا.
فقال آخر: أنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان!
- قال يموت بن المززع: قال لي سهل بن صدقة يوماً وكان بيننا مداعبة: ضربك الله باسمك، فقلت له مسرعاً: أحوجك الله إلى اسم أبيك.
- قال رجل لبعض المياسير: وعدتني وعداً فأنجزهُ لي، فقال: ما أذكر هذا الوعد. فقال: صدقت، أنت لا تذكرهُ لأن من تعدُّ مثلي كثير، وأنا لا أنسى لأن من أسأله مثلك قليل. فقال: أحسنت. وقضى حاجته.
- أنت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعملُ بطاعة الله. فقال لها: نعم الزوج زوجك. فجعلت تكرر عليه القول، وهو يقرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعده إياها عن فراشه! فقال له عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: عليّ بزوجها.
- فأتي به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، قال: أفي طعام أو شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم أرشده ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبئده نهاره وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدت في فراشها وفي الحجل إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطوال وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها حقاً عليك يا رجل تصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثني
وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهنّ تعبد فيهنّ ربك، ولها
يوم وليلة.

فقال عمر: والله ما أدري من أيّ أمريك أعجب: أفمن
فهملك أمرهما، أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك قضاء
البصرة!

● قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى
مكة، فخرجت معه، فلما صرنا إلى مكان إذا أنا على شفير
الوادي بصبيّة قدّامها قصعة لها، وإذا هي تقول:

طحنتنا طواحنُ الأعوامِ ورمتنا نوائبُ الأيامِ
فأتيناكمو نمُدُّ أكفَّاً لفضالاتِ زادكم والطعامِ
فاطلبوا الأجرَ والمثوبةَ فينا أيها الزائرون بيتَ الحرامِ
من رأني فقد رأني ورحلي فارحموا غربي وذلَّ مقامي

قال: فرجعتُ إلى أمير المؤمنين، فقلت: صبيّة على شفير
الوادي، وأنشدته ما قالت. فعجب، قلت: يا أمير المؤمنين
أفأتيك بها؟ قال: لا، بل نحن نذهب إليها!

قال الأصمعي: فوقف عليها أمير المؤمنين، فقلت لها:
أنشديه ما كنتِ تقولينه. فأنشدته ولم تهبه. فقال: يا مسرور،
املاً قصعتها دنانير!

قال: فملاًها حتى فاضت يميناً وشمالاً!

● قال رجل لأعرابي: ما اسمك؟ فقال: فرات بن البحرين
الفياض. قال: فما كنيته؟ قال: أبو الغيث. قال: بأبي أنت،
ينبغي أن نُلقي فيك زورقاً وإلا غرقنا!

● قال سعيد بن مسلم لبعض جلسائه في بستانه: ما
أحسنَ هذا البستان!

قال: أنت أحسن منه، لأنه يؤتي أكله كلَّ عام مرة، وأنت
تؤتي أكلك كلَّ يوم.

● قال جعفر بن يحيى البرمكي لبعض ندمائه: أشتهي
والله أن أرى إنساناً تليقُ به النعمة!

فقال له الرجل: أنا أريك ذلك عياناً. فقال: هات. فأخذ
المرأة فقربها من وجهه!

● قال رجل لرجل: إن لطمتُك لكمة لأبلغنَّ بك المدينة!
فقال له: فأحبُّ أن تردفها بأخرى لعلَّ الله تعالى أن يرزقني
الحجَّ على يديك!

● قال رجل لرجل: بأي وجهٍ تلقاني وقد فعلتَ كذا وكذا؟
قال: بالوجه الذي ألقى به ربي عزَّ وجلَّ وذنوبي إليه أكثر
من ذنوبي إليك!

● دفن رجل مالا في مكان وترك عليه تراباً كثيراً، ثم ترك
فوق ذلك خرقة فيها عشرون ديناراً وترك عليها تراباً كثيراً،
ومضى. فلما احتاج إلى الذهب كشفَ عن العشرين فلم
يجدها، فكشفَ عن الباقي فوجده، فحمد الله على سلامة
ماله. ذلك أن الذي رآه ووجدَ العشرين فأخذها، لم يعتقد أن
هناك شيئاً آخر... وهذا ما كان قد خطَّط له صاحبه!

● قال بعضهم: خرجتُ في الليل للحاجة، فإذا أعمى على
عائقه جرَّة وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملاً

جرّته وانصرف راجعاً!

فقلت: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواء؟!!

فقال: يا فضولي، حملتها معي ليستضيءَ بها مثلك فلا يعثر بي في الظلمة، فيقع عليّ فيكسر جرّتي.

● وقعت حيّة على ابن المهلب فلم يدفعها عن نفسه!
فقال له أبوه: يا بني، ضيّعت العقل من حيث حفظت الشجاعة!

● قال رجل يذمُّ بخيلاً:

تحلّى بأسماء الشهور فكفّه جمادى وما ضمّت عليه المحرم

● سئل جحظة البرمكي عن دعوة حَضَرها فقال: كلُّ

شيء كان فيها بارداً إلا الماء!

● قال أبو جعفر الموسوي: دخلت على أبي نصر بن أبي

زيد وعنده رجل مبرم، فتأدّى بطول جلوسه وكثرة كلامه، فلما نهض قال لي أبو نصر: ابنُ عمِّك هذا خفيفٌ على "القلب"! فقلت: نعم. فقال: ما أظنُّك فهمت. ففكرت، فعلمتُ أنه أَرار خفيفاً "مقلوباً"! وهو "الثقيل". وهذا المعنى الذي أَراده أبو سعيد دوست:

وأثقل مني زائري وكأثما يُثَلَّب في أجفان عيني وفي قلبي
فقلتُ له لما برمتُ بقربه أراك على قلبي خفيفاً "على القلب"!

● حدّث سهل الخلاطي قال: بلغني أن محتالين سرقا
حماراً، ومضى أحدهما لبيعه، فلقية رجل معه طبقٌ فيه سمك،
فقال له: تبيع هذا الحمار؟ قال: نعم. قال: أمسك هذا الطبق
حتى أركبه وأنظر إليه. فدفَع إليه الطبق الذي فيه السمك، فركبه
ورجع، ثم ركبته ودخل زقاقاً، ففرَّ به، فلم يدر أين ذهب! فرجع
المحتال، فلقية رفيقه فقال: ما فعل الحمار؟ قال: بعناه بما
اشتريناه وربحنا هذا الطبق من السمك!

● قال عبيدالله ابن الخليفة المأمون: غضب المأمون على
أمي "أم موسى" فقصدني لذلك حتى كاد يتلفني، فقلت له
يوماً: يا أمير المؤمنين، إن كنت غضبان على ابنة عمك فعاقبها
بغيري، فإني منك قبلها، ولك دونها، قال: صدقت والله يا
عبيدالله، إنك مني قبلها، ولي دونها، والحمد لله الذي أظهر لي
هذا منك وبيّن لي هذا الفضل فيك، لا ترى والله بعد يومك
هذا مني سوءاً، ولا ترى إلا ما تحب.

فكان ذلك سبب رضاه عن أمي!

● قال رجل من أهل الشام: قدمت المدينة، فقصدتُ

منزل إبراهيم بن هرمة، فإذا بُنِيَّة له صغيرة تلعب بالطين، فقلتُ لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الأجواد فما لنا به علمٌ منذ مدة. فقلتُ: انحري لنا ناقة فإننا أضيافك. قالت: والله ما عندنا. قلت: شاة. قالت: والله ما عندنا. قلت: فدجاجة. قالت: والله ما عندنا. قلت: فيبضة. قالت: والله ما عندنا! قلت: فباطل ما قال أبوك:

كم ناقةٍ قد وجأت منحرها بمستهلِّ السُّبُوب أو جمل

قالت: فذاك الفعل من أبي هو الذي أصرارنا إلى أن ليس عندنا شيء!

● قال بشر بن الحارث المعروف ببشر الحافي: أتيت باب المعافى بن عمران، فدققت الباب، فقيل لي: من؟ قلت: بشر الحافي، قالت لي بنِيَّة من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسمُ الحافي!

● قال أبو محمد بن عجيف: مرَّ بي مجنون فقلت: يا مجنون! قال: وأنت عاقل؟ قلت: نعم! قال: كلا يا مجنون! ولكن جنوبي مكشوفٌ وجنونك مستور. قلت: فبيّر لي. قال: أنا أحرقتُ الثيابَ وأرجم، وأنت تعمّر داراً لا بقاء لها، وتطيلُ أملك وما حياتك بيدك، وتعصي وليك وتطيع عدوك!

● قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: ما ورد عليّ مثل امرأة، تقدّمت فقالت: أيها القاضي، ابن عمّي زوّجني من هذا ولم أعلم، فلما علمت رددتُ. فقلت لها: ومتى زُددتِ؟ قالت: وقت ما علمتُ. قلت: ومتى علمتِ؟ قال: وقت ما زُددتِ!
فما رأيتُ مثلها!

● خاصمت امرأة زوجها في تضيقه عليها وعلى نفسه فقالت: والله ما يقيمُ الفأر في بيتك إلا لحبِّ الوطن، وإلا فهو يسترزق من بيوتِ الجيران!

● بكت عجوّزٌ على ميت، فقيل لها: بماذا استحقّ هذا منك؟

فقالت: جاورنا وما فينا إلا من تحلُّ له الصدقة، ومات وما منّا إلا من تجبُّ عليه الزكاة!

● قال ابن خلف: حدثني بعض أصدقائي قال: دخلتُ بستاناً ومعني كلبان لي قد ريتهما، فمتمتُ، فإذا هما ينبحان، فانتبهت، فلم أرَ شيئاً أنكره. فعادوا النبح، فضربتهما ونمت. فإذا بهما يحركان بأيديهما وأرجلهما كما يوقظ النائم، فانتبهت فإذا أفعى أسود قد قرب مني. فوثبت، فقتلته، فكانا سبب سلامتي!

● قال بعض الصيادين: ربما رأيتُ العصفور على حائط فأومئ بيدي فكأنني أرميه فلا يطير، فأومئ بيدي إلى الأرض كأنني أتناول شيئاً فلا يتحرك. فإن مسستُ بيدي حصاةً طار قبل أن تتمكن منها يدي!

● النملة والذرة تدخر في الصيف للشتاء، ثم تخاف على المدخر من الحبوب العفن، فتخرجه فتشره ليضربه الهواء، وربما اختارت ذلك في ليالي القمر، لأنها فيه أبصر. فإن كان مكانها ندياً وخافت أن تنبت نقرت وسط الحبة كأنها تعلم أنها تنبت من ذلك المكان، فتجعلها نصفين. فإن كانت كزبرة جعلتها أربع قطع، لأن أنصاف الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب! فهي من هذا الوجه مجاوزة الفطنة جميع الحيوان!

● من الحيات ما يغمس ذنبه في الرمل وينتصب قائماً نصف النهار في شدة الحر، فيجيء الطائر فيكره الوقوف على الرمل لحره، فيقع على رأس الحية على أنها عود، فتقبض عليه!

● تقول العرب: أَّحَدَّرُ من غراب. ويقولون: قال الغراب لابنه: إذا رُميت فتلَوَّ. قال: يا أبتى إني أتلَوَّى قبل أن أرمى!

● كان رجل في صحراء، فعرض له الأسد، فهرب منه، فوقع في بئر. فوقع الأسد خلفه، فإذا في البئر دب! فقال له الأسد: منذ كم أنت هاهنا؟ قال: منذ أيام، وقد قتلتني الجوع!

فقال الأسد: أنا وأنت نأكل هذا الرجل فنشبع. فقال الدبّ:
فإذا عاودنا الجوع فما نصنع؟ وإنما الرأي أن نخلف له أننا لا
نؤذيه ليحتال لخلصنا وخلصه، فإنه أقدر على الحيلة منا.
فحلفا له، فأخذ في التحيُّل، فلاح له ضوء، فنقب، فخرج
به إلى الفضاء، فتخلص وخلصهما!

* * *

الإمتاع والمؤانسة^(١)

لأبي حيان التوحيدي

● قال معاوية بن أبي سفيان لأبي بكر بن عبد الرحمن بن

(١) الإمتاع والمؤانسة / تأليف أبي حيان التوحيدي؛ صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين، أحمد الزين. - بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ٣ ج.

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى، حاضر بها المؤلف الوزير أبا عبد الله العارض، وزير صمصام الدولة البويهى سبعمائة وثلاثين ليلة، كان يحدثه فيها، وي طرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة، فيجيب عنها أبو حيان... ثم دوتها، وزاد في تهذيبها وتنقيحها.

وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعاً ظريفاً، لا تخضع لترتيب ولا تبويب، إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث، حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن: فإدب، وفلسفة، وحيوان، ومجون، وأخلاق، وطبيعة، وبلاغة، وتفسير، وحديث، وغناء، ولغة، وسياسة، وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه، وتصوير للعادات وأحاديث المجالس، وغير ذلك.

وقسمه إلى ليال، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني، وقلت له وأجبتة، وكان الذي يقترح الموضوع دائماً هو الوزير، وأبو حيان يجيب عما اقترح، وكان يقترح أولاً موضوعاً حسبما اتفق وينتظر الإجابة، فإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته أفكاراً ومسائل عند الوزير، فيستطرد إليها ويسأله عنها.

والمؤلف يقال له فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، أصيب في حياته بالبؤس والشقاء، وظل حياته يجاهد ويكافح في التأليف واحتراف الوراقة والنسخ وجوب الأقطار، يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافؤون علمه وأدبه، فلم يحظ من كل بطائل... وقد سبق القول فيه عند عرض كتابه: البصائر والذخائر. ووفاته نحو ٤٠٠ هـ.

الحارث - ورآه لا يلي له عملاً، ولم يقبل منه نائلاً - : يا ابن أخي، هي الدنيا، فإما أن ترضع معنا، وإما أن ترتدع عنا.

● قال عمر بن عبدالعزيز، أمير المؤمنين، رحمه الله: والله إني لأشتري المحادثة من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود^(١) بألف دينار من بيت مال المسلمين!

ف قيل: يا أمير المؤمنين، أتقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك وتنزهك؟!

فقال: أين يُذهبُ بكم؟! والله إني لأعود برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف دنانير، إن في المحادثة تلقيحاً للعقول، وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهَمِّ، وتنقيحاً للأدب.

● قال ابن سيف - الكاتب الراوية - : رأيتُ جحظة^(٢) قد دعا بِنَاءً ليبي له حائطاً فحضر، فلما أمسى طلب البِنَاءَ الأجرة، فتشاحاً في الأجرة، وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً، فقال جحظة: إنما عملتُ يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهماً؟!

(١) هو أحد الفقهاء السبعة، كان إماماً عالماً، وكان أعمى، ت ٩٩هـ.

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي، الشاعر، من ظرفاء عصره، وكان صاحب فنون ونوادير. ت ٣٢٦هـ.

قال: أنت لا تدري، إني قد بنيتُ لك حائطاً يبقى مائة

سنة!

فبينما هما كذلك إذ سقط الحائط!

فقال لحظة: هذا عملك الحسن؟

قال: فهل تريد أن يبقى ألف سنة؟!

قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك!

● يسير عيب الجليل يقدر فيه، وصغير الذنب يكبر منه.

وقيل في هذا المعنى:

العيبُ في الرجل المذكور مذکورُ والعيبُ في الحامل المستور مستورُ

● قيل لأبي مسلم الخراساني: أي الناس وجدتم أشجع؟

قال: كل قوم في إقبال دولتهم شجعان.

● قل بعض الحكماء: خذ من الخنزير بُكوره في الحوائج،

ومن الكلب نُصحه لأهله، ومن الهرة لطفَ نفسها عند
المسألة.

● يحكى أن الحيوان الذي أسنانه قليلة عمره قصير،

والذي أسنانه كثيرة عمره طويل؟

● قلب جميع الحيوان موضوع في الوسط من الصدر ما

خلا الإنسان، فإن قلبه مائل إلى الجانب الأيسر.

- المرأة إذا احتبس طمئتها ربما خرج لها شعرٌ يسير في موضع اللحية.
- للأرانب في داخل أشداقها شعر، وكذلك تحت أرجلها.
- الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء، والنساء في الصيف!
- جُرِّب من إناث الطير أنها إذا لم تجلس على البيض تمرض!
- الفاختة^(١) تعيش أربعين عاماً، والحجل^(٢) يعيش عشرين عاماً.
- الحجل تعمل عشَّين، يجلس الذكر على واحد، والأنثى على واحد.
- الطاووس يعيش خمساً وعشرين سنة، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه. ويبيض في كلِّ سنة مرة واحدة، ويحضن بيضه ثلاثين يوماً أو أكثر. وعدد بيضه اثنتا عشرة بيضة. ويُلقي ريشه في زمن الخريف وبعده قليلاً، وذلك حين يُلقى

(١) الفاختة ضرب من الحمام المطوق.

(٢) الحجل طائر على قدر الحمام كالقطا، أحمر المنقار والرجلين.

الشجر ورقه، فإذا بدا أول الشجر وظهرت فروعها ونبت ورقه،
بدأ ريشه ينبت!

- الجمل الذكر يكره قُرب الفرس، ويقاتله إذا تمكَّن منه.
- الشاةُ إن مُطرت بعد نَزْوِها انتقض حملُها.
- الحياتُ رَغْبَةٌ هَمَّةٌ، قليلة شرب الماء، لأنها لا تضبط
أنفسها، وإذا شمت الشراب تشتاق إليه جداً.
- الأسد إذا بال رفعَ رجله كما يرفع الكلب.
- البقر تشتهي شربَ الماء الصافي النقي، والخيل على
الضد، فإنها تشرب مثلَ الجمال الماء الكدر الغليظ.
- السمك الذي يأوي إلى الشطوط من ناحية البرِّ ألدُّ من
الذي يأوي اللُّجج.
- أكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكَلْبِه على
الرعي وطلب الطُّعم.
- الداء الذي يقال له الكَلْب يَعْرِضُ للجمال أيضاً، فإذا
كَلَبَ الجمل بَحَرَ ولم يؤكل لحمه.
- إناثُ الكلاب السلوقية أسرعُ إلى الأدب من الذكور.

- جميع أجناس الحيوان إناثها أقل جرأة وأجزع، ما خلا الذئبة، فإنها أصعب حُلُقاً وأجرأ من الذكور.
- بين العنكبوت وبين الحِرْدُون^(١) شرّ، لأن الحردون يأكل العنكبوت.
- عصفور الشوك يقاتل الحمار، لأن الحمار إذا مرّ بالشوك أفسد عُشّه، فإذا نحق بالقرب منه وقع بيضه، وإن كان فيه فراخ خرجت منه، فلهذه العلة يطير هذا العصفور حول الحمار وينقره!
- الغراب يعادي الثورَ والحمارَ وينقرهما.
- والحية تعادي الخنزير وابن عرس، لأنهما يأكلان الحية حيث وجداهما!
- الخيل إذا ضلّت الأنتى منها أو هلكت ولها ولد، فإن إناث الخيل ترضعه وتربيته، وذلك أن جنس الخيل في طباعها حُبُّ أولادها.
- الأيِّلة تُصَاد بالصفير والغناء، ويفعل ذلك رجلاان،

(١) الحردون: دوية شبيهة بالضب، وقيل: ذكر الضب.

أحدهما يغني ويصفر، والأخر يرشقها بالسهم، فلاصغائها إلى
الصفير والغناء لا تحذر السهام!

● اللقالق إذا خرجت من قتال بعضها بعضاً تضع على
الجرح سعتراً برياً!

● إذا دنا الصياد من عش القُبج (الكروان) تخرج الأنثى
من بين يديه وتطمعه في صيدها حتى تهرب فراخها، ثم تطيرُ
وتدعو فراخها إليها.

وإنث الكروان تبيضُ خمس عشرة بيضة، والذكر منها
يطلب موضعَ بيض أنثاه فيدحرجه مخافة أن تقعد عليه وتشتغل
عنه، فيفسده، وهي تحتال أبداً في الهرب منه وتُخفي موضع
عشها، فتبيضُ في أماكن خفية، ومتى قصدها قامت عنه
وأطمعت في نفسها حتى تبعد عن أماكن بيضها، فإذا بعد
طارت، ثم احتالت في الرجوع إليه!

● الهدهد يعمل عشّه من زبل الإنسان، فلذلك رائحته
كريبة!

● الأسد عظامه جاسية جداً، وإن دلكت بعض عظامه
ببعض خرجت منها نار كما تخرج من الحجارة!

● ليس في قلوب جميع الحيوان عظمٌ إلا في الخيل، وفي

جنسٍ من البقر، فإن في قلب هذين عظماً دون غيرهما من الحيوان.

● كلُّ حيوان له قلب كبير يكون جزوعاً.

● ذكور البغال لا تشمُّ أبوال إناثها كسائر ذوات الحوافر.

● إذا قارب الزرع أن يسنبِل، دخل الثعلب فيه وتمعَّك فرحاً به، فيفسد ذلك الزرع، ولذلك سُمِّي احتراق الشَّعر: داء الثعلب - أي الثعلبة - لأنه يُسقطه كما يُذهب ورقَّ السنبلَة والشوكة.

● القنفذ يعمد إلى الكرمة فيحركها فيقع منها العنب، فيتمرغ فيه حتى يملأ شوكة ويعود إلى عشِّه، فإذا بصرت به جراؤه أطافت به تلتقط ذلك الحبَّ من شوكة وتأكله!

● ليس من السباع شيء صلبه عظم واحدٌ بلا حَرَز إلا الأسدُّ والضبع.

● جميع السباع والدوابِّ عند المشي تقدِّم اليدَ اليمنى والرجل اليسرى.

● لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء.

- الجاموس لا ينام أصلاً وإن أرخى عينيه إرخاء يسيراً، لكنه ساهر الليل والنهار.
- الأفعى إذا جامعها الذكر، تحوّلت إليه، فإن ظفرت به أكلت رأسه من شدة عشقها له!
- ذو الرّهو ثلاثة: الفرس والديك والطاووس.
- ذو حدّة السمع ثلاثة: الذئب والحمار والخلد^(١).
- محبّ الظلمة ثلاثة: البوم والخفاش والخلد.
- القرد أهياً الحيوان لقبول التعليم، وهو لعوب غضوب سريع الحسّ. لا يكون في بلد كثير السباع. عدوّ لجميع الحيوان، نهوش خطوف، إلا أنه إذا شبع نام في غاره ثلاثة أيام، فإذا خرج صاح بصوت عالٍ تخرج منه رائحة طيبة، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته!
- السّمندل^(٢) دابّة لا تخاف من النار، لأنها لا تحرقها، وإن دخلت أهدوداً متأججاً مضطرباً بالنار لم تحفل بذلك، بل تستلذّ التقلب فيها استلذاذ القلب بالهواء البسيط وأرواحه

(١) الخلد: دويبة تحت الأرض، وهي ضرب من الجرذان.

(٢) دابة دون التعلب، خلنجية اللون، حمراء العين، ذات ذنب طويل، وقيل: طائر.

الطيبة. ونضارة جلدها وتنقيته بالنار، فيزدادُ حسن اللون!

● ليس في الحيوان أشدُّ حباً لصاحبه من الكلب، فإن أشار له على صيد وثب ناصباً رأسه، رافعاً ذنبه، مستعداً كالفارس البطل والشجاع النجد، مع نشاطه في الطلب، وهو يعلم أن الصيد ليس بحاضر، لكن ذلك منه حُسن طاعة.

أما حبُّ بعض جراء الكلب لبعضٍ إذا كان أخاه لأم ولأب، فمما قد عُهد وشوهد، وذلك أنه حيث كان يُطرح لها الطعام في الوسط، فلا يخطف واحد منها ذلك، لكنها تتعاطاه بينها بسكون، وتمكين بعضها لبعض، غير مستأثرة به ولا محاربة عليه.

● بين البوم والغراب عداوة ما تنقضي.

● النعام لا يُعول أفراخه إلا أياماً يسيرة، ثم يدفعها ويطردها من عنده، إنكاراً لها!

● من الطير ما يُلَفِّح من هبوب الرياح، لا يحتاج إلى تزواج ولا إلى سفاد!

● إن رأت الحية إنساناً عرياناً استحيت منه ولم تقربه! وإن رآته كاسياً حملت عليه بجرأة شديدة.

● من عادة بنات عرس أن يسرق ما وجد من حُلِي

الذهب والفضة، ويخبؤه في حجره، فإن وجد أيضاً في البيت حبوباً خلط بعضها ببعض، كأن عمله عملُ الطباخين في خلط التوابل!

● الخلد غير ذي عينين، دائم الحفر في غير نفع، وطعامه من أصول النبت وعروقه الذاهبة في الأرض، فهو يصيب ذلك في خلال حفره.

● الزامور حوت صغير الجسم، إلفٌ لأصوات الناس، مستأنس باستماعها، ولذلك يصحب السفن متلذذاً بأصوات الناس، فإذا رأى الحوتَ الأعظم يريد الاحتكاك بالسفينة وكسرها، وثب الزامور ودخل أذنه، فلا يزال زامراً فيها حتى يفرَّ الحوت إلى الساحل يطلب خزفاً أو صخرة، فإذا أصاب ذلك لا يزال يضرب به رأسه حتى يموت!

وركاب السفينة يحبونه ويطعمونه ويتفقدونه، ليدوم إلفه لهم وصحبته لسفينتهم، وليسلموا به من ضرر السمك العادي. وإذا ألقوا شبكة ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور خلَّوه حياً وأخذوه، وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء!

● قال فيثاغورس: إن كثيراً من الناس يرون العمى الذي يعرض لعين البدن فتأباه أنفسهم، فأما عمى عين النفس فإنهم

لا يروونه ولا تأباه أنفسهم، فلذلك لا يستحيون!

● قال ريوجانس: من القبيح أن يكون الملاح لا يُطلق سفينته في كلِّ ربح، ونحن نطلق أنفسنا في غير بحثٍ ولا اختبار.

● سأل رجل آخر أن يُقرضه مالاً، فوعده ثم غدر به! فلامه الناس، فقال: لأنَّ يحمَّر وجهي مرة أحبُّ إليَّ من أن يصفَّر مراراً كثيرة^(١)!

● قيل لأسطفانس: من صديقك؟ قال: الذي إذا صرْتُ إليه في حاجة وجدته أشدَّ مسارعة إلى قضائها مني إلى طلبها.

● قيل لفيلسوف: ما بال المريض إذا داواه الطبيب ودخل عليه فرح به وقبل منه وكافأه عن ذلك، والجاهل لا يفعل ذلك بالعالم إذا علَّمه وبَيَّن له؟

فقال: لأنَّ المريض عالم بما عند الطبيب، وليس الجاهل كذلك، لأنه لا يعلم ما عند العالم.

● قيل للإسكندر: أي شيء أنت به أسرّ؟

● قال: قوّتي على مكافأة من أحسن إليَّ بأحسن من

(١) قلت: قد يكون هذا لمن عرف بالمماطلة وتأخير السداد بدون عذر، وإلا فإنَّ القرض فيه أجر كبير.. ما لم يجرَّ نفعاً.

إحسانه.

- قال أفلاطون: موت الرؤساء أصلح من رئاسة السُّفلة.
- قيل لأرسطوطاليس: إن فلاناً عاقل. قال: إذاً لا يفرح بالدينيا!
- قال ديوجانس: ينبغي للإنسان أن ينظر في المرأة، فإن كان وجهه حسناً استقبح أن يضيفَ إليه فعلاً قبيحاً، وإن كان وجهه قبيحاً امتعضَ أن يضيفَ قبيحاً إلى قبيحٍ حتى يتضاعف القبحُ.
- وعد رجل بعض إخوانه أن يُهدي إليه بغلاً، فطال مطله، فأخذ قارورة وبال فيها، وجاء إلى الطبيب وقال: انظر إلى هذا الماء، هل يُهدي إليّ بعض إخواني بغلاً؟!
- لكلِّ امرئٍ من دنياه ما يُعينه على عمارة أخراه.
- لا تُفرط، فتسقط.
- من سأل ما لا يجب، أُجيب بما لا يجب.
- قيل للحسن بن علي - رضي الله عنهما - لما صالح معاوية: يا عار المؤمنين فقال: العارُ خيرٌ من النار.
- نظر الحجاج يوماً على المائدة إلى رجل وجأً عنق رجل

آخر، فدعا بهما، فقال للواجي: علامَ صنعت؟ قال: غَصَّ بعظم، فخفتُ أن يقتله، فوجأت عنقه فألقاه. فسأل الآخر فقال: صدق. فدعا بالطباخ فقال له: أتدعُ العظام في طعامك حتى يغصَّ بها؟ فقال: إن الطعام كثير، وربما وقع العظم في المرق فلا يُزال. قال: تصبُّ المرق على المناخل، فكان يفعل.

● قال بعض الحكماء: لا يصبر على المروءة إلا ذو طبيعة كريمة.

● دخل بعضهم على مريض به حرارة شديدة فقال: ليس له دواء إلا الموت، حتى تقلَّ حرارة صدره، ثم حينئذ يعالج بالأدوية الباردة!

● قال ابن المبارك: إذا وُضع الطعام فقد أُذن للأكل.

● قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: إن العرب لا تصلحُ ببلاد لا تصلح بها الإبل.

● دعا بعضهم فقال: اللهم إني أعوذ بك من سلطان جائر، ونديم فاجر، وصديق غادر، وغريم ماكر، وقريب محارب، وشريك خائن، وولدٍ جاف، وجارٍ ملاحظ، ورفيق كسلان، و خليل و سنان، و زوجة مبذرة، و دار ضيقة.

● قيل للأوزاعي: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه.

● قال إبراهيم بن الجنيد: كان يُقال: أربع للشريف لا

ينبغي أن يأنف منهن وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه،
وخدمته لضيفه، وخدمته للعالم يتعلم منه، وإن سُئل عمّا لا
يعلم أن يقول: لا أعلم.

● قال بعض السلف الصالح: لأن أجمع إخواني على صاعٍ
من طعام أحب إليّ من عتق رقبة.

● الحاجة ذلٌّ والغنى عزٌّ، والعزُّ ضدُّ الذلِّ، فمن طلب
العزَّ في العاجلة فقد طلب الذلَّ وهو لا يدري، ومن طلب العزَّ
في الآجلة فقد وجد العزَّ وهو لا يدري.

● رأى أبو هريرة رجلاً مع آخر فقال: من هذا الذي
معك؟ قال: أبي. قال: فلا تمشِ أمامه، ولا تجلس قبله، ولا
تدعه باسمه، ولا تستسبِّ له^(١).

● قال هشام بن سالم - وكان مسنّاً من رهط ذي الرّمّة -
: أكلت حيّةً بيضَ مُكّاء^(٢)، فجعل المكّاء يرفرفُ على رأسها
ويدنو منها، حتى إذا فتحت فهاها تريده وهمت به، ألقى فيها
حسكة، فأخذت بحلقها حتى ماتت!

وقال الأسدي:

(١) أي لا تعرّضه للسبِّ، بأن تسبَّ أحداً بأبيه فيسبِّ الآخر أباك.

(٢) المكّاء: طائر أبيض يصقّر ويصبح في الرياض.

إن كنت أبصرتني فُلاً ومصطلماً فرمما قتل المكاء ثعباناً^(١)

● قال شداد بن حكيم لبعض الواعظين: أي شيء تقول إذا جلست على المنبر؟

قال: أذكّرهم آلاء الله ليشكروا، وأذكّرهم جفائهم ليتوبوا، وأخبرهم عن إبليس وأعوانه حتى يحذروا.

● قال بعض السلف: من استقصى عيوب الناس بقي بلا أصدقاء.

● يقال: إن عبداً حبشياً ناوله مولاه شيئاً يأكله، وقال: أعطني قطعة منه. فأعطاه. فلما أكله وجدته مرراً، فقال: يا غلام، كيف أكلت هذا مع شدة مرارته؟

قال: يا مولاي، قد أكلت من يدك حلواً كثيراً، ولم أحب أن أريك من نفسي كراهة لمرارته!

● قال لقمان الحكيم: إن الذهب يُجرب بالنار، وإن المؤمن يُجرب بالبلاء.

● قال الأوزاعي: المؤمن يقلُّ الكلام ويكثر العمل، والمنافق يكثر الكلام ويقلُّ العمل.

● قال الفضيل بن عياض: الخوف - ما دام الرجل

(١) الفلّ من الناس: الفرد الذي لا أحد له. والمصطلم: من الاصطلام، وهو الاستئصال.

صحيحاً – أفضل، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

● قيل لابن المبارك: إنك لتحفظ نفسك من الغيبة؟

قال: لو كنت مغتاباً أحداً لا غتبتُ والدي، لأنهما أحقُّ

بحسناتي.

● قال بعض الصالحين: لو أن رجلاً تعشى بألوان الطعام

وقد أصاب من النساء في الليل، ورجلاً آخر رأى في المنام على

مثال ما أصاب الأول في اليقظة، فإذا مضيا صار الحالم والآخر

سواء^(١)!

● قال شقيق البلخي: من أبصر ثواب الشدة لم يتمنَّ

الخروج منها!

● قال بعض الصالحين: إن العلماء يسقون الناس،

فبعضهم من العُدران والحياض، وبعضهم من العيون والقُلُب،

وبعضهم من البحار الواسعة.

● قال مالك بن دينار: إني لا أقدر أن أعمل بجميع ما

أقول.

● قال وهيب بن الورد: مثل عالم السوء كمثل الحجر يقع

في الساقية، فلا هو يشرب الماء، ولا يُجَلِّي عن الماء فيذهب إلى

(١) قلت: وهما ومن لم يحلم صاروا سواء!

الشجرة!

- قال سفیان الثوري: نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر، وفتنة القائد الجاهل.
- قال أبو مسلم الخولاني: العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش به الناس، ورجل عاش بعلمه ولم يعيش به الناس، ورجل عاش بعلمه الناس وهلك هو!
- قال يحيى بن معاذ: في القلب عيون يهيج منها الخير والشر.
- قال إبراهيم بن جنيد: اتَّخَذُ مَرَاتِينَ، وانظر في إحداهما عيب نفسك، وفي الأخرى محاسن الناس.
- وقال يحيى بن معاذ: الدنيا دار خراب، وأخربُ منها قلبُ من يَعْمُرُها. والآخرة دار عُمران، وأعمُرُ منها قلبُ من يعمرها.
- وقال أيضاً: الدنيا خمر الشيطان، فمن سكر منها لم يُفِقْ إلا في مسكنِ النادمين.
- قال إبراهيم بن أدهم: سألتُ راهباً: من أين تأكل؟ قال: ليس هذا العلم عندي، ولكن سلّ ربي من أين يطعمني.

- وقف أعرابي على مجلس الأخفش، فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه، فحار وعجب وأطرق ووسوس، فقال له الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا!
- من ضاق صدره اتسع لسانه.
- من أطاع هواه أعطى عدوه مئاه.
- لو سكت مَنْ لا يعلم سقط الاختلاف.
- من أحبَّ أن يُطاع لا يسأل ما لا يُستطاع.
- إذا غلبتك نفسك بما تظن فاغلبها بما تستيقن.
- أقدر الناس على الجواب من لا يغضب.
- إذا تمّ العقل نقص الكلام.
- كانت "نهاية" جارية ابن المغني إذا اندفعت بشدوها:

أستودع الله في بغداد لي قمرًا بالكرخ من فلك الأزرار مطلعُهُ
ودعته وبودي لو يودّني صفو الحياة وأني لا أودّعه

طرب لها "ابن فهم" أيما طرب، وضرب بنفسه الأرض،
وتمرّع في التراب، وهاج وأزبد، وتعفّر شعره، وهات من رجالك
من يضبطه ويُمسكه، ومن يجسر على الدنوّ منه، فإنه يعضُّ
بنابه، ويخمش بظفره، ويركل برجله، ويخرق المرقعة قطعة قطعة،

ويلاطم وجهه ألفَ لكمة في ساعة، ويخرج في العبءة كأنه
عبدالرزاق المجنون..!

● كتب مجنون إلى مجنون: بسم الله الرحمن الرحيم.
حفظك الله، وأبقاك الله، كتبتُ إليك ودجلة تطغى، وسفنُ
الموصل ها هي، وما يزداد الصبيان إلا شرّاً، ولا الحجارة إلا
كثرة، فأياك والمرق فإنه شرُّ حطام الدنيا، ولا تَبِتْ إلا وعند
رأسك حجر أو حجران.. وكتبتُ إليك لثلاثَ عشرة وأربعين
ليلة خلت من عاشوراء سنة الكمأة!

● قيل لأعرابي: ما حدُّ الشَّبَعِ؟ قال: أما عندكم يا حاضرة
فلا أدري، وأما عندنا في البادية فما وجدتِ العين، وامتدَّت
إليه اليد، ودارَ عليه الضرس، وأساعه الحلق، وانتفخ به البطن،
واستدارت عليه الحوايا، واستغاثت منه المعدة، وتقوّست منه
الأضلاع، والتوت عليه المصارين، وخيفَ منه الموت!

● وقيل ليمني: ما حدُّ الشَّبَعِ؟ قال: أن يُحشَى حتى
يُحشَى!

● وقيل لتركي: ما حدُّ الشَّبَعِ؟ قال: أن تأكل حتى تدنوَ
من الموت!

● وقيل لسمرقندي: ما حدُّ الشَّبَعِ؟ قال: إذا جحظت

عيناك، وبكم لسانك، وثقلت حركتك، وارجحن بدنك، وزال عقلك، فأنت في أوائل الشبع.

قيل له: إذا كان هذا أوله فما آخره؟ قال: أن تنشقَّ نصفين!

● وقيل لجمّال: ما حدّ الشبع؟ قال: أنا أواصل الأكل فما أعرف الحدّ، ولو كنت أنتهي لوصفتُ الحال فيه!

● أبو الأسود الدؤلي يعدُّ في الشعراء، والتابعين، والمحدّثين، والبخلاء، والمفاليج، والنحويين، والفُضاة، والعرج، والمعلمين!

● كان مسلم بن قتيبة لا يجلس لحوائج الناس حتى يشبع من الطعام الطيب، ويروى من الماء البارد، ويقول: إن الجائع ضيق الصدر، فقير النفس، والشبعان واسع الصدر، غني النفس(١).

● قيل لأعرابي: لو كنت خليفة كيف كنت تصنع؟ قال: كنت أستكفي شريف كل قوم ناحيته، ثم أخلو بالمطبخ فأمر الطهاة فيعظمون الثريدة، ويكثر العُراق(١)،

(١) جمع عرق، وهو العظم الذي أخذ أكثر ما عليه من اللحم، وبقي عليه شيء يسير.

فأبدأ فأكل لُقماً، ثم آذن للناس. فأَيُّ ضياع يكون بعد هذا؟!
● قال سفيان الثوري: إني لألقى الرجل فيقول لي: مرحباً،
فيلين له قلبي، فكيف بمن أطأ بساطه، وأكل ثريده، وأزدردُ
عصيده؟

● أتى رجل أبا هريرة رضي الله عنه فقال: إني كنت
صائماً، فدخلت بيت أبي، فوجدت طعاماً، فنسيته فأكلت؟
قال: الله أطعمك. قال: ثم دخلت بيتاً آخر، فوجدت أهله قد
حلبوا، فسقوني، فنسيته فشربت؟ فقال: يا بني هَوِّنْ عليك،
فإنك قلماً اعتدت الصيام!

● بشرت امرأة زوجها بأن ابنها منه قد نبت ثغره، فقال:
أتبشرينني بعدوِّ الخبز؟ اذهبي إلى أهلك!

● قُدِّمَ إلى أبي العيناء يوماً قِدر، فوجدها كثيرة العظام،
فقال: هذه قدر أم قبر؟!
● قال حكيم: ينبغي أن لا يُعطى البخيل أكثر من قوته،
لِيُحَكِّمَ عليه بمثل ما حكم به على نفسه!

● قال الشاعر:

- أفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً (١)
 أفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْحَةٌ يَرْحُهَا ثُمَّ يَنَامُ الْفَحَّةَ (٢)
 أفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَلَّةً (٣)
 أفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَقَةٌ وَنَشْفَةٌ يَمَلَأُ مِنْهَا كَفَّهُ (٤)
 أفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيدَهُ (٥)

● قال ابن الجصاص الصوفي: دخلتُ على أحمد بن رُوْح الأهوَزي فقال: ما تقول في صَحْفَةِ أرز مطبوخ، فيها نَهْرٌ من سمن، على حافاتها كَثْبَانٌ من السكر المنخول؟
 فدمعت عيني! فقال: ما لك؟ قلت: أبكي شوقاً إليه!
 جعلنا الله وإياك من الواردين بالغواصة والردّادتين.
 فقال لي: ما الغواصة والردّادتان؟ قلت: الغواصة الإبهام، والردّادتان السبابة والوسطى! فقال: أحسنت، بارك الله عليك.
 ● قيل لحاتم الأصم: بمَ رُزقت الحكمة؟

- (١) القوصرة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر.
 (٢) المِرْحَةُ: الزوجة. والفَحَّة: نومة الغداة.
 (٣) الدَوْخَلَةُ: وعاء من خوص يوضع فيه التمر والرطب. والمَلَّة: المِرَّة.
 (٤) الهِرْشَقَةُ: خرقة ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تعصر في الإناء، وإنما يفعل ذلك إذا قلَّ الماء. والنَشْفَةُ: خرقة تُنْشَفُ بها اليد.
 (٥) الكِرْدِيدَةُ: القطعة العظيمة من التمر. وهو ثَانٌ جيد: أي وهو في راحة ودعة.

قال: بخلاوة البطن، وسخاوة النفس، ومكابدة الليل.

● قال المؤلف: جرى حديث الذكور والإناث، فقال الوزير: قد شَرَّفَ الله الإناث بتقديم ذكرهنَّ في قوله عزَّ وجلَّ:  (١)

فقلت: في هذا نظر. فقال: ما هو؟ قلت: قدَّم الإناث - كما قلت - ولكن نكَّر، وأخَّر الذكور ولكن عرَّف. والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم.

ثم قال: هذا حسن. قلت: ولم يترك هذا أيضاً حتى قال:  ↑ فجمع الجنسيتين بالتنكير مع تقديم الذَّكران. فقال: هذا مستوفى.

(١) سورة الشورى، الآية ٤٩.

● سمع عمر منشداً يُنشد:

ما ساسنا مثلك يا ابن الخطاب أبرَّ بالأقصى وبالأصحاب

بعد النبي صاحب الكتاب

فخنسه عمر وقال: أين أبو بكر ويلك!؟

● قال الحاتمي: عشر كلمات جاءت وعينها عين، ولاؤها

واو، هي: البَعُو وهو الجِنَاية، والجَعُو وهو الطين، والدَّعُو مصدر دعا دَعَوْاً، والسَّعُو: الشمع، والشَّعُو: هو انتفاش الشعر، والصَّعُو: الرجل الضعيف، والقَعُو: من البَكْرَة، واللَّعُو: الحريص، والمعْو: الجِنِّي من الرطب، والنَّعُو: الشَّقُّ في مِشَقَّر البعير.

● من غريب ما جرى أن (أسودَ الرُّبْد) كان عبداً يأوي

إلى قنطرة الرُّبْد، ويلتقط النوى، ويستطعم من حضر ذلك المكان بلهو ولعب، وهو عريان لا يتوارى إلا بخرقه. ولا يؤبه له، ولا يبالي به. ومضى على هذا دهر. ولما وقعت الفتنة، وخشا الهَرَج والمَرَج، ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله. طلب سيفاً وشحذه، ونهب وأغار وسلب، وظهر منه شيطانٌ في صورة إنسان! وصَبَّح وجهه، وعَذب لفظه، وحسَّن جسمه، وعُشِق وعَشِق، والأيام تأتي بالغرائب والعجائب. فلما دُعي قائداً، وأطاعه رجال، وأعطاهم

وفّر فيهم، وطلب الرئاسة عليهم، صار جانبه لا يُرام، وجماهُ لا يُضام... ثم صار في جانب أبي أحمد الموسوي وجماه، ثم سيره إلى الشام فهلك بها..

● الكذبُ لا خيرَ فيه، ولا حلاوةَ لراويه، ولا قبول عند سامعيه.

● قال حاطب بن أبي بلتعة: بعثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المقدوقس ملك الإسكندرية، فأتيته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبلغته رسالته، فضحك ثم قال: كتب إليّ صاحبك أن أتبعه على دينه، فما يمنعه - إن كان نبياً - أن يدعو الله أن يسلط عليّ البحر فيغرقني فيكتفي مؤونتي ويأخذ ملكي؟ قلت: فما صنع عيسى إذ أخذته اليهود فربطوه في جبل وحلقوا وسط رأسه، وجعلوا عليه إكليل شوك، وحملوا خشبته التي صلبوه عليها على عنقه، ثم أخرجوه وهو يبكي حتى نصبوه على الخشبة، ثم طعنوه حياً بحربة حتى مات، هذا على زعمكم، فما منعه أن يسأل الله فينجيه ويهلكهم فيكفي مؤونتهم ويظهر هو وأصحابه عليهم؟ وما منع يحيى بن زكريا حين سألت امرأة الملك الملك أن يقتله، فقتله، وبعث برأسه إليها حتى وُضع بين يديها، أن يسأل الله تعالى أن ينجيه

ويُهْلِكُ الناسَ؟ فأقبلَ عليَّ جُلُستائه وقال: إنه والله لحكيم، وما يخرج الحكيمُ إلا من عند الحكماء!

● قال القاضي أبو حامد المرزُورُودي: أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عندهم أن بغداد أطيب من البصرة، وأنا اليوم في كلامي معهم كما كنت في أول كلامي لهم، وكذلك حالهم معي، فهذا هذا! انظر إلى "فضل" و"مرعوش" - وهما من سقطِ الناس وسفلتهم - كيف لهج الناس بهما وبالتعصب لهما، حتى صار جميع مَنْ ببغداد إما مرعوشياً وإما فضلياً!

ولقد اجتاز ابنُ معروف - وهو على قضاء القضاة بباب الطاق - فتعلق بعض هؤلاء المُتجان بلجام بغلته، وقال: أيها القاضي، عرّفنا، أنت مرعوشي أم فضلي؟ فتحيّر، وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفه والفتنة، وأن التخلص بالجواب الرقيق أجدى عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة، فالتفت إلى الحرّاني - وكان معه وهو من الشهود - فقال: يا أبا القاسم، نحن في محلّة مَنْ؟ قال: في محلّة مرعوش، فقال ابن معروف: كذلك نحن - عافاك الله - من أصحاب محلّتنا لا نختار على اختيارهم، ولا نتميّز فيهم. فقال العيّار: امشِ أيها القاضي في ستر الله، مثلك من تعصّب للجيران!

* * *

بهجة المُجالس وأنس المُجالس

وشحذ الذاهن الهاجس^(١)

لابن عبد البرّ القرطبي

قال المبرّد: الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدّثه

(١) بهجة المُجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي مراجعة عبدالقادر القط. - القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٢هـ، ٢ مج - (تراثنا)
الكتاب نادر نفيس، موسوعة في الآداب والأخبار، ساقه المؤلف من حفظه كله!

من أبوابه العديدة: أدب المجالسة وحقّ الجليس الصالح، مزدوج الكلام، ترويح القلوب وتنبهها، وصف العيش ومما تتمناه النفس، الحرص والأمل، انتظار الفرج، السفر والاعتراب، المصافحة وتقبيل اليد والفم، الهدية، الشكر، الشكر، طلب الحاجات، الرجاء والخوف، العافية والبلاء، المرء والخصومة والملاحاة، التواضع والإنصاف، أشعار الجبناء، المواعيد، المُلح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح، الحياء والوقار، المروءة والفتوة، امتحان أخلاق الرجال، التودد إلى الناس، الاستيحاء من الناس والفرار منهم، الشماتة، البكاء على ما مضى من الأزمان، الأمثال السائرة في النساء، النوم والكسل، الوصايا الموجزة، لمع من الدعاء، من كلام المختصرين.

والمؤلف إمام حافظ فقيه، درس على علماء قرطبة وأعلامها، ذكر الإمام الذهبي أنه حافظ المغرب في زمانه، وقال: "كان إماماً ديناً، ثقة، متقناً، علامة، متبحراً، صاحب سنّة واتباع. وكان أولاً ظاهرياً فيما قيل، ثم تحول مالكيّاً مع ميل بيّن إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا يُنكر له ذلك، فإنه ممن بلغ رتبة المجتهدين، ومن نظر في مصنّفاته بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن".

ومن مؤلفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاستذكار في شرح مذاهب الأمصار، الكافي في فروع المالكيين، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله... توفي بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣هـ.

ناظرةً إليك فاعلم أنه يُحسن الاستماع.

● قال ابن عباس رضي الله عنهما: أعزُّ الناس عليَّ جليسي الذي يتخطَّى الناس إليّ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشقُّ عليّ!

● جلس رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: جلستَ إلينا على حين قيام، أفتأذن؟

● كان يقال: إياك وكلَّ جليس لا تصيب منه خيراً.

● قال ابن شبرمة لابنه: يا بني إياك وطول المجالسة، فإن الأسدَ إنما يجترئ عليها من أدام النظر إليها!

● من سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدِّره إلى تمام ما ابتداء به خيراً كان أو شعراً، تتمُّ له البيت الذي بدأ به، تريه أنك أحفظ له منه، فهذا غايةٌ في سوء المجالسة، بل يجب أن تُصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

● قيل لبعضهم: صحبتَ الأمير فلاناً إلى اليمن، فما وَّلاك؟ قال: قفاه!

● قيل لأعرابية من بني عامر: لقد أحسنتِ العزاء على ابنك.

قالت: إن فقدته أيأسني من المصائب بعده.

● ونُعِي إلى أعرابية ابنٌ لها فقالت: لقد نعيموه كريمة

الجدّين، ضحوكاً إذا أقبل، كسوباً إذا أدبر، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد.

● اشتكى عبدالله بن صفوان ضرسه، فأتاه رجل يعودُه وقال: ما بك؟ قال: وجعُ الضرس، فقال: أما علمت ما يقول إبليس؟ قال: لا. قال: يقول: دواؤه الكسر! قال: إنما يُطيع إبليس أولياؤه!

● قال مسكين الدارمي:

إنما الفُحش ومن يعتاده كغراب البين ما شاء نَعَقُ
أو حمارِ السوء إن أمسكته رَمَحَ النَّاسَ وإن جاعَ نَهَقُ
أو غلامِ السوء إن جَوَّعْتَهُ سَرَقَ الجارَ وإن يشبَعُ فسَقُ

● وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمحَّ أذنه كلامي، وقدّم لنفسه معاذةً من سوء مقامي، فإن البلادَ مجدبة، والحالَ مسغبة، والحياةَ زاجرٍ يمنع من كلامكم، والفقيرَ يدعو إلى إخباركم، والدعاءَ أحدُ الصدقتين، فرحم الله امرءاً أمر بخير.

ف قيل له: من أنت؟ قال: اللهم اغفر، سوءَ الاكتساب يمنعني من الانتساب!

● قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لذّة العيش ظفرك بمن

تحبُّ بعد امتناع، ولذَّةٌ لا توجب عليك إثمًا، وحقُّ وافق هوى.

● قيل لرقبة بن مصقلة: أنت بعيد الدار من المسجد،
وتنصرف بلا مؤنس؟

قال: إني حين أخرج من المسجد أبتدىء أمنية، فما تنقضي
حتى أدخل المنزل!

● قال الحجاج الحُرِّيم بن خليفة المرِّي: ما العيش؟

قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش.
قال: زدني.

قال: والشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش.
قال: زدني.

قال: والصحة، فإني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش.
قال: زدني.

قال: لا أجد مزيداً!

● قال بعضهم:

ليت شعري وأين مني ليتُ إن ليثاً وإنَّ لَوّاً عناءُ

● قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عجباً للتاجر

كيف يسلم؟ إن باع مدح، وإن اشترى دم!

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: من اشترى ما لا يحتاج إليه، يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه!
- قال المؤلف: الرزق رزقان: فرزق تطلبه، ورزق يأتيك عفواً!
- قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: ما الذلُّ إلا في الطمع.

- قال أبو دلف العجلي:
بلوثُ مرارةِ الأشياءِ طرّاً فما شيءُ أمرٌ من السؤالِ
ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ هولاً وأصعبَ من معاداةِ الرجالِ
- قال الشاعر الواعظ محمود الوراق:

شاد الملوكُ قصورهم وتحصَّنوا من كلِّ طالبٍ حاجةٍ أو راغبٍ
فاطلب إلى ملكِ الملوكِ ولا تكن بادي الضراعةِ طالباً من طالبٍ

● وقال أيضاً:

بخلتُ وليس البخلُ مني سجيَّةً ولكن رأيتُ الفقرَ شرَّ سبيلٍ
لموتِ الفتى خيرٌ من البخلِ للفتى وللبخلِ خيرٌ من سؤالِ بخيلٍ

● يروى لأبي محجن الثقفي:

إذا اشتدَّ عُسرُ فارحٍ يُسرّاً فإنه قضى الله أن العسرَ يتبعه اليسرُ

- قال الإمام الحسن البصري: لكل أمة وثن يعبدونه،
وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم.
 - قال إبراهيم النخعي: إنما أهلك الناس فضول الكلام،
وفضول المال!
 - قال جعفر بن محمد رحمهما الله: من نقله الله من ذلّ
المعصية إلى عزّ الطاعة أغناه بلا مال، وآنسه بلا أنيس، وأعزّه
بلا عشيرة!
 - قال محمود الوراق:
- ولم أرَ مثل الفقر أوضع للفتى ولم أرَ مثل المال أرفع للتدليل
- كان يُقال: حرية المسلم كرامته، ودُّله دينه، وعذابه سوء
خُلُقه!
 - قيل لأعرابي: أين منزلك؟ قال: بحيث ينزل الغيث!
 - قال بعض العقلاء: أعرف بيتاً قد بيّت أكثر من مائة
ألف رجل في المساجد، وفي غير أوطانهم، وهو:
- فيسر في بلاد الله والتمس الغنى تعشّ ذا يسارٍ أو تموت فتُعدرا
- أنشد الأصمعي لحاجب الفيل اليشكري:

لَمَّا رَأَتْ بَنِيَّ بِأَيْ مِزْمَعٍ بَتَرَحُّلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمَوَدِّعٍ
ورأت ركابي قُرَيْبَتٍ لِرِحَالِهَا قالت وَغَرِبُ الْعَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعُ
أَبْتَا أَتْرَكْنَا وَتَذَهَبُ تَائِهًا فِي الْأَرْضِ تَخْفُضُكَ الْبِلَادُ وَتَرْفَعُ
فِيضِيعِ صَبِيَّتِكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ بِمَضِيمَةٍ فِي الْمِصْرِ لَمْ يَتْرَعِرْ
فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ
إِنَّا سَنَرْضَى مَا أَقَمْتَ بَعِيشَنَا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجْوَعُ وَنَشْبَعُ
وَاللَّهِ يَرْزُقُنَا فَنَرْضَى رِزْقَهُ وَكَفَى بِحَسَنِ مَعِيشَةٍ مَنْ يَفْنَعُ
إِنَّا إِذَا غَبَتْنَا عَنْكَ لَمْ نَجِدْ مَا تَخَلَّفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ

● قيل لبعضهم: أيُّ سفرٍ أطول؟

فقال: من كان في طلب صاحبٍ يرضاه، أو درهمٍ حلالٍ
يكسبه!

● وقال آخر:

ما من غريبٍ وإن أبدى تجلُّدَهُ إلا سيذكر بعد الغربةِ الوطنَا

● وقال غيره:

خَلِّطُ فَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ تَخْلِيْطُ وَالنَّاسُ صَنْفَانُ: مَحْرُومٌ وَمَغْبُوطُ
وَلَا تَقُمْ بِبِلَادٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالرِّزْقُ مَبْسُوطُ

● قال المدائني: سقط عبدالله بن شبرمة القاضي عن
دابته، فأصيب في رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل - الشاعرُ
الهمجاء - عائداً له ومادحاً، وكان جاره، فأنشده:

أقول غداة أتانا الخبيرُ ودسَّ أحاديثه هينمةً^(١)
لكَ الويلُ من مخبرٍ ما تقولُ أين لي وعَدِّ عن الجمجمة
فقال خرجتُ وقاضي القضاة منفكةً رجلاه مؤلمة
فقلت وضقتُ عليَّ البلادُ وخفتُ المُجَلَّةَ المعظمة
فغزوانُ حرٌّ وأمُّ الوليدِ إن الله عاقبني أبا شبرمة
جزاءً لمعروفه عندنا وما عتقني عبدٌ له أو أمه

قال: وفي المجلس جازاً ليحيى بن نوفل، يعرف ما في منزله،
فلما خرج تبعه، فقال له: يا أبا معمر! رحمك الله، من غزوان
وأم الوليد؟ قال: سنوران في البيت، فاستر علي!

● قال خارجة بن زيد النحوي: دخلت على محمد بن
سيرين بيته زائراً له، فوجدته جالساً بالأرض، فألقى إليَّ وسادة،
فقلت له: إني قد رضيتُ لِنَفْسِي ما رضيتَ لِنَفْسِكَ. فقال: إني
لا أرضى لك في بيتي ما أرضى به لِنَفْسِي، واجلس حيث
تؤمر!

● كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجوادُ له حجابٌ فما فضلُ الجوادِ على البخيل؟

فأجابه عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ ولم يُعَدَّرْ تعلُّلُ بالحجاب!

(١) الهينة: الصوت الخفي.

- قال أبو عوانة: قلت للأعمش: يا أبا محمد، إن عندي بطة سمينة، أفتكون عندي في الدار؟ قال: وما تصنع بعنائي للحضور عندك؟ ابعث بها إلى الدار!
- أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه وردة، وسهماً، وديناراً، ودرهماً، وكتب إليه:
لا زلت كالوردِ نضيرِ المبسمِ ونافذاً مثل نفوذِ الأسهمِ
في عزِّ دينارٍ ونُجْحِ درهمِ
- قال كعب الأحمدي: قرأت فيما أنزل الله على بعض أنبيائه: الهدية تفقأ عين الحكيم!
- كان يقال: الحسدُ في الجيران، والعداوةُ في الأقارب!
- وكان يقال: ليس من حسنِ الجوار تركُ الأذى، ولكنه الصبرُ على الأذى.
- قيل للأوزاعي: رجلٌ قدَّم إلى ضيفه الكامخَ والزيتون وعنده اللحمُ والعسلُ والسمنُ؟
فقال: هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر^(١).

(١) قلت: يعني أنه بذلك لم يكرم جاره. والكامخ مخللات.

● ذمّ أعرابي رجلاً فقال: كان سمين المال، مهزول المعروف!

● قال المهلب: عجبْتُ لمن يشتري الممالك بماله، ولا يشتري الأحرارَ بمعرفه!

● وقال: ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام، فأكرم حُرّاً تملكه!
● وقال محمود الوراق:

فكرتُ في المال وفي جمعه فكان ما يبقى هو الفاني
وكان ما أنفقْتُ في أوجهِ البرِّ بمعروفٍ وإحسانِ
هو الذي يبقى وأجزى به يوم يُجازى كلُّ إنسانِ
ومن فساد العُزفِ إحصاؤه وذكُّـرُه في كلِّ إبانِ

● قيل لسعيد بن جبير: المجوسي يوليني خيراً أفأشكره؟
قال: نعم.

● قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ذكرُ النعمة شكر.
● وقال الشاعر:

إذا أنا لم أعرفُ لذي الفضل فضله ولم أَلْمُ الخِيبَ اللئيمَ المِذْمَا
ففيهمَ عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمه وشقَّ لي اللهُ المسامعَ والفما؟

● كانت هند بنت المهلب تقول: إذا رأيتم النعمة
مستدبرةً فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال!

● قال منصور الفقيه:

من قال لا في حاجةٍ مطلوبيةٍ فما ظلم
وإنما الظالم مَنْ يقول لا بعد نَعْم

● كان يقال: شرُّ الأمراء أبعدهم من العلماء، وشرُّ

العلماء أقربهم من الأمراء!

● من أقوال الفرس: مثل الملك الذي يأخذُ أموال رعيته

ويجحف بهم، مثل من يأخذُ الطين من أصول حيطانه، فيطين
به سطوحه، فيوشك أن تقع عليه البيوت!

● لما أراد عمرو بن العاص المسيرَ إلى مصر، قال له

معاوية: إني أريد أن أوصيك. قال: أجل فأوص. قال: انظر
فاقة الأحرار فاعمل في سُدِّها، وطغيان السفلة فاعمل في
قمعها، واستوحش من الكريم الجائع، واللئيم الشبعان، فإنما
يصولُ الكريم إذا جاع، واللئيمُ إذا شبع.

● قال ابن شبرمة: من أكل من حلوائهم - يعني الحكّام

- انحطَّ في أهوائهم.

● قال بعض الحكماء: من زال عن أبصار الملوك زال عن

قلوبهم!

● كان يقال: ليس شيءٌ أحسنَ عند الله من حِلْمِ إمامٍ ورأفته.

● صعد عبد الملك بن مروان المنبر فقال في خطبته: يا معشرَ رعيتنا، سألتمونا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر، ولكن نسأل الله أن يعين كلاً على كلِّ.

● تعرَّض رجل للحسن بن سهل، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي أحسنتَ إليَّ عام كذا. فقال الحسن: مرحباً بمن توسَّل إلينا بنا!

● ريحُ السلطان على قوم سموم، وعلى قوم نسيم!

● قال مطرّف: لا تنظر إلى خفضِ عيشِ الملوك، ولكن انظر إلى سرعة رحيلهم، وسوء منقلبهم!

● لا رجمَ بين الملوك وبين أحد!

● قال بعضهم:

ألا إن خير العفو عفوٌ معجَّلٌ وشرُّ العقاب ما يُجأز به القُدْرُ

● قال علي بن الحسين: ما صاحبُ البلاء الذي قد طال به، أحقُّ بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

● قال محمد بن سيرين: كنا بساباط المدائن، فمرّ بي رجل، فقيل لي: هذا حجّام كسرى. فدعوته، فقلت له: أنت حجمت كسرى؟ قال: نعم. قلت: وكم حجّمته؟ قال: واحدة. قلت: ولم اقتصر على واحدة؟ قال: كان يقول: آخذ من الدواء أدناه، فإن كان نافعاً أخذت من نفعه، وإن كان ضاراً لم أكن استكثرت من ضرره.

● قال أبو حاتم: أربح التجارة ذكر الله، وأخسر التجارة ذكر الناس.

● وقال الفضيل بن عياض: ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.

● قال الإمام الحسن البصري: ليس أحدٌ من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد، ومن لم يُجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء.

● كان يُقال: أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج، وبالحكام الضجر، وبالفقهاء السخافة...، وبالعلماء إفراط الحرص، وبالمقاتلة الجبن، وبالأغنياء البخل، وبالفقراء الكبر، وبالشباب الكسل، وبالشيوخ المزاح، وبجماعة الناس التباغض والحسد.

● قال خلف الأحمر:

لنا صاحبٌ مولعٌ بالخلافِ كثيرُ الخطاءِ قليلُ الصوابِ
ألجُّ لجاجاً من الخنفساءِ وأزهى إذا ما مشى من غرابِ

- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن من التواضع الرضا بالدُّون من شرف المجلس، وأن تسلّم على من لقيت.
- قال لقمان لابنه: يا بنيّ تواضع للحقِّ تكن أعقلَ الناسِ.

● قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ليس الذي يقول الحقَّ ويفعله بأفضلَ من الذي يسمعه فيقبله.

- قيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألفٌ وفينا حازمٌ واحد، ونحن نشاوره ونطيعه، فصرنا ألف حازم.

● مرَّ حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس فقال: لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر.

فقال: يا حارثة أجل، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع، والعطشان حتى ينقع، والأسير حتى يُطلق، والمُضلل حتى يجد، والراغب حتى يُمنح.

● قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما نزلت بي قطُّ عظيمة فأبرمتها حتى أشاورَ عشراً من قريش مرتين، فإن أصبت

كان الحظُّ لي دونهم، وإن أخطأتُ لم أرجع على نفسي بلائمة.

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن معديكرب: أخبرني عن السلاح؟ قال: سل عما شئت. قال: الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك. قال: النبل؟ قال: منايا تخطئ وتصيب. قال: الترس؟ قال: ذلك المَجْنُ وعليه تدورُ الدوائر. قال: الدِّرْع؟ قال: مشغلة للرجال متعبة للفرس، وإنما لحصن حصين. قال: السيف؟ قال: قارعتك أمُّك على الثكل. قال عمر: بل أمُّك. قال: أخبرني عن الحرب؟ قال: مُرَّة المذاق، إذا قَلَصْتَ عن ساق، من صبر لها عُرف، ومن ضعفَ عنها تَلَف، وهي كما قال الشاعر:

الحربُ أولُ ما تكونُ فتيةً تسعى بزيتها لكلِّ جهول
حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرائها عادت عجوزاً غيرَ ذاتِ خليل
شمطاء جرَّت رأسها وتكرَّت مكروهةً للشمِّ والتقييل

● كان معاوية رضي الله عنه يتمثل بهذين البيتين:

كأن الجبانَ يرى أنه سيقتل قبل انقضاء الأجل
وقد تدرك الحادثات الجبان ويسلم منها الشجاع البطل

● قال الأحنف: إذا اعتذر إليك معتذر فلتلقه بالبشر.

● قال بعضهم:

وما كنتُ أخشى أن تُرى لي زلَّةٌ ولكنَّ قضاءَ الله ما عنه مهربٌ
إذا اعتذرَ الجاني محَا العذرُ ذنبه وكلُّ امرئٍ لا يقبلُ العذرَ مذنبٌ

● اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيدالله بن يسار - وزير المهدي -
فأساء الاعتذار، فقال أبو عبيدالله: ما رأيتَ اعتذاراً أشبه
باستئنافِ ذنبٍ من هذا!

● قال بعضهم:

لا ترجُ توبةَ مذنبٍ خلطَ احتجاجاً باعتذارٍ

● فرَّ عبدالله بن مطيع الكعبي يوم الحرَّة، وسار إلى ابن
الزبير، فلما قوتل ابن الزبير جعل يجتهد معه في القتال ويقول:
أنا الذي فررت يوم الحرَّة والحُرُّ لا يفرُّ إلا مرَّةً
فاليوم أجزي فرَّةً بكَّره يا حبَّذا الكرَّة بعد الفرَّة

● قال الأحنف بن قيس: أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم
حياءً من الفرار.

● قال المثني بن حارثة الشيباني: لأنَّ أموتَ عطشاً أحبُّ
إليَّ من أن أخلف موعداً.

● من كلام يحيى بن خالد البرمكي: "لا" الكريم أنجح من
"نعم" اللئيم، لأنَّ "لا" الكريم ربما كانت في وقت غضبٍ وإبان

سامة، و"نعم" اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نية وقبح مآل.

● قال الحكماء: من خاف الكذب أقلّ المواعيد.

● وقالوا: أمران لا يسلمان من الكذب: كثرة المواعيد،
وشدة الاعتذار.

● قال علي بن حسين: إذا قال فيك رجل ما لا يعلم من
الخير، أو شك أن يقول فيك ما يعلم من الشر!

● ذمّ خالد بن صفوان رجلاً فقال: ليس له صديق في
السرّ، ولا عدوّ في العلانية!

● وقال آخر ذاماً:

لو كنت برداً كنت زمهريراً أو كنت ريحاً كنت الدبوراً
أو كنت ماءً لم تكن طهوراً أو كنت غيماً لم تكن مطيراً

أو كنت مَخّاً كنت مَخّاً ريراً^(١)

● كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله:
أما بعد، فإن العقل المفرد لا يقوى به على أمر العامة، ولا
يكتفى به في أمر الخاصّة، فأحي عقلك بعلم العلماء والأشرف
من أهل التجارب والمروءات، والسلام.

● استعمل معاوية رجلاً من كلب، فذكر الجوس يوماً

(١) المخ الرير: الذائب أو الرقيق.

فقال: لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم، والله لو أُعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحتُ أمي!

فبلغ ذلك معاوية فقال: قَبَّحه الله! أترونه لو زيدَ فعل؟!

● قال طحطاح لابنه يوماً: ما الذي تشتتهيهِ؟ قال: رأسي كبش.

فقال له أبوه لا يكونُ للكبش رأسان، قال: فرأس كبشين! فضحك منه!

● سلّم رجل على يساره في الصلاة، فقبل له في ذلك فقال: كان على يميني إنسانٌ لا أكلمه!

● قطع قوم الطريق، ففُدِّموا لضرب أعناقهم، فقام منهم واحد وقال: الله الله فيّ، فوالله ما كنتُ في شيء مما كانوا فيه، وإنما كنت أشرب معهم وأغني لهم. فقالوا: هاتِ فغنّ لنا، فأرتجت عليه الأشعار إلا قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي
فقالوا: صدق، اضربوا عنقه.

● قيل لبعضهم: أما تتقي الله، تؤذي جيرانك؟! قال: فمن أؤذي إذًا؟ أؤذي من لا أعرفه؟!

● كان يقال: كَفَى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة!

● قال بعضهم:

لا يكذبُ المرءُ إلا من مهانتِهِ أو عادةِ السوءِ أو من قَلَّةِ الأدبِ

● لما استخلف أبو بكر عمر قال لمعيقب الدوسي^(١): ما

يقول الناس في استخلافي عمر؟ قال: كرهه قومٌ ورضيه آخرون.

قال: الذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه؟ قال: بل الذين كرهوه.

قال: إن الحقَّ يبدو كريهاً، وله تكون العاقبة، والعاقبةُ للتعوى.

● قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان على الحقِّ فهو

جماعةً وإن كان وحده.

● وقال غيره: الحقُّ ثقيل، وطلابه قليل.

● وقال آخر: الحقُّ كثير، والقائلون به يسير.

● كان يقال: من ساء حُلُقُه قلَّ صديقه.

● خطب ثلاثة إخوة من العرب إلى عمِّهم ثلاث بنات

له، فقال: مرحباً بكم، لا أذمُّ عهدكم، ولا أستطيعُ ردَّكم،

خبِّروني عن مكارم الأخلاق. فقال الأكبر: الصونُ للعرض،

(١) كان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعمله أبو بكر وعمر

على بيت المال، ت ٤٠هـ.

أتيت عمراً سَحَراً فقال إني صائمٌ
فقلت إني قاعدٌ فقال إني قائمٌ
فقلت آتيك غداً فقال صومي دائمٌ

● وقال جحظة البرمكي:

دخلتُ على باخلٍ بالطعام فمات من الخوف لما دخلتُ
فقلت له لا يُرْعِكِ الدخول فما جئتُ بيتك حتى أكلتُ

● وقال آخر:

إن كنتَ تطمَعُ في كلامه فارفعِ يمينك عن طعامه
سيِّان كسُرٍ رغيْفه أو كسُرِ عظيمٍ من عظامه

● سئل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن البخل فقال:

هو أن يرى الرجل ما ينفعه تلفاً، وما أمسكه شرفاً!

● قال منصور الفقيه:

أعلنَ وهبٌ كرمه في وصله من صرمة
وعفوه عن كلِّ من أسخطه أو ظلمه
وبسره بنفسه وماله من حرمه
فما يراه مُعْظِمْ للحقِّ إلا أعظمه
أبقى عليه الله ما أبقاه فينا نعمة
وزاد فيها عنده وحاطه وسلمه

● سئل الأحنف عن المروءة فقال: التفقه في الدين، وبرُّ

الوالدين، والصبرُ على النوائب.

● قال إبراهيم النخعي: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق.

● قال ربيعة بن عبد الرحمن: للسفر مروءة، وللحضر مروءة، فالمروءة في السفر: بذلُّ الزاد، وقلَّةُ الخلاف على الأصحاب، وكثرةُ المزاح في غير مسأخِطِ الله. والمروءة في الحضر: إيمانُ الاختلاف إلى المساجد، وتلاوةُ القرآن، وكثرةُ الإخوان في الله عزَّ وجلَّ.

● قال عليُّ بن أبي طالب: خالطِ المؤمنَ بقلبك، وخالطِ الفاجرَ بخلِّقك.

● قال الأحنف بن قيس: ما كشفتُ أحداً إلا وجدتَه دون ما كنتُ أظن.

● قال بعضهم:

لا تمدنَّ امرءاً حتى تجرِّبه ولا تدمنَّه من غير تجريبٍ

● وقال آخر:

سبكناه ونحسبه لجيناً فأبدي الكيرُ عن حَبِثِ الحديدِ

● قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلَّهم بالبشر؟ قال: دفعُ

ضعيفة بأيسر مؤونة، واكتساب إخوانٍ بأيسر مبدل!

● قال أعرابي يمدح رجلاً:

أخ لك ما تراه الدهر إلا على العلات بساماً جوادا
سألناه الجزيل فما تلگنا وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عُدنا فأحسن ثم عدت له فعادا
مراراً ما أعودُ إليه إلا تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

● قال المنصور لإسحاق العقيلي: ما بقي من لذتك؟

قال: أخ أشتهي معه طول السهر، ودابة أشتهي معها طول
السفر.

● قال علي رضي الله عنه: اصحب من ينسى معروفه

عندك، ويذكر حقوقك عليه.

● قال بعضهم متشائماً:

يا غارساً شجر الكرو م بجهله وسط السباخ
ومحزناً بيض القطا تحت الحدا لرجا الفراخ
إن الـذين تـوـدُّهم ها ناصبوا شبك الفخاخ
ذهب الزمان بأهله فانظر لنفسك من تؤاخ

● سئل جعفر بن محمد عن المؤمن هل يكون بغيضاً؟

فقال: لا يكون بغيضاً ولكن يكون ثقيلاً!

● وقال بعضهم في الثقل:

إذا جلس الثقلُ إليك يوماً أتتك عقوبةٌ من كلِّ بابٍ
فهل لك يا ثقلُ إلى خصال تنال ببعضهما كرمَ المآبِ
إلى مالي فتأخذهُ جميعاً أحلَّ لديك من ماءِ السحابِ
وتتنفُّ لحيتي وتدقُّ أنفي وما في فيٍّ من ضرسٍ ونابِ
عليَّ ألا أراك ولا تراني مقاطعةً إلى يومِ الحسابِ

● وقال منصور الفقيه:

يا من يُسَرُّ بموتي إذا أتاه البشــــــــــــــــيرُ
إن البشــــــــــــــــيرَ بموتي فلا تُسَرِّ نذيرُ
واسمِعْ فما أنت ممَّن تخفى عليه الأمورُ
أليس من كان مثلي إلى مصيري يصيرُ؟

● قل مكحول: برُّ الوالدين كفارة الكبائر.

● وقال محمد بن المنكدر: بتُّ أغمز رجلَ أمي، وبات

عمي يصلي ليلته، فما تسرُّني ليلته بليتي!

● قال منصور الفقيه:

أحبُّ البناتِ فحبُّ البناتِ تِ فرضٌ على كلِّ نفسٍ كريمةٍ
لأن شعيباً لأجلِ البناتِ تِ أخدمهُ موسى كليمهُ

● كان يقال: الولدُ ربحانك سبعاً، وخادمك سبعاً، وهو بعد ذلك صديقك، أو عدوك، أو شريكك!

● قال قتادة: ربّ جاريةٍ خيرٌ من غلام، وربّ غلامٍ قد هلكَ أهله على يديه!

● قال أبو العلاء الوكيعي: ما سمعتُ بكّار بن قتيبة - قاضي مصر - قطُّ يُنشد بيت شعر إلا مرة، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه، فكان من كلِّ واحد منهما إلى صاحبه ما لم يحمد بكّار، فالتفت إليهما وأنا أسمع فقال:

تعاطيتُ ما ثوبَ العقوقِ كلاكما أبٌ غير برٍّ وابنهٌ غيرٌ واصلٍ

● دخل أعرابي إلى جعفر بن القاسم الهاشمي، فسأله جعفر عن بنيه فقال:

إنّ بنيَّ خيرهم كالكلب أبُرُّهم أولعهم بسبي
لم يُعْنِ عنهم أدبي وضرري فليبتني كنت عقيم الصُّلب!

● قال بعضهم:

كم من أخ لك لم يلدُه أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا

● وقال آخر:

مضى الذين إذا ما جئتُ أسألمهم قالوا برحبٍ على العينين والرأسِ
وقد بقيتُ بأوغادٍ أكابرههم ليسوا بناسٍ بلى أشباهُ نسناسِ

● وقال غيره:

كنا نُعَيِّرُ مَنْ يَأْتِي بِفَاحِشَةٍ وَالنَّاسُ يَرْعُونَ حَقَّ الدِّينِ وَالْحَسْبُ
فَالنَّاسُ قَدْ تَرَكَوا التَّعْيِيرَ كُلَّهُمْ لِمَا اسْتَوَى النَّاسُ فِي الْفَحْشَاءِ

● دخل أعرابي على الحجاج فسمعه يقول: لا تكملُ
النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة يجتمعن عنده. فانصرف
الأعرابي فباع متاع بيته، وتزوج أربع نسوة، فلم توافقه منهن
واحدة، خرجت واحدة حمقاء رعناء، والثانية متبرّحة، والثالثة
فروك^(١)، والرابعة مذكرة. فدخل على الحجاج فقال: أصلح الله
الأمير، سمعت منك كلاماً أردت أن تتم لي به قرّة عين، فبعث
جميع ما أملك، حتى تزوّجت أربع نسوة، فلم توافقي واحدة،
وقد قلت فيهن شعراً، فاسمع مني، قال: قل. فقال:

تزوّجت أبغي قرّة العين أربعاً فيا ليت أني لم أكن أتزوج
ويا ليتني أعمى أصمُّ ولم أكن تزوجت بل يا ليت أني مخدج^(٢)
فواحدة ما تعرف الله ربّها ولا ما التقي تدري ولا ما التحرج
وثانية ما إن تقرّ بيبتها مذكرة مشهورة تتبرج
وثالثة حمقاء رعنا سخيفة فكلُّ الذي تأتي من الأمر أعوج
ورابعة مفروكة ذات شرّة فليست بها نفسي مدى الدهر تُبهج
فهنّ طلاقٌ كلهنّ بوائن ثلاثاً ثلاثاً فاشهدوا ولا تلجلجوا

(١) الفروك: التي يبغضها الرجال.

(٢) المخدج: ناقص الخلق.

فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره، ثم قال له:
كم مهورهن؟ قال: أربعة آلاف درهم. فأمر له بثمانية آلاف
درهم!

● هلك رجل من العرب، فقيل لامرأته: صفي بعلك.
فقالت: والله إن كان - فيما علمت - لضحكاً إذا ولج،
كسوباً إذا خرج، أكلاً ما وجد، غير سائل ما فقد!

● قال الإمام الحسن البصري: كان أهل الجاهلية إذا
خطب الرجل المرأة تقول: ما حسبه، وما حسبها؟ فلما جاء
الإسلام قالوا: ما دينه، وما دينها؟ وأنتم اليوم تقولون: ما ماله،
وما مالها؟

● خطب العريان بن الهذيل البرجمي امرأة، فكان أصمَّ
وكانت عوراء. فقالت: تسأل عنا ونسأل عنك؟ فقال:
فإن تسألي عنا وعنك فإننا كلانا به داء: أصمَّ وأعورا
فقالت: أما إذا عرفت الداء فاجلس.

فبعثت إلى وليها فزوجها إياه!

● قال الأصمعي: ألا أدلك على بستان تكون منه في
أكمل روضة، وميت يخبرك عن المتقدمين، ويذكرك إذا نسيت،
ويؤنسك إذا استوحشت، ويكف عنك إذا سئمت؟ قال نعم.
قال: عليك بالكتاب.

● نظر بعض الأمراء إلى رجلٍ في أطماره فازدراه، فقال له:
أصلحك الله لا تنظر إلى هيئتي ولكن انظر إلى همّتي، فأنا والله
كما قال عبد الله بن زياد:

فإن أكَ قِصداً في الرجال فإني إذا حلَّ امرؤ ساحتني لجسيم

وكما قال الآخر:

لا تنظرنَّ إلى الثياب فإني خَلِقُ الثيابِ من المروءة كاسي

● قال رجل لإبراهيم النخعي: ما ألبس من الثياب؟ فقال:
ما لا يشهرك عند العلماء، ولا يحقرك عند السفهاء.

● كان يقال: لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذئوها، ولا تجزؤوا
أعرافها فإنها أذفاؤها، ولا تجزؤوا أذناها فإنها مذائها.

● قال ابن عباس رضي الله عنهما:

أحبُّوا الخيل واصطبروا عليها فإن العزَّ فيها والجمالاً
إذا ما الخيلُ ضيَّعها رجال رطناها فشارك العيالا
نقاسمها المعيشة كلَّ يوم ونكسوها البراقع والجلالاً^(١)

● خطب عمر بن الخطاب يوماً فقال: إياكم والبطنة،
فإنها مكسلةٌ عن الصلاة، مؤذيةٌ للجسم. وعليكم بالقصد في

(١) الجلال: الغطاء.

قوتكم، فإنه أبعَدُ من الأَشْر، وأصْحُ للبدن، وأقوى على العبادة. وإن امرءًا لن يهلك حتى يُوَثِّرَ شهوتَهُ على دينه.

● قيل للشعبي: أي الطعام أحبُّ إليك؟ قال: ما صنعه النساء، وقلَّ فيه العناء.

● قال الفضيل بن عياض: خصلتان يقسِّيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

● قال بعضهم:

تُنافِسُ في طيب الطعام وكلُّه سواء إذاما جاوز اللهواتِ

● قال أبو بكر الهذلي: إذا جمعَ الطعامُ أربعاً كُمِلَ: إذا كان حلالاً، واجتمعت عليه الأيدي، وسُمِّيَ الله في أوله، وحُمِدَ في آخره.

● قال عبد الله بن مسعود: النومُ عند الموعظة من الشيطان.

● قال عبد الله بن عمرو بن العاص: النومُ على ثلاثة أوجه: نوم حُرْق، ونوم حُلُق، ونوم حُمُق.

فأما نومة الحُرْق فنومة الضحى، يقضي الناس حوائجهم وهو نائم.

وأما نومة الحُلُق فنومة القائلة نصفَ النهار.

وأما نومة الحُمُق فالنومُ حين تحضر الصلوات.

● ذُكِرَتِ الْبِرَاقِيثُ عِنْدَ رَجُلٍ فَقَالَ: أَخْزَاهَا اللَّهُ! مَا أَدْنَى صِغَارِهَا، وَمَا أَشْرَّ كِبَارِهَا، وَأَخْفَى أَنْظَارِهَا، وَأَقْبَحَ آثَارِهَا!

● وَقَالَ آخَرَ:

مَا لِلْبِرَاقِيثِ أَخْرَى اللَّهُ لَيْلَتِهَا مِنْ يَلْقَى مِنْهُنَّ مَا لَاقَيْتُ لَمْ يَنْمِ
كَأَنْهَنَّ وَجِلْدِي إِذَا ظَفَرَنَ بِهِ وَضَمَّنِي مُضْجَعِي يَطْلُبْنِي بَدَمِ

● وَقَالَ آخَرَ يَصِفُ بَعُوضَةَ وَخَرَطُومَهَا:

مِثْلَ السَّفَاةِ دَائِمٌ طَنِئْتُهَا رُكِّبَ فِي خَرَطُومِهَا سَكِينُهَا

● وَلِأَعْرَابِيٍّ مِنْ بَنِي جَفْنَةَ مَازِحاً:

مَرَّ الْجِرَادُ عَلَى زُرْعِي فَقُلْتُ لَهُ الزَّمْ طَرِيقَكَ لَا تَوَلَّعْ بِإِفْسَادِ
فَقَالَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبَلَةٍ إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بَدَّ مِنْ زَادِ

● قَالَ ابْنُ عَجَلَانَ: ثَلَاثَةٌ لَا يَصْلِحُ الْعَمَلُ إِلَّا بِهِنَّ:
التَّقْوَى، وَالنِّيَّةَ الْحَسَنَةَ، وَالْإِصَابَةَ.

● قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ: ثَلَاثَةٌ تَوَدَّى إِلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ:

الْأَمَانَةَ تَوَدَّى إِلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ.

وَالْعَهْدَ يُوفِّي بِهِ لِلْبِرِّ وَالْفَاجِرِ.

وَالرَّحِمَ تَوْصَلُ بِرَّةٌ كَانَتْ أَوْ فَاجِرَةً.

- قال بعض الحكماء: إذا ظفر إبليس من ابن آدم بثلاث لم يطلبه بغيرهن: إذ أعجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه!
- قال بعضهم: ثلاثة تجب مداراتهم: الملك السليط، والمرأة، والمريض.
- ثلاثة يُسهِّرون: قرضُ فأر، وأنينُ مريض، ووكفُ بيت^(١).
- قال الحسن البصري: أربعٌ من كنَّ فيه ألقى الله عليه محبته ونشر عليه رحمته: مَنْ برَّ والديه، ورفق بمملوكه، وكفل اليتيم، وأغاث الضعيف.
- اجتمع الحكماء أنه لا ينبغي للمرء أن ينزل بلدةً ليس فيها خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاضٍ عادل، وسوقٌ دائمة، وطبيبٌ عالم، ونهرٌ جار.
- خمسٌ من طبيعة الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وإتعاَب البدن في الباطل، وقلَّةُ معرفة الرجل لصديقه من عدوِّه، وتضييعه لسرِّه.

(١) أي قطر الماء من سقفه.

● كان يقال: المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة. يعني في الخير.

● قال ابن عباس رضي الله عنهما: حلق الرأس لا يصح في العقوبة، لأن الله عزَّ وجلَّ جعل حلق الرأس نُسكاً لمرضاته.

● وقال أيضاً: إني لأسمع بالحكم من حُكَّام المسلمين يعدل فأفرحُ به ولعلي لا أتحاكم إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيبُ البلدان فأفرح وما لي فيها سائمة، وإني لآتي على الآية فأودُّ أن الناس يعملون بها ويعلمون منها ما أعلم.

● قال عمر رضي الله عنه: إذا استخرتُ الله في الأمر، ما أبالي في الأمر أكان أو لم يكن.

قال بعضهم:

ولستُ أبالي حين أغدو مسافراً أصاح غراباً أم تعرَّض ثعلبُ
● التجارب ليس لها غاية، والعاقل يستزيد منها إلى غير
نهاية.

● من غلب عليه العُجب، ترك مشورة الرجال.

● من طلب إلى لئيم حاجة، فهو كمن طلب صيد السمك في الصحاري.

● إذا صادقتَ الوزير لم تخفِ الأمير.

- من بذل لك نصحه فاحتمل غضبه.
- الإكثار من الملامة يولد القطيعة.
- من لم تقدر على مكافأته فانصح له.
- من لم يصبر على البلاء لم يرضَ بالقضاء.
- من استهوته الخمرُ والنساءُ أسرع إليه البلاء.
- إذا احترق الفؤاد ذهب الرقاد.
- الغريب الناصح خير من القريب العاشق.
- من لم يقنع برزقه عدب نفسه.
- روضة العلم أزين من روضة الرياحين.
- المرأة العفيفة الجميلة المواتية نعمةٌ سابعة.
- الانقباضُ عن الناس مكسبة للعداوة، والإفراط في الأُنس مكسبةٌ لقرناء السوء.
- ستساق إلى ما أنت لاق.
- من أشدَّ العذاب فرقةُ الأحباب.
- سوقى نفيس خير من قرشي خسيس.
- العجب من ورثة الموتى كيف لا يزهدون في الدنيا؟!.
- علمُ الرجلِ ابنه الباقي بعده.
- قال الشاعر:

لهونا عن الأعمال حتى تتابعنا علينا ذنوبٌ بعدهنّ ذنوبٌ
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن لي في توبة فأتوبُ

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعمارُ أمتي ما
بين الستين والسبعين، وأقلُّهم من تجاوزَ ذلك". رواه الترمذي
وابن ماجه، وصححه في السلسلة الصحيحة (٧٥٧).

● نظر كسرى إلى رجلين من جلسائه، أحدهما قد شابَ
رأسه قبل لحيته، والآخر قد شابت لحيته قبل رأسه، فأراد أن
يعرف جوابَ كلِّ واحدٍ منهما عن حالة تلك، فقال لأحدهما:
لم شاب رأسك قبل لحيتك؟ قال: لأن شعر رأسي حُلِقَ قبل
شعر لحيتي، والكبير يشيبُ قبل الصغير.

وقال للآخر: لم شابت لحيتك قبل رأسك؟ قال: لأنها
أقرب إلى الصدر موضعِ الهمِّ والغمِّ!

● قال أعرابي:

إذا الرجال وكدت أولادها واضطربت من كبرِ أعضاؤها
وجعلت أسقامها تعادها فهي زروع قد دنا حصادها

● قال محمد بن نصر: كنت بأرض الطفاوة، إذ سمعتُ
امرأة تكلمَ أخرى من طاق إلى طاق، فقالت لها: ما تقولين في
ابن العشرين؟ قالت: ريحانة تشمين!

قالت: فما تقولين في ابن الثلاثين؟ قالت: قرّة عين

الناظرين!

قالت: فما تقولين في ابن الأربعين؟ قالت: قويُّ الظهر في ماء مكين!

قالت: فما تقولين في ابن الخمسين؟ قالت: تعرفين وتنكرين!

قالت: فما تقولين في ابن الستين؟ قالت: كثير السعال والأنين!

قالت: فما تقولين في ابن السبعين؟ قالت: اكتبيه في (الميتين)!

● وقال بعض حكماء العرب:

ابن عشرٍ من السنين غلام هُمُّه اللعب مولع بالغرام
وابن عشرين مولعٌ بالغواني لا يبالي ملامة اللوام
والذي يبلغ الثلاثين عاماً فضُرِبَ لدى الوغى بالحسام
فإذا جازها بعشر سنين كان أقوى من كل قرن مُسام
وابن خمسين للنوائب يُرجى ولنقضِ الأمور والإبرام
وابن ستين حازم الرأي طبُّ كامل العقل ضابطٌ للكلام
وابن سبعين قد تولى وأودى وتتنى فماله من قوام
والذي يبلغ الثمانين عاماً ذاهبُ الذهن دائبُ الأسقام
وابن تسعين تائه قد تنهى إن تسعين غايبة الأعوام
فإذا جازها بعشر فحيٌّ مثل ميتٍ مودّعٍ بالسلام

● أوصى معروف الكرخي رجلاً فقال: توكل على الله حتى يكون أنسك وموضع شكواك، واجعل ذكر الموت

جليسك، واعلم أن الفرج من كلِّ بلاء كتمانته، فإن الناس لن يعطوك ولن يمنعوك ولن ينفعوك ولن يضرّوك، إلا بما شاء الله لك وقضاه عليك.

● قال محمود الوراق:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً عن مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيك

● وقال آخر:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون مؤثك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقيم ذهب نفسه العريزة فلتته

● وقال آخر:

جالس كهول الناس واحفظ حديثهم ولا تك للأحداث خدناً محادثاً

● قال أعرابي في دعائه: تظاهرت يا رب عليّ منك النعم، وتكاثفت مني عندك الذنوب، فأحمدك على النعم التي لا يحصيها أحد غيرك، وأستغفرك من الذنوب التي لا يحيط بها إلا عفوك.

● ودعا آخر فقال: اللهم إني أعودُ بك من الذلِّ إلا لك، ومن الفقرِ إلا إليك.

● وقف شيخ أعرابي عند باب الكعبة فقال: يا رب! سائلك عند بابك، مضت أيامه، وبقيت آثامه، وانقطعت

شهوته، وبقيت تبعته، فارضَ عنه يا رب، وإن لم ترضَ عنه فاعفُ عنه، فقد يعفو السيد عن عبده وهو عنه غير راضٍ. اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمَّن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا.

● ذكر المبرِّد أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه سُئل عن الدنيا والآخرة فقال: هما كالمشرق والمغرب، بقدر ما تقربُ من أحدهما تبعُدُ عن الآخر!

● وقال سفيان الثوري: من أحبَّ الدنيا وسرَّته، نزع خوفَ الآخرة من قلبه.

● قال أبو حازم: تكدَّرت الدنيا وتعدَّرت، ما تمدُّ يدك إلى شيءٍ منها إلا وجدت فاسقاً سبقك إليه!

● قال المؤلف: لأبي نواس في صفة الدنيا بيت غاية، وهو:

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابضٍ على الماء خائته فروجُ الأصابع

● قال عليُّ أمير المؤمنين: الزاهدون في الدنيا قومٌ وعظوا فأنَّعظوا، وأيقنوا فعملوا، إن نالهم يُسرُّ شكروا، وإن نالهم عسرٌ صبروا.

● قال بعض الحكماء: إذا كان سعيك إنما هو لطلب

الراحة في الدنيا ثم سعت لأكثر مما يكفيك، لم تزد من الراحة والدعة إلا بعداً.

● سئل الخليل بن أحمد عن الزهد في الدنيا فقال: الزهد ألا تطلب المفقود، حتى تفقد الموجود!

● قال الإمام الحسن البصري: يا معشر الشيوخ، الزرع إذا بلغ ما يُصنع به؟ قالوا: يُحصد.

قال: يا معشر الشباب، كم زرع لم يبلغ قد أدركته آفة؟!

● كان عمر بن عبد العزيز يتمثل:

من كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته فسوف يسكن يوماً راعماً جدثا
في قعر مظلمة غبراء موحشة يطيل فيها ولا يختارها اللبثا

● قال أبو الدرداء رضي الله عنه في خطبة خطبها بدمشق: مالي أراكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأكلون ما لا تدركون؟! إن من كان قبلكم جمعوا كثيراً وبنوا شديداً وأملوا بعيداً، فأصبح جمعهم بوراً، ومنازلهم قبوراً، وأملهم غروراً. هذه منازل عادٍ وثمود... ما يسرني أنها لي بدرهمين.

● قال عمر بن عبيد للمنصور: إن الله قد وهب لك

الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسك منه ببعضها.

● قيل لسفيان الثوري: ما العمل الصالح؟ قال: ما لا تحبُّ أم يحمدك عليه أحد.

● خرجت امرأة من العرب تريد المقابر، حتى جلست على قبر ابنها، فقالت بصوت ضعيف: هذا والله المنزل الحق، والوعدُ الصدق، والوعيد الشديد، والمسكنُ الذي ليس لأهل الدنيا عنه محيد، هذا والله المفرِّق بين الأحاب، والمقرِّب من الحساب، وبه يعرف الفريقان منازلهم، أهلُ السعادة وأهل الشقاوة، لا أقول هُجْرًا، ولكني أحتسبُ على الله مصابي بك يا بني، ففسح الله لك في ضريحك، وجمع بينك وبين نبيِّك، أما إني أقول علمي بك، كنت - والله عليمٌ بباطنك - جوادًا، إن أتيت أتيت رشادًا، وإن اعتمدت وُجِدت عمادًا. ثم أنشأت تقول:

يا ليت شعري كيف غيَّرَكَ الرَّدى أم كيف صار جمالُ وجهك في الثرى
لله درُّك أيُّ كهل غيَّبوا تحت الجنادل لا يحسُّ ولا يرى
لبناً وجليماً بعد حزم زانهُ بأسٌ وجودٌ حين يُطرَقُ للقري
لما نقلت إلى المقابر والبلى دنتِ الهموم فغاب عن عيني الكرى

● حين أصيب عروة بن الزبير في رجله وقُطعت، لم تمض

أيام حتى سقط ابنه محمد ليلاً في اصطبل دواب فضربته بقوائمها حتى قتلته. فأتى رجل يعزيه، فقال له عروة: إن كنت جئت تعزي برجلي فقد احتسبتها. فقال: بل أعزّيك في محمد ابنك. قال: وما له؟ فخبره بشأنه، فقال: اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، ولئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

● قال عبد الأعلى البرقي^(١) - أحد رجال الحديث الثقات -: دخلت على بشر بن منصور^(٢) وهو في الموت، فرأيتة مستبشراً! فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتابين وأقدم على ربّ العالمين ولا أفرح!*

* * *

(١) هكذا في الأصل. وأظنه "النرسي" فهو الذي يروي عن بشر.

(٢) محدّث، من خيار أهل البصرة وعُبادهم. ت ١٨٠هـ.

التعازي والمرثي^(١)

للمبرد

من أحبّ البقاء، فليوطّن نفسه على المصائب!

(١) التعازي والمرثي / لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، حققه وقدم له محمد الديباجي. - دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٦هـ، أ - أم، ٤٣٥ ص.

ساق فيه المؤلف مجموعة من عيون المرثي التي فاضت بما قرائح الفحول من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين الذين عاصروا المؤلف أو سبقوه. كما ساق فيه مواعظ وخطباً وأقوالاً مأثورة، ووصايا يؤثر بعضها عن أهل الدين، وبعضها عن أهل الآداب والطبائع المحمودة.

ولم يسر المؤلف في ترتيب كتابه على منهج محدد، فهو يسوق الأشعار والأخبار دون ترتيب زمني أو مكاني، وإنما قسم الكتاب إلى أبواب شاملة. عرض في أوله ما روي عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وغسله ودفنه، ثم عقد باباً لمرثي الجاهلية المشهورة،.. ومضى يسرد أخبار بعض من أصاب الموت أعزاءهم فتجلدوا أو جزعوا، أو الذين أوتوا الحكمة وحسن الخطاب فعرفوا كيف يخففون من وطأة الحزن عن الذين فجعهم الموت بمن يحبون.

وقد صرح المؤلف في مقدمة كتابه بالسبب الذي دفعه لتأليفه، وهو موت حميمه القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي، قاضي القضاة ببغداد، فقد كان فاضلاً، عالماً، متقناً، فقيهاً، على مذهب الإمام مالك بن أنس، وكان القاضي يجذب على المبرد ويكرمه، وكان المبرد يحبه حباً صادقاً ويجله إجلالاً كبيراً. ودامت هذه العلاقات الطيبة بينهما زمناً طويلاً، فلما توفي القاضي سنة ٢٨٢هـ حزن عليه المؤلف حزناً عميقاً، ومضى يعزّي نفسه بتأليف كتاب في "التعازي والمرثي" .. ==

● قالت أم الصريح الكندية ترثي إخوتها:

أَبُوا أَنْ يَفْرُؤُوا وَالْقَنَا فِي نَحْوَرِهِمْ فَمَاتُوا وَأَطْرَافَ الْقَنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعَزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا

● أحسن الشعر ما خلط مدحًا بتفجُّع، واشتكاء

بفضيلة.

● يتدارس الصالحون فيقولون: إذا استأثر الله عزَّ وجلَّ

بشيء، فاله عنه.

== ويضيف المحقق إلى أسباب تأليفه ترقب المؤلف للأجل المحتوم، فقد
شرح في كتابه وهو في الثانية والسبعين من عمره... فكأنما يريد أن يعزِّي
نفسه بتأليف هذا الكتاب قبل أن يحلَّ به الأجل المحتوم.
وهو إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة
ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦. وقد امتدت حياته ثلاثة أرباع قرن عاصر خلالها
أحد عشر خليفة من خلفاء بني العباس، أولهم المأمون وآخرهم المعتضد.
ومن مؤلفاته المعروفة "الكامل"، و"المذكر والمؤنث"، و"المقتضب" و"شرح
لامية العرب".

و"المبرِّد" لقب غلب عليه، رجَّح المحقق أن يكون السبب تلقيبه به أن المازني
- شيخه - لما صنف كتاب "الألف واللام" أخذ يسأله عن دقيقه
وعويصه، فأجابه عن كل ما سأله عنه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم
فأنت "المبرِّد" - بكسر الراء - أي المثبت للحق، فحرَّفه الكوفيون، وفتحوا
الراء!

● شهد ثلاثة إخوة يوم تُسْتَرَّ - أعظم مدينة في خوزستان - فاستشهدوا جميعاً. وخرجت أمهم إلى السوق يوماً لبعض شأنها، فتلقاها رجل قد حضر أمرهم، فعرفته، فسألته عن بنيتها، فقال: استشهدوا. فقالت: أمقبلين أم مدبرين؟ قال: بل مقبلين. فقالت: الحمد لله، نالوا الفوز وحاطوا الدِّمار، بنفسهم وأمِّي وأبي.

● مات ابن لأرطاة بن سهية المرسي^(١) من غطفان يُقال له عمرو، فأقام على قبره حولاً، يأتيه كل غداة فيقول: يا عمرو، هل أنت غادٍ معي؟ فلما كان رأس الحول تمثّل قول لبيد:

إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السلامِ عليكما ومن بيكِ حولاً كاملاً فقد اعتذِرْ
ثم ترك قبرَ ابنه.

● مات أخُّ مالك بن دينار - الزاهد الورع - فبكى وقال: يا أخي، لا تقرُّ عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار، ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك.

● كان للحارث بن حبيب الباهلي عشرة بنين، فحلب يوماً في علبة ووضعها، فمخَّ فيه أفعى أسود سالخ، فبعث بالعلبة إلى بنيه وهو لا يدري، فشربوها، فماتوا جميعاً.

(١) شاعر فصيح، كان شريفاً جواداً. عاش في دولة بني أمية.

وقيل: بل كانوا سبعة، فسقط عليهم حائط فقتلهم!

● إنما الجزع قبل فوات الشيء، فإذا فاتك الشيء فآلة عنه.

● سأل سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز: هل يكون المؤمن في حالة تنزل به المصيبة فلا يألم لها؟

قال: يا أمير المؤمنين، لا يكون أن يستوي عندك ما تحبُّ وما تكره، أو تكون الضراء والسرء عند أحد سواء، ولكنَّ معوَّل المؤمن الصبرُ.

● دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه فقال: يا أمير المؤمنين ألا توصي؟ قال: وهل لي مألٌ أوصي فيه؟ فقال مسلمة: هذه مائة ألف أبعث بها إليك فهي لك، أوصِ فيها. قال: فهلاً غير ذلك يا مسلمة؟ فقال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: تردُّها من حيث أخذتها.

فبكى مسلمة وقال: يرحمك الله، فقد ألنت لنا قلوباً كانت قاسية، وزرعت لنا في قلوب المؤمنين مودَّة، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً.

● تمكَّن الحزنُ من قلب متيم بن نويرة على أخيه مالك، فكان قلَّ ما ينساه، وكان لا يمرُّ بقبره ولا يُذكر الموتُ بحضرته

إلا وقال: يا مالك، ثم فاضت عبرته، وفي ذلك يقول:

وقالوا أتبكي كلَّ قبرٍ رأيته لقبرِ ثوى بين اللوى والدكادِكِ
فقلْتُ لهم إن الأسى يبعثُ البكا ذروني فهذا كله قبرُ مالكِ

● يُروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: ربَّ منيَّةٍ سببها

طلب الحياة، وحياة سببها التعرُّض للموت.

● أوصى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عنهما حين استخلفه فقال: إني مستخلفك، وأوصيك بتقوى

الله يا عمر. إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار

لا يقبله بالليل. واعلم أنه لا تُقبل نافلةٌ حتى تؤدَّى الفريضة،

وأنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم

الحق، ويحقُّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلاً. وإنما

خفَّت موازينُ من خفَّت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الباطل في

الدنيا، ويحقُّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفاً...

● لما احتضر المهلب بن أبي صفرة كان ممَّا أوصى بنيه:

أوصيكم بتقوى الله وصلة الرِّحم، فإن تقوى الله تعقب الجنة،

وإن صلة الرِّحم تُنسىء في الأجل، وتُشري المال، وتجمع

الشمل، وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتعزُّ الجانب. وأنهاكم عن

معصية الله، فإنها تعقب النار، وإن قطيعة الرِّحم تورث القلة

والذلَّة، وتفترق الجمع، وتذرُّ الديار بلقعاً، وتذهب المال،

وتُطمع العدو، وتبدي العورة...

واتقوا الجواب وزلّة اللسان، فإني وجدت الرجل تعثر قدمه
فيقوم من زلته وينتعش منها، ويزلّ لسانه فيوبقه وتكون فيه
هلكته...

ارحموا صغيركم وقربوه وأطفوه، واجبروا يتيمكم وعودوا عليه
بما قدرتم. وخذوا على يدي سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم
وجيرانكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق ونواب الدهر...

تواصلوا وتأزروا وتعاطفوا، فإن ذلك يثبت المودة...

وتأدّبوا بأداب الصالحين من سلفكم، ولا تُقاعدوا أهل
الدعارة والرّيبة، ولا يطمع في ذلك منكم طامع. وإياكم والحفّة
في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه. وأدّوا حقّ
الله عليكم، فإني قد أبلغت إليكم في وصيتي...

● قال عبد الكريم المازني لعبدالله بن عبدالله الأهم: كيف
كان جزعك على أهل بيتك؟ فقال: ما ترك حبّ الغداء
والعشاء في قلبي حزناً على أحد!!

● قال شبيب بن شيبة: إن أحقّ ما صبر عليه ما لم يُقدّر
على دفعه.

● اشتكى ابنُ لعبدالله بن عمر بن الخطاب، فجزع عليه. فلما مات لم يظهر منه مثل ما كان يظهر في مرضه، فقيل له في ذلك، فقال: كان ذلك مني رحمة له ورقة، فلما وقع القضاء رضيتُ وسلّمت.

● قال الهلالي: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا قيل له: مات فلان، قال: لا إله إلا الله. وكان عثمان رضي الله عنه إذا قيل له: مات فلان، قال: لا إله إلا الله. وقيل لمعاوية رضي الله عنه: مات زياد بن أبيه فقال: وا رجلاه...

● حدّث بعضُ جلساء القُحذمي، وذكر امرأة من الأعراب، فقال: كان لها أربعة بنين، وكان يمرُّ بها إخوة أربعة غادون لشأهم، وكانت تأنس بهم لمشاكلتهم بنيتها في العدد والأسنان، ثم أصيبَ بنوها جميعاً إما بطاعون أو ما يشبهه، فاجتنبها الإخوة الأربعة إبقاءً عليها من الحزن إذا رأتهم، ثم عزموا عزيمةً على المرور بها مرحاً وبغياً. فلما رأتهم ذرفت عينها وتمثّلت:

لن يُلبِثَ القرناءُ أن يتفرّقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارٌ
فاعتَلَّ أحدهم فمات، فغبر الثلاثة لا يقربونها، ثم فعلوا،
فلما رأتهم تمثّلت:

كل بني أمّ وإن أكثرت يوماً يصيرون إلى واحدٍ
فلم يلبث واحدٌ منهم أن مات. وغبرَ الاثنان لا يقرباها، ثم
اجتازا بها على نحو ما فعلوا من المرح والدّالة، فلما رأتهما قالت:
وكلُّ أخٍ مفارقه أخوهُ لعمر أيبك إلا الفرقدانِ
فمات أحدهما، فاجتنبها الباقي دهرًا. ثم مرَّ بها فتمثلت:
والواحدُ الفردُ كمن قد مضى ليس بمتروك ولا خالدٍ
فقال: أقيليني، جعلني الله فداك، فإني والله غير عائد!

● قال الحرمازي: كان سبب موت مروان بن عبدالمملك أنه
وقع بينه وبين أخيه سليمان كلام، فعجّل عليه سليمان فقال
له: يا ابن ملجّنِ أمّه^(١). ففتح فاه ليحييه - وإلى جانبه عمر
بن عبد العزيز - فأمسك على فيه وردّ كلمته وقال له: يا أبا
عبدالمملك، أخوك إمامك، وله السنُّ عليك. فقال: يا أبا
حفص قتلتنني! قال: وما صنعتُ بك؟ قال: رددت في جوفي
أحرّ من الجمر. ومال لجنبه فمات!

● قال الأصمعي: مرَّ رجل على بعض مقابر العرب، فإذا
هو بشيخ قاعد على شفير قبر، وبين يديه فتية كأنهم الرماح

(١) اللخن: نتن المغابن، وهي مطاوي الجسد.

يدفنون رجلاً، والشيخ يقول:

احتوا على الدَّيسم من بَرِدِ التَّرى قِدماً أبا رُبُك إلا ما ترى^(١)

قال : فسألت الشيخ: من الميت؟ فقال: ابني. فقلت: فمن هؤلاء؟ قال: بنوه.

● قال إبراهيم بن المهدي - أخو هارون الرشيد، أمير دمشق - يرثي ابناً له أصيب به بالبصرة وهو واليها:

جمعتُ أطباءَ العراق فلم يُصب دواءك منهم في البلاد طيبُ
سأبكيك ما أبقت دموعي والبكا بعيني ماءً يا بنيَّ يجيبُ
وما لاح نجم أو تغنت حمامةً أو اخضرت في فرع الأراك قضيبُ
يعزُّ عليَّ أن تنالك ذرَّةً بمسُّك منها في الممرِّ ديبُ
فما لي إلا الموت بعدك راحةً وليس لنا في العيش بعدك طيبُ
قصمت جناحي بعدما هدَّ منكبي أخوك، ورأسي قد علاه مشيبُ
فأصبحتُ في الهلاك إلا حشاشةً تُذابُّ بنار الشوق فهي تذوبُ
وإن صباحاً نلتقي في مسائه صباحاً إلى قلبي الغداة حبيبُ

● كان لمحمد بن عبد الملك الزيات - وزير المعتصم والوائق - جارية، وكان بها ضنيناً، وله منها ابنٌ يقال له عمر، فماتت

(١) الديسم: اسم المرثي.

وابنها هذا صغير.. فرثاها بشعر يقرب من القلب، ويُرحم
لشكوى بثه، منه:

ألا من رأى الطفلَ المفارقَ أمَّهُ بُعيد الكرى عيناه تنسكبانِ
رأى كلَّ أمٍّ وابنها غيرَ أمِّه يبيتان تحت الليل ينتجيانِ
يرنُّ بصوتٍ فضَّ قلبي نشيجهُ وسحَّ دموعِ ثرَّةِ الهملانِ
وبات وحيداً في الفراش تحنُّه بلا بلِّ قلبٍ دائم الخفقانِ

● أبو عبدالرحمن محمد بن عبيدالله العتبي - شاعر مجيد-

يرثي بنيه:

وكنتُ أبا ستّةٍ كالبدورِ وقد فقؤوا أعينَ الحاسدينَا
فما زال ذلك دأبَ الزمنا نِ حتى أماتهم أجمعينا
وحتى بكى لي حُسادهم وقد أتعبوا بالدموع العيونَا
وحسبك من حادثٍ بامرئٍ ترى حاسديه له راحمينَا
رأيت بنىً على ظهرها فصاروا إلى بطنها يُنقلونا

ومما قال فيهم أيضاً:

يا ستّةً أودعتهم حُفَرَ البلى لحدودهم تحت الجبوب وساد^(١)
منعوا جفوني أن يصافح بعضُها بعضاً فهنَّ وإن قرُبْنَ بَعادُ

(١) الجبوب: الأرض.

لابنه المتوفى فقال: لم أملّ من النظر إليه، ولم يغيب عني إلا اشتقت إليه.

● قال إبراهيم بن سعد: سمع عليّ بن الحسين صارخةً من بيته وهو في مجلسه وعنده جماعة، فنهضَ إلى منزله فسكّتهم، ثم خرج إلى مجلسه فقالوا له: أمن حدثٍ كانت الصرخة؟ فقال: نعم، ابنٌ لي. فعزّوه وتعجّبوا من صبره. فقال: إنّ أهل بيت نطيعُ الله جلّ ذكره فيما نحبُّ ونكره، ونحمده، فإذا نزل مكروهٌ حمدنا واحتسبنا.

● كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا عزّي: إن تجزعوا فالرحم أهل ذلك منكم، وإن تصبروا ففي ثواب الله خَلْفٌ من المصيبة، عظمَ الله أجركم.

● وعزّي رجل رجلاً عن ابنه فقال: ذهب أبوك وهو أصلك، وذهب ابنك وهو فرعك، فما حال الباقي بعد أصله وفرعه؟!

● في الطاعون الجارف سنة ٧٩هـ في شوال، هلك في ثلاثة أيام في كلِّ يومٍ سبعون ألفاً. مات لأنس بن مالك فيه ثلاثة وثمانون ابناً، ويقال: سبعون، ومات لعبدالرحمن بن أبي بكره أربعون ابناً.

● قال علي بن القاسم: حدثني رجل قال: رأيتُ في المنام أيام الطاعون كأنه أُخرجت من داري اثنتا عشرة جنازة، وأنا وعيالي اثنا عشر. فمات منا أحد عشر وبقيت وحدي! فقلت في نفس: أنا تمام العِدَّة، فخرجت من الدار ثم رجعت من غد إليها، فإذا لصٌّ قد دخل للسرقة، فأصابه الطاعون في الدار فمات، فأخرجنا جنازته!

● قال أبو الحسن: بلغني أن رجلاً نبشَ في الطاعون قبراً، فأخرج الميت من قبره وأخذ ثيابه، فأصيب بالطاعون من ساعته فمات، فوجد الثياب معه!

● ومن أخبار الطاعون حدّث رجل قال: تزوّجتُ امرأة، فدخلت بها ليلة الاثنين، وأصبحتُ غادياً من عندهم وهي عند أبيها وأمها وأختها وخادمهم، فعدتُ إليهم يوم الجمعة فلم يبقَ منهم أحد!

● في مرض موته سمع عبدالمملك بن مروان صوت غَسَّال وهو يدقُّ الثياب، فقال: ما هذا؟ فأخبر: فقال: ليتني كنت غَسَّالاً أعيش بما أكتسب يوماً بيوم. فقيل لأبي حازم - الزاهد العابد - : إن عبدالمملك قال كذا وكذا. فقال: الحمد لله الذي

جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنى ما هم فيه!

● لما نزل الموت بالصحابي الجليل المغيرة بن شعبة قال:
اللهم هذه يدي بايعتُ بها نبيك صلى الله عليه وسلم،
وجاهدت في سبيلك، فاغفر لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا
يعلمون.

● وفي مرض موته حضرَ مألٌ كثير من مصر للأمير عبدالله
بن عبد الملك بن مروان فقال: ما لي وله؟ ليته كان بعراً!

● وقال الحجاج بن يوسف وهو بالموت: اللهم إن هؤلاء
يزعمون أنك لا تغفر لي، اللهم فاغفر لي ذنوبي، فإنها صغيرة في
جنب عفوك. فقال الحسن البصري: أقالها؟ قالوا: نعم، فقال:
عسى!

● دفنَ أعرابيُّ ابناً له، فلما غيَّبه في الأرض، وقف على
قبره وأنشأ يقول:

لما مشى ورجوته لغدٍ وطمعتُ أن يقوى به أزمي
ويكونَ من أعمامه خلفاً فيقومَ بعد تَأطُّرِ ظهري
رَشَقْتُهُ عن قوسٍ منيَّته فغدا رهينةَ مظلم القعري
قد كان يضرب من مضى مثلاً وجدَّ النكولَ وكنْتُ لا أدري
ما ذاك حتى ذقت لوعته فألذُّ منها لوعةُ الصبر

● قال الإمام الحسن البصري: الخَيْرُ الذي لا شرَّ فيه:
الشكر مع العافية، والصبر عند المصيبة. فكم من منعم غير
شاكر، ومبتلى غير صابر؟!!

● أثنى قوم على عوف الأعرابي وهو في الموت فقال: يا
قوم، أمدُّونا بالدعاء واعفونا من الثناء.

● كان طريف بن نافع الباهلي عالماً بالنسب، ويهتَّمُ
بالأنساب كثيراً. فلما ثقل قال لقومه وهو في الموت: بُلُّوا فمي
بماء. فعصروا في فيه ماء بقطنة، ثم قال: أجلسوني. فأجلسوه،
فقال: فلان ليس لأبيه الذي يُدعى له، فقل له: أتقول هذا
وأنت على هذه الحال؟ فقال: خفتُ أن أموتَ وأنتم في شكِّ
منه. ثم أضجعوه فمات!

● قيل لرجل من بني قريع وهو يحتضر: قل لا إله إلا الله
وقدِّم خيراً. فقال:

يا ربَّ قائله يوماً وقد تعبثُ كيف الطريقُ إلى حمّامٍ منجّابٍ

ومات عن ساعته!

● وقيل لعبدالله بن شعبة بن القلعم - فصيحٌ نسابة -
وهو يحتضر: لو قدّمت لنفسك خيراً؟ فقال: لبنيه: يا بني، إن
قوماً يقولون لكم بعدي: اقضوا دَيْنَ أبيكم عنه، فلا تفعلوا!

فإن لأبيكم ذنوباً كلها أعظم من الدين. اللهم إن تغفر تغفر
جماً.

فبكت امرأته، فقال: لا تُعَصِّري عينيك عليّ، وإذا متُّ
فاركبي بغلاً قوياً وطوفي اليمن وانظري أطول بني تميم رقبة
فتزوَّجيه.

فلما هلك تزوّجها أبو شيخ بن العرق الفقيمي.

● ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لأهله ومن اجتمع إليه
من قومه:

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جلَّ عن العتاب
إلى من تفرعون إذا حثيتم بأيديكم عليّ من التراب؟

فقالت مولاته له: إلى الله. فقال: وأنت تعيشين في مالي؟
احموا اسم الخبيثة من الوصية!

● مرضت عجوز من بني نمير، فأتوها بعطاء ابنها - وكان
غائباً - فقالوا: هذا عطاء ابنك، وقد نقصناه درهمين. قالت:
ولم؟ قالوا: قتل رجل من بني نمير رجلاً من بني سلول، فحملنا
الدية شيئاً تراضوا به. فتناولت درهمين آخرين وألقتهما إليهم
وقالت: قولوا له يقتل آخر وادفعوا هذين في الدية!

فضحكوا وخرجوا، فما غابوا حتى ماتت!

● شكى الربيع بن أبي راشد إلى محارب بن دثار - قاضي

الكوفة - إبطاءً خبر أخيه "جامع"، فقال له محارب: إن لم تكن وطنت نفسك على فراق جامع فأنت عاجز!

● مما يستحسنه الناس من المراثي ويخفف على ألسنتهم قصيدة محمد بن مناذر الصُّبيري^(١) في عبدالمجيد بن عبد الوهاب الثقفي^(٢)، ومما جاء فيها:

أين ربُّ الحصن الحصين بسورا ء وربُّ القصر المنيف المشيد^(٣)
شاد أركانه وبؤبه با بيّ حديد وحققه بجنود
كان يُجبي إليه ما بين صنعا ء فمصر إلى قرى يبرود
وترى حوله زرافات خيل جافلات تعدو بمثل الأسود
فرمى شخصه فأقصده الده رُ بسهم من المنايا سديد
ثم لم يُنجه من الموت حصن دونه خندق وبابا حديد
وملوك من قبله عمرو الأ ضن أعينوا بالنصر والتأييد
فلو أن الأيام أخلدن حيا لعلاءٍ أخلدن عبدالمجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفافٍ وجود
ويح أيدٍ حثت عليه وأيدٍ دفنته، ما غيّت في الصعيد
غيّت في الصعيد حزماً وعزماً ولزاز الخضم الألد العنود^(٤)

(١) شاعر كثير الأخبار والنوادر. أصله من عدن. أخرج من البصرة لكثرة هجائه لأهلها، تنسك في مكة ثم تهنك.

(٢) وجيه من البصرة. كان على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له والشغف به. تردى من سطح فمات، فجزع عليه ابن مناذر جزعاً شديداً ورثاه بقصيدته المشهورة، فرواها أهل البصرة ونجح بها على عبدالمجيد.

(٣) سوراء: موضع بجانب بغداد، وقيل: هو بغداد نفسها.

(٤) الصعيد: التراب أو القبر: رجل لزاز الخضم: متغلب عليه.

● قال أبو العتاهية:

كم سترى في الناس من هالكٍ وهالكٍ حتى تُرى هالكاً
أصبحت الدنيا لنا عيرةً والحمد لله على ذلكا
اجتمع الناس على ذمها وما ترى منهم لها تاركاً!

وقال أيضاً:

نفسٌ في الدنيا ونحن نعيها وقد حذرتناها لعمري خطوبها
وما نحسب الساعات تُقطع مدّةً على أنها فينا سريعٌ دبيها
كأنّي برهطي يملون جنازتي إلى حفرة يُحشى عليّ كثيها
وباكيةٍ حرى تنوحُ وإنني لفي غفلة عن صوتها لا أجيها
وإني لمئن يكره الموت والبلى ويُعجبني رُوح الحياة وطبيها
فحتى متى حتى متى وإلى متى يدوم طلوعُ الشمس لي وغروبها
أيا هادم اللذات ما منك مهربٌ تحاذر نفسي منك ما سيصبها
رأيت المنايا فُتّمت بين أنفس ونفسي سيأتي بعدهنّ نصيها

● ومما رثى به سالم الغطفاني^(١) رسول الله صلى الله عليه

وسلم:

(١) صحابي، قتل يوم جلولاء (٦١ هـ).

أفأطمم بكّي ولا تسأمي لصبحك ما طلع الكوكب
فقد هُدت الأرض لما ثوى وأي البريّة لا يُنكب
فما لي بعدك حتى المما ت إلا جوّ داخل مُنصب
جوّ حلّ بين الحشا والشّغاف فخيّم فيه فما يذهب
فيا عينُ ويحك لا تسأمي وما بال دمّعك لا يسكب
ومن ذا - لك الويل - بعد الرسول يُبكي من الناس أو يُدب
فإن تبكّه تبك خير الأنام كثير الفواضل لا يُجذب
وإن تبكّه تبك خير الأنام سريعاً سوائله مُحصّب
وإن تبكّه تبك واري الزناد صدوق المقالة لا يكذب

* * *

حدائق الأزاهر
في مستحسن الأجابة
والمضحكات والحكم والأمثال والنوادر^(١)
لابن عاصم الأندلسي

رمى الحجاج حجراً بين يدي أعرابي وقال له: أخبرني أذكر
هو أم أنتى!

فقال له الأعرابي: ارفع لي ذنبته وأخبرك!

(١) حدائق الأزاهر [في مستحسن الأجابة والمضحكات والحكم والامثال
والنوادر] / لابن عاصم الأندلسي؛ تحقيق عفيف عبد الرحمن. - بيروت: دار
المسيرة، ١٤٠٧هـ، ٤٩٩ص.

"... أما بعد فقد جمعْتُ في هذا الكتاب من طُرف الأخبار، ورائعة
الأشعار، ومستحسن الجواب، ومضحكات المولدين والأعراب، ونوادر
الحكم والأمثال والآداب، ما يُستحسن ويُستطرف، ويُستملح ويُستظرف،
من كل نادرة غريبة، أو نكتة عجيبة، أو حكاية بارعة، أو حكمة نافعة، أو
قطعة شعر رائقة، أو مخاطبة فائقة، مع ما يُستفاد في ذلك من الوقوف على
مناقب الملوك ومآثرها ومحامدها ومفاخرها، ومكارم أخلاقها وشيمها،
وشرف أنفسها وهممها، وجميل أفعالها، وكريم حلمها واحتمالها، وعدلها
ووفائها، وبأسها وسخائها، وخوفها ورجائها، وحزمها واتقائها، وعزمها
وإمضائها، وصفحتها وإغضائها، وجدّها==

● قال أمير للأعرابي: قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً!

قال: وأنت فاعمل بالحق، فوالله ما أوعدك الله به على تركه
لأعظم مما توعدني به!

== واعتنائها، وسطوتها وحنانها، واستقباحتها واستحسانها، وسيرها
وعوائدها، وجوائزها وفوائدها، إلى غير ذلك من معرفة سنن من تقدم من
الولاة والأمراء، والكتّاب والشعراء، والأئمة والخطباء، والمؤذنين والفقهاء،
والوعاظ والحكماء، والأعراب والغرباء، والمجان والظرفاء، والمجنونين والعقلاء،
والطفيليين والبخلاء، وحقاق الجوّاري والنساء، وأهل التصنّع والرياء! فجاء
بحول الله سبحانه حسن الترتيب، بديع التهذيب، فهو روضة آداب، ومتمعة
أحداق وأسماع وألباب، فيه تسليّة للنفوس وترويح للأرواح، واستجلاب
للمسرّة والأفراح، وراحة الخاطر، وأنس المجالس والمسامر، وتحفة القادم وزاد
المسافر...".

هذا ما قاله مؤلفه في مقدمته. وهو محمد بن محمد بن محمد، أبو بكر بن
عاصم القيسي، ولد بغرناطة، وكان يجلّد الكتب في صباه، ثم تقدّم فتتلمذ
على جماعة من العلماء والفقهاء حتى ولي قضاء الجماعة في غرناطة. وله
مؤلفات أخرى مثل "تحفة الحكام" أرجوزة في علم القضاء، و"مرتقى
الوصول للأصول"، و"إيضاح المعاني في القراءات الثماني"، و"كنز المفاوض
في علم الفرائض"، و"الموجز في النحو"... وتوفي في مسقط رأسه سنة
٥٨٢٩هـ.

● شهدَ عند القاضي ابنِ شيرمة جماعةً على مكان فيه نخل، فقال لهم: كم من نخلة فيه؟

فقال له بعضهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فهل تعلم كم من سارية فيه؟

فانقطع، وأجاز شهادتهم!

● قيل للحسن البصري: أينام إبليس؟

قال: لو نام لوجدنا الراحة!

● وضع المأمون طعاماً، وكان عنده أعرابي، فقال: يا

أعرابي هلمّ. قال: إني صائم!

فاختلفت الألوان، فرأى جدياً مشويماً، فغسل يده، فقال له

المأمون: ألم تقل إنك صائم؟!

قال: أقدر على صيام يومٍ آخرَ ولا أقدر على إعادة جدي

مثل هذا!

● دخل عدي بن أرطاة - أمير من دمشق - على

القاضي إياس وهو في مجلس القضاء، فقال له: أين أنت؟ فقال

إياس: بينك وبين الحائط. قال: فاسمع مني. قال: للاستماع

جلست. قال: إني رجل من الشام. قال: نائي المحل، سحيقُ

الدار. قال: وتزوجتُ امرأة. قال: بالرفاء والبنين. قال: وولد لي

غلام. قال: ليهنك الفارس. قال: وأريد الرجوع إلى وطني.
قال: في حفظ الله. قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من
بينهم. قال: أوف لهم بالشرط. قال: فاقض بيننا. قال: قد
فعلت. قال: فعلى من قضيت؟ قال: على ابن أمك. قال:
بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك!!

● دخل أعرابي على معاوية في عباءة، فاحتقره! فقال: يا
أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها!
ثم تكلم فملاً سمعه بياناً! ثم خرج ولم يسأله شيئاً! فقال
معاوية: ما رأيت رجلاً أحقر أولاً ولا أجلاً آخراً منه!

● عرض بعض الأدباء على صاحب له شعراً بمحضر
جماعة، فجعل يُعرض عن محاسن الشعر ويتتبع مواضع النقد
حسداً! فقال له صاحب الشعر: أراك كالذباب لا تقع على
المواضع السليمة وتتبع قروح الجسد!!

● كان للفرزدق نديمٌ يسمى فلاناً الأقطع. فأتى بابه
يوماً، فخرجت له بُنيّة للفرزدق صغيرة فقال: ابنة من أنت؟
قالت: ابنة الفرزدق. قال: فما بالك حبشية اللون؟ قالت: فما
بال يدك مقطوعة؟ قال: قُطعت في حرب الحرورية! قالت: بل
قطعت في اللصوصية! فقال: عليك وعلى أبيك كذا...

ثم أخبر الفرزدق، فقال: أشهد أنها ابنتي حقاً!

● أتى الحطيئة رجلٌ وهو في غنمه فقال: يا صاحب الغنم سلامٌ عليك. فرفع العصا وقال: هذه لمن سلّم!

فقال الرجل: إني ضيف! فقال: للضيفان أعددتُهما! فأعاد السلام، فقال: إن شئتَ قمتُ بها إليك!

● قال العتيبي: وقعتُ دماء بين حيين من قريش، فأقبل أبو سفيان إليهم، فما بقي أحدٌ واضعٌ رأسه إلا رفعه! فقال: يا معشر قريش، هل لكم في الحق، أو فيما هو أفضل من الحق؟ قالوا: وهل شيء أفضل من الحق؟

قال: نعم، العفو!

فتبادر القوم واصطلحوا!!

● لما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه قال: إن الذي أدّى هذا لأمين. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمينُ الله، يؤدُّون إليك ما أدّيت إلى الله، فإذا رتعت رتعوا.

● اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له - وكان أميراً - فأنكر شيئاً، فقال لوكيله: ويحك! أظنك تخونني؟ فقال وكيله:

أتظنُّ ذلك ولا تستيقنه؟ والله إني لأخونك، وإنك لتخونُ أميرَ المؤمنين، وإن أميرَ المؤمنين ليخونُ ربَّه، فلعن الله شرَّ الثلاثة!!

● بعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن معديكرب - فارسِ اليمن - أن يبعث إليه بسيفه المعروف بالصمصامة. فبعث به إليه، فلما ضرب به وجدته دون ما بلغه عنه. فكتب إليه في ذلك، فردَّ عليه: إني إنما بعثتُ إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث له بالساعد الذي يضربُ به!

● قيل لمعاوية: أي الناس أحبُّ إليك؟

قال: من كانت له عندي يدٌ صالحة.

قال: فإن لم تكن؟

قال: فمن كانت لي عنده يدٌ صالحة.

● قال رجل لإبراهيم النخعي: إني أختم القرآن كلَّ ثلاث!

قال: ليتك تحتمه كلَّ ثلاثين وتدرى أيَّ شيء تقرأ.

● قال عمرو بن عبيد - شيخ المعتزلة -: ارفع علم الحقِّ

يتبعك أهله.

● شكوا قوم إلى المسيح ذنوبهم، فقال: اتركوها تُغفر لكم!

● قيل لعقيل: ما لك لا تطيلُ الهجاء؟

قال: يكفيك من القلادة ما أحاطَ بالعنق!

● قيل لشبيب بن شيبه - وكان شريفاً و من الدهاة -
عند باب الرشيد: كيف رأيت الناس؟

قال: رأيتُ الداخل راجياً، والخارج راضياً!

● أسمع رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز ما يكره، فقال: لا عليك، إنما أرد أن يستفزني الشيطان بعزِّ السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف إن شئت!

● طاف حاكم في الليل بالمدينة، فرأى سارقاً ينقب داراً!
فقال: ما هذا؟ قال: مات لنا ميت وأنا أحفر له من أين يخرج.
فقال له الحاكم: وأين أمانة الموت من البكاء والصراخ؟ قال:
آخر الليل تسمع النياح!

● سمع ظريفٌ رجلاً يقول: كان أبي لا يدخل الزقاق إلا
قام له الناس!

فقال: صدقت، لأنه كان يحمل على ظهره حملَ شوك!

● جاء شاعر إلى بشار بن برد، فأنشده شعراً ضعيفاً وقال
له: كيف تراه؟

فقال له: أحسنت إذ أخرجته من صدرك، لو تركته لأورثك
الفالج!

● خرج غلامٌ من منزله في يومٍ مطرٍ شديدٍ، فقالت له أمه: يا بني، هذا المطر كُله جاء على رأسك؟
قال: لا يا أمي، أكثره على الأرض، ولو كان أكثره على رأسي ما عشت!

● حكى بعض البصريين، أن عمر بن أسد - صاحب السند - قال: غزوت بعض بلاد السند، فوجدتُ شيخاً كبيراً ومعه غلام. فسألته عن الناس فقال: إن أردت أن أدلك عليهم فاقتل هذا الغلام لئلا يخبر بأمرى!

فأمرتُ بضرب عنقه، ثم سألتُ الشيخ فقال: لو كانوا تحت قدمي ما رفعتهما عنهم، وإنما خفت أن تسأل الغلام فيدلك عليهم، والآن قد أمنتُ ذلك.

قال: فقتل الشيخ ولم يُخبر!

● حكى رجل عن شريك قال: رأيتُ أبا حنيفة وعنده حجّام يأخذ من شعره، فقال أبو حنيفة: خذ البياض من شعري. فقال له الحجّام: إذاً يكثر! فقال أبو حنيفة: فخذ السواد لعله يكثر!

فضحك شريك وقال: لو ترك أبو حنيفة قياسه في موضع لتركه مع الحجّام!

- أقبل رجل على الأعمش فقال: يا أبا محمد! إني
أكثرتُ حمارًا بنصف درهم وجئتُك لتحدّثني!
فقال: اكتره بالنصف الثاني وارجع فما أريد أن أحدثك!
- كان عقال بن سليمان يروي الحديث، فقال له بعض
من حضر: إن رأيتَ أن ترفعَ صوتك فإن بسمعي ثقلاً.
فقال له: الثقل في كلّ شيء منك، ليس في سمعك وحده!
- قال معاوية لابن عباس - رضي الله عنهم -: لي عندك
حاجة أفتقضيها؟
فقال له ابن عباس: ولي عندك حاجة يا أمير المؤمنين،
أفتقضيها لي؟
فقال له: نعم.
فقال ابن عباس: سل حاجتك يا أمير المؤمنين.
قال: أن تمب لي دورك وضياحك التي بالطائف!
قال: قد فعلت!
- فقال له معاوية: قد وصلتَ الرحم، فسل حاجتك.
قال: حاجتي إليك أن تردّها إليّ!
قال معاوية: قد فعلت!
- وقال رجل لثمامة بن أشرس: لي إليك حاجة؟ قال:

وأنا لي إليك حاجة أفتقضيها؟ قال: نعم. قال: فإن حاجتي
إليك ألا تسألني حاجة!

● صُلب لَصٍّ، فمَرَّ به حبيب بن ثابت ودعا له، فقيل
له: لم تدعو له وهو لَصٌّ؟

قال: فلمن أدعو؟ للحسن البصري وابن سيرين؟!!

● وقعت حربٌ في بعض الثغور، فخرج رجلٌ بقوس بلا
سهام، فقيل له في ذلك فقال: نأخذ السهام مما يجيئنا من
العدو. قيل له: وإن لم يجيء؟ قال: فلا يكون بيننا وبينهم قتال!

● جاء بعضُ الثقلاء إلى بعض الظرفاء فقال له: بلغنا
عنك أن لك أربعة آلاف كلمة من الجواب المسكت، وأحبُّ
أن تعلمني بعضها!

قال: سل عما بدا لك حتى أعلمك!

قال: إن قال لي أحد اسكت يا ثقيل؟

قال: قل له صدقت.

فخجل الرجل وانصرف!

● رفع رجل إلى الفضل بن يحيى رقعةً بيضاء ليس عليها

شيء! فقال له الفضل: يا هذا، ليس في رقعتك شيء
مكتوب!

فقال: يا سيدي اكتب فيها أنت ما يليق بفضلك!

فكتب فيها أن يُعطى مالاً جزيلاً!

● اشترى رجل ثلاثة أرطال لحمًا، وقال لامرأته: اطبخيه!

وخرج إلى شغله. فطبخته المرأة وأكلته. فلما جاء زوجها

قال: هات ما طبختِ. قالت له: أكله السنور!

فأخذ الرجل السنور ووزنه، فإذا فيه ثلاثة أرطال. فقال لها:

هذا وزن السنور فأين اللحم؟ أو هذا وزن اللحم فأين السنور؟!

● خاطب أعرابي عبد الله بن جعفر فقال في مخاطبته: يا أبا

الفضل! فقيل له: ليس هذا كنيته! فقال: إن لم تكن كنيته فهي

صفته!

● كان في المدينة أعمى، فأتى يوماً عيناً يغتسل بها،

فدخلها بثيابه، فقيل له: بللت ثيابك!

فقال: لعن تبتلَّ عليَّ أحبُّ إليَّ من أن تجفَّ على غيري!

● وقف بعض الشعراء بباب أمير الرقة، فلما مثل بين

يديه أنشده:

ماذا أقول إذا أتيت معاشري صُفراً يدي من جودِ أروع مُجَزِلِ
إن قلت أعطاني كذبت، وإن أقل بجل الأمير بماله لم يَجْمَلِ
ولأنت أعلم بالمكارم والعُلا من أن أقول فعلت ما لم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فإنني لا بَدَّ مخبرهم وإن لم أُسأل

فأعطاه عشره آلاف درهم، وكتب معها:

أعجلتني فأتاك عاجلُ رِفدنا قلاً ولو أمهلتنا لم يقللِ
فخذ القليلِ وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كأننا لم نفعل

● قيل لأبي العيناء: إن جماعة الكُتّاب يلومونك. فأنشد:

إذا رضيت عني كرامِ عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ كلابها!

● أبطأ عبدالله بن يحيى عن الديوان، فأرسل إليه المتوكل

يستفهمه عن حاله، فكتب إليه:

عليّ من مكانين من الإفلاس والدين
ففي هذين لي شغلٌ وحسبي شغل هذين!

● قال الأصمعي: رأيت أعرابياً يضاجر أخاه، فقال له

أخوه: والله لأهجوّنك!

قال: وكيف تهجوني وأبي أبوك وأمي أمك؟

قال: اسمع ما أقول:

لعييم أتاه اللؤم من ذات نفسه ولم يأت من إرث من أم ولا أب

● قال الإمام الشافعي: تزوج رجل امرأةً حديثةً على امرأة قديمة، فكانت جاريةً الحديثة تمرُّ بباب القديمة فتقول: وما يستوي الرجلان: رجلٌ صحيحٌ ورجلٌ رمى فيها الزمان فشلت ثم تعود فتقول:

وما يستوي الثوبان: ثوبٌ به البلى وثوبٌ بأيدي البائعين جديدٌ

فمرت جارية القديمة بباب الحديثة وأنشدت:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدأ لأول منزل!

● مرَّ نعيمان بابن نوفل البصير^(١) وهو في المسجد، فقال: يا نعيمان أريد أن أبول. فأخذ بيده وحمله إلى موضع في المسجد وقال له: اجلس. ومضى وتركه. فبال! وصاح به الناس: يا أبا المغيرة إنك في المسجد! فقال: نعيمان أجلسني ها هنا! لله عليّ أن أضربه بعصاي هذه إن وجدته!

(١) نعيمان صحابي عرف بمزاجه حتى مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وابن نوفل اسمه عبد الله، صحابي من القضاة، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ت ٨٤هـ.

فبلغ الخبر نُعيمان، فجاءه بعد ذلك - وهو أعمى لا يراه - وقال: هل أدُّلك على نُعيمان؟ قال: نعم. قال: هو ذا يصلي! وجاء به إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: هذا نُعيمان! فعلاه بالعصا، فصاح الناس به: ويحك هو عثمان أمير المؤمنين! فقال: من قادي إليه؟ قالوا: نُعيمان. قال: والله لا تعرّضتُ له بسوء أبداً!

● جاء رجل إلى الشعبي فقال: أصابَ ثوبي البول. قال: اغسله. قال: بماذا أعزّك الله؟ قال: بالخلّ

● جاء رجل إلى ثمامة بن الأشرس، فطلب أن يسلفه ويؤخّره، فقال له: هذه حاجتان، فأنا أقضي لك إحداهما! قال: قد رضيتُ. قال: فأنا أوخّرك ما شئتُ ولا أسلفك!

● وسأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة - حصاة المسجد - يجدها الإنسان في خفّه أو ثوبه أو جبهته، فقال له: ارم بها. فقال: زعموا أنها تصيح حتى تردّ إلى المسجد! قال: دعها تصيح حتى ينشقّ حلقها! قال الرجل: أو لها حلق؟ قال: فمن أين تصيح إذن؟!

● أخرج راعٍ غنماً للرعي: فجاء مع الليل والعصا على عنقه دون غنم! ف قيل له: وأين الغنم؟ فقال: لا إله إلا الله!

كنت أقول أيّ شيء نسيته في الجبل؟!

● أحرق فرّان طاجناً لفقيهه، فجاء ووقف على باب الفرن وقال: أيها الفرّين المسكين، أضرمت اليوم السعير، وأحرقت الطنجير، فوربّ العالمين، لولا أنك عندنا أمين، لضربتك بهذا الأطربزين، وأكلت من السياط مائةً وتسعين، ولبثت في السجن سنين...

● قال مطرّف: أتيت مالك بن أنس يوماً وهو يضحك، فسألته عن ذلك فقال: قام هنا إنسانٌ يصلي فجعل يقول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" فأرتج عليه، فجعل يردها مراراً ولا يتجاوزها. فقال له رجل: ما أعرفها هنا للشيطان ذنباً إلا أنك لا تحسنُ القراءة!

● أراد رجل أن يتزوج في قوم، فجاء بخطيب، فاستفتح خطبة النكاح بحمد الله فأطال، ثم ذكر خلق السماوات والأرض، ثم ذكر القرون الماضية، حتى ضجر من حضر! ثم التفت إلى الخاطب فقال: ما اسمك أعزك الله؟ قال: قد والله نسيته اسمي من طول خطبتها، وهي طالق إن تزوّجتها بهذه الخطبة!

فضحك القومُ وقعدوا في مجلس آخر!

● تزوج رجل، فأعطى الفقيه أجره المهر، فقال له: هذا قليلٌ على المهر. فقال له: يا سيدي، في الطلاق أخلفٌ عليك إن شاء الله.

● شهد رجلٌ عند قاضٍ، فقال له المشهود عليه: أتجوزُ شهادته وهو لم يحجّ؟ قال: قد حججت. فقال: سله عن بئر زمزم أين هو؟ فسأله القاضي عنه فقال: لا أدري أين هو، لأني حججتُ قبل أن يُحفر!

● ضربت امرأةٌ زوجها فقعد بيكي! فقالت له: وتبكي؟ قال: إي والله على رغم أنفك!

● قيل لأعرابي: من أشرّ، أنت أو أخوك!

قال: إذا جاء رمضان استوينا!

● قال الأصمعي: دخلتُ مسجداً لأصلي فيه، فوجدتُ رجلاً وهو يصلي، وقد رفع رجله ومدّها خلفه وجعل يده في السارية يمسكُ بها! فوقفْتُ حتى فرغ من صلاته وقلت له: لم رفعتَ رجلك ومددتها إلى خلفك؟

قال: كنت أشكُّ في طهارتها وأظن بها نجاسة، فأردت ألا أصلي بها!

● كان لرجلٍ أمٌّ عجوز، فجرى يوماً حديث النساء

وتزويجهن، فقال رجل: كلُّ امرأةٍ تقدر أن تحملَ كوزَ ماءٍ إلى أعلى السطحِ ينبغي أن تتزوج. فقالت العجوز: أنا والله أقدر أن أرفع الخاوية بالماء (وعاء كبير). فقال ابنها: والله لو صعدتِ بها فوق منارةِ الجامع ما زوّجتكِ!

● دعا بعضهم قوماً إلى طعامه، فلما مدُّوا أيديهم إلى الطعام هاله منظرهم، ولم يستطع الصبر فقال: هكذا والله تقوم القيامة!

● خرج نفرٌ من الكوفة في سفر، وانفقوا أن يدفع كل واحد منهم مبلغاً للسراج. فدفعوا، وامتنع واحد منهم. فكانوا إذا أوقدوا المصباح سدُّوا عينيه إلى وقت النوم، فإذا أطفؤوا السراج خلُّوا عنه!

● اصطحب اثنان في سفر، فقال أحدهما للآخر: تعالْ نأكل! فقال له: معي رغيف ومعك رغيف، فلولا أنك تريد أكثر ما قلت لي تعالْ نأكل جميعاً، وإلا فكلْ وحدك وأنا وحدي!

● كان الربيع والياً باليمامة، فأُتي بكلب قد عقر كلباً، فقتل الكلب الذي قتله، فقال الشاعر:

شهدتُ بأن الله حقُّ لقاءه وأن الربيع العامريّ ربيعُ
أقاد لنا كلباً بكلبٍ ولم يدعُ دماءَ كلابِ المسلمين تضيغُ!

● دخل أعرابي الكوفة، فقصد تماراً، فقال له:

رأيتك في النوم أعطيتني قواصرَ من تمرك البارحة
فقلت لصبياننا أبشروا برؤيا رأيتُ لكم سالحة
قواصيرُ تأتيكم غدوةً وإلا فتأتىكم رائحة
فأمُ العيال وصبيانها قلوبهم نحوها طامحة
فقل لي "نعم" إنها حلوةٌ ودعُ عنك "لا" إنها مالحة

فرفع إليه قوصرةَ تمرٍ وقال له: لا تعدّ ترَ مثل هذه الرؤيا مرة

أخرى!

● دُكر للأعمش ثقيلٌ كان يجلس بجانبه فقال: إني والله

لأبغض شقي الذي يليه من أجله!

● كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول إذا استثقل رجلاً:

اللهم اغفر له وأرحنا منه!

● كان بعضُ الظرفاء إذا رأى ثقيلاً قال: قد جاءكم

الجبيل! فإذا جلس عندهم قال: قد وقع عليكم!

● كتب أبو حفص الورّاق إلى الصاحب بن عبّاد: حالي

في الحنطة مختلفة، وجرذان داري عنها منصرفه، فإن رأى مولاي
أن يخلط عبده بمن أخصب رحله فعل إن شاء الله!

فوقع الصاحب فيها: أحسنت يا أبا حفص قولاً وسنحسنت
فعالاً، فبشّر جرذان دارك بالخصب، وأمنها من القحط، فالحنطة
تأتيك الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع!

● قال الأصمعي: مرّ بي أعرابي سائلاً، فقلت له: كيف

حالك؟

فقال: أسأل الناس إلحافاً فيعطوني كرهاً، فلا يؤجرون علي
ما يعطونني، ولا يبارك لي فيما آخذ منهم!

● ذكر المتنبي في مجلس أميرٍ بمحضر المعري وجماعة، فأخذ
الأمير يطعن على المتنبي ويضعف شعره ويذكر مقابحه، وكان
المعري حاملاً على الأمير لقلّة إحسانه إليه، فحمّله ذلك على
أن خالفه وأثنى على المتنبي، وقال: هو أشعر الشعراء وأحسنهم
شعراً، ولو لم يكن له إلا قصيدته التي أولها:

لك يا منازل في القلوب منازل

فأمر به الأمير أن يُضرب بالسياط. فضُرب، وأُخرج!

فعظّم ذلك على من حضر المجلس، وقالوا للأمير: رجلٌ
كبيرٌ من أهل العلم تضربه لما يقول عن المتنبي إنه أشعر

الشعراء؟ ما ذلك بصواب.

فقال: ليس كما قلتم، وإنما ضربته على تعريضه بي!

قالوا: وكيف ذلك؟

قال: لأنه لم يفضله بقصيدة من عالي شعره، وإنما فضله بتلك القصيدة مع أنها ليست من عالي شعره، لأنه يقول فيها بعد أبيات:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كاملٌ

فاستحسن مَنْ حضر فهمه وحدةً ذهنه وعذره فيما فعل.

وسئل المعري بعد ذلك فقال: والله ما قصدتُ غير ذلك!

● قال أبو زيد الأنصاري: رأيتُ أعرابياً كأن أنفه كوزٌ من عِظْمه. فرآنا نضحك منه فقال: ما يضحككم؟ فوالله لقد كنتُ في قوم يسموني الأفتس!

● حُكي أن رجلاً قام من مجلس خالد بن عبد الله القسري - أمير جواد - فقال الأمير: إني لأبغضُ هذا الرجل وما أذنب لي ذنباً! فقال له بعض من حضر: أوليته معروفاً قط؟ قال: لا. قال: فأوله معروفاً يخفُّ على قلبك!

ففعل، فخفَّ على قلبه، وصار واحداً من جلسائه!

● قال بعضهم: مثل الحريص في طلب الدنيا مثل رجل يصلي خلف الإمام وهو مستعجل لحاجته، فهو يسبق الإمام بالركوع والسجود استعجالاً للفراغ، ولا ينفعه ذلك، ولا يُخرجه من الصلاة إلا سلامُ الإمام!

● جاءت امرأة إلى موثّق يشهدُ عليها في عقد، فوجد اسمها "جميلة"، فلما نظر إليها وجدها قبيحة. فرمى العقد من يده وقال: لا أشهد بالزور، إنما أنتِ قبيحة!

● مرّ طفيلي يقوم يأكلون، فقال لهم: ما تأكلون؟ قالوا: شُماً قال: لا خير في الحياة بعدكم!

وجعل يأكل معهم!

● كان لنصراني قرد، فأعطاه دجاجة ينتفها، فأخذتها حدأة من بين يديه. فبقي القرد خائفاً من سيّده. فجرح نفسه، ولطخ جسده، وبقي ملقى على قفاه بالأرض كأنه ميت! فلما أكلت الحدأة الدجاجة رجعت تتشوّف. فرأته على تلك الحال، فنزلت إليه لتأخذه، فقبض عليها وقطع رأسها، وندفعها إلى سيّده! وقد كان ينظر إلى فعله!

● جاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت: إن زوجي حلف بطلاقي أن أطبخ قدرًا فيه ملح كثير على ألا يتبيّن طعم الملح

فيما يُوكل منها!

قال: خذي قِدرًا وألقي فيها ما تشائين من الملح، واسألني فيه بيضاً، فإنه لا ينفذ طعمُ الملح في البيض!

● اشترى رجل كبشاً في العيد، فلما دخل به على زوجته ورأته ضعيفاً قالت له: هذا الكبش يُشبهني وإياك! قال: وكيف ذلك؟ قالت: يُشبهني في الشحم وإياك في القرون!

● حكى الأصمعي قال: كان رجل من الأمم الناس وأبخلهم، وكان عنده لبن كثير، فسمع به رجل ظريف فقال: أموتُ أو أشربُ من لبنه!

فأقبل ومعه صاحبٌ له، حتى إذا كان بباب صاحبِ اللبن عُشيَ عليه وتماوت! فقعدَ صاحبهُ عند رأسه يسترجع (يقول إنا لله وإنا إليه راجعون). فخرج إليه صاحبُ اللبن فقال له: ما باله؟ فقال: هذا سيّد بني تميم أتاه أمر الله ههنا وكان قال: اسقني لبناً. فقال صاحب اللبن: هذا هيّن موجود. يا غلام ائتني بقدر من لبن! فأتاه، فأسندهُ صاحبه إلى صدره، وسقاهُ حتى أتى عليه وتجشأ! فقال صاحبه لصاحب اللبن: أتقول هذه راحة الموت؟

ففطن لهما وقال: أماتك الله وإياه!

● سمع يزيد جاراً له يضرب غلامه وهو يستغيث، فخرج

إليه وقال له: ما لك تضربُ هذا الغلام؟

فقال له: ذنبه عظيم! قال: وما ذنبه؟ قال: سرق حبلاً حجَّ به أبي واعتمرتُ به أمي!

فقال: والله لو سرق الكعبة حتى يبقى الناس بلا حجٍّ ما وجب عليه هذا!

● كان أعرابي إذا توضَّأ بدأ بوجهه فيغسله، ثم يغسل فرجه بعد ذلك! فقيل له في ذلك فقال: والله لا أبدأ بالخبِيثِ قبل وجهي!

● لقي أعرابي أعرابياً فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من خلفي! قال: وأين تريد؟ قال: أمامي! قال: كيف العشب؟ قال: رطبٌ ويابس! قال: كيف المشية؟ قال: ضأنٌ وماعز! قال: ممن أنت؟ قال: من أمي وأبي!

● سُئل أعرابي عن مسألة في الموارِيث، ففكر ساعة ثم قال: انظروا هل مات مع هذا الميت أحدٌ من قرابته؟ فقالوا: ولم؟ قال: هذه المسألة لا تصحُّ إلا بموتِ آخر!

● قال الأصمعي: سألتُ أعرابياً عن شهر رمضان كيف صاموه؟ فقال: تجرَّد منا ثلاثون رجلاً، فصام كلُّ واحدٍ يومه!

● حَدَّثَ الزبير بن عبدالمملك الهاشمي قال: مررتُ ببعض المعلمين - ويُعرف بكسرى - فرأيتَه يصلي إماماً بصبيانٍ صلاة العصر، ولم أزل واقفاً أنظر إليه، فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه لينظرَ ما يصنع الصبيان خلفه! فرأى صبياً يلعب، فقال وهو راكع: يا ابن البغال إني أرى ما تصنع!

● كان أحق يمشي في الأسواق في زمان البرد ويصيح: ما هذا صواب، ولا في المدينة أخشاب، يؤخذ الحرُّ كلُّه ويُجعل في الحمّامات، وتُترك الدنيا بالبرد؟!

● سُئِلَ رجل كان ينظرُ في المواريث عن مسألة منها، فالتمسها في كتابه فلم يجدها، فقال: هذا الرجلُ لم يمت، ولو مات لوجدتُ ذلك في كتابي!

● كان الأستاذ الشلوبين على جلاله قدره ومعرفته بالنحو فيه تغلُّل، فتروى عنه أشياء غريبة!

طلع يوماً في زورق بوادي إشبيلية مع طلبته ومعه كراريس ينظر فيها، فسقطت له كراسة في الماء، فأخذ أخرى يخرجها بها!

وظلع يوماً آخر في زورق الوادي، فأعطاه بعض طلبته عنقودَ عنب، فألقاه في الماء. فلما كان بعد ساعة وقد ساروا في

الوادي نحو أربعة أميال، أدخل يدهُ في الماء ينظره، فقالوا له: ما تنظر يا سيدي؟ قال: العنقود الذي أعطيتموني، كنت جعلتهُ في الماء يبرد فلم أجده!

وجاء يوماً وعليه ثوبُ امرأته، فنظر إليه الطلبة وقالوا له: يا سيدي ما هذا الثوب؟ فنظر إليه وقال: قمتُ مستعجلاً فلم أدِرِ ما لبست؟!!

وركب يوماً فرساً وسار مع الطلبة إلى موضع، فجرى به الفرس فجأة، فقال له الطلبة: شدَّ يدك في اللجام! فرمى اللجام من يده وأخذ بعرف الفرس، فلم تقف؟ فرمى بنفسه في الأرض. وأسرع الطلبة فرفعوه، وقالوا له: يا سيدي لو شددت يدك في اللجام لوقف! فقال: ما أجهلك! هو لم يقف حين شددتُ يدي بالمتصل، فكيف بالمنفصل؟!!

ودخل يوماً السوقَ ليشتري نعلاً لابنته، فقال له البائع: كم سئها؟ فقال: لا أدري، ولكنها في حجمِ الشجرة!

● وكان (فلان) الصيدلاني أكثرَ الناس غفلة! جاء إلى حجّام ليأخذ من شعره، فلما جلس بين يديه ذكر أنه نسي منديل كَمّه، وقال للحجّام: لا تأخذ من شعري شيئاً حتى

أعود إليك!

● وأتاه ساكن في دار له فقال: قد انفتح المرحاض! قال:
قد رأيته منذ عامين فعلمت أنه يفتح، ولكنني ما ظننت أنه
ينفتح بهذه السرعة، وإلا كنت أتغذاه قبل أن يتعشاني!

● رقد مغفل في بيته، فدخلت عليه الشمس من طاقٍ
هناك، فغطى وجهه بكفه، فجاءت الشمس على كفه، فغطى
كفه بثوبٍ فطلعت الشمس على ذلك الثوب! فقال: هذا
شيء لا يغطى!

● خطب بعضهم فقال: أقول كما قال العبد
الصالح: ↓   
•  
فرعون قال هذا! قال: يا قوم، من قاله فقد أحسن!

● ووقف مغفلٌ على شيخ من أهل العلم فقال: أصلحك
الله، سمعتُ الساعة في السوق شيئاً منكراً! قال: وما هو؟ قال:

(١) سورة غافر، الآية ٢٩.

يشتمون الأنبياء! قال الشيخ: ومن من الأنبياء الذي سُتِم؟
قال: معاوية! قال له: يا ابن أخي ليس معاوية نبياً. قال: ففيه
نصفُ نبي، أيُشتم؟!

● وقال أبو علي اللواز يوماً لقوم من أصحابه دخلوا عليه
في داره: والله لو كان لي دجاجٌ مشويات لذبحتها لكم!
● قال صبي لأبيه: ما الذي يُزرعُ حتى ينبت فيه الخرفان؟
قال: القرون!

فجمع القرون وزرع، وما زال يسقيها شهراً فلم ينبت،
فنبشها لينظرها، فلسعته عقرب فقال: أنتم لم تنبتوا بعد وصرتم
تنطحويني!

● قال ثمامة بن أشرس: سمعتُ قاصاً بيغداد وهو يقول:
اللهم ارزقني الشهادة أنا وجميع المسلمين!

● وقع الذبابُ على وجه مغفل فقال: ما لكم كثر الله
بكم القبور!

● سُرقت نعلٌ لعامر بن عبد الله بن الزبير، فلم يلبس بعد
ذلك نعلًا حتى مات، وقال: أكره أن أتخذَ نعلًا، فيجيءُ من

يسرقها، فيأثم!

● قال بعضهم: مررتُ ببعض طرق الكوفة، فإذا أنا برجل يخاصمُ جاراً له. فقلت: ما بالكما؟ فقال: إن صديقي زارني فاشتَهَى رأساً، فاشتريته وتعدّينا، فأخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجملُ بها عند جيراني، فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهمُ الناسَ أنه اشترى الرأس!

● جمع بعض الملوك بين مجنونين ليضحك عليهما، فبعث بهما، فأسمعاهُ ما يكره، فدعا بالسيف، فقال أحد المجنونين لصاحبه: كنا اثنين فصرنا ثلاثة!

● قال معاوية رضي الله عنه: إني لا أضعُ سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضعُ سوطي حيث يكفيني لساني. ولو أن بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعت! قيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنتُ إذا شدُّوها أرخيْتُها، وإذا أرخوها شددْتُها.

● سُئل بعض الحكماء: أي الأمور أشدُّ تأييداً للعقل، وأيها أشدُّ إضراراً به؟

فقال: أشدُّها تأييداً له ثلاثة أشياء: مشاوراة العلماء، وتجربةُ الأمور، وحسنُ التثبت. وأشدُّها إضراراً به: الاستبداد،

والتهاون، والعجلة!

● قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أضيِّعه!

فقال: كفاك بترك العلم إضاعةً له!

● قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: التقديرُ نصفُ العيش، والتوهُدُّ نصفُ العقل، وحسنُ طلب الحاجة نصفُ العلم!

● قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لا تُعادوا نعم الله! قالوا: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله!

● قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ثلاثة أحبها لنفسي ولمن أريد رشده: أحبُّ أن أكون بيني وبين ربي من أفضل عبادته، وأكون بيني وبين الخلق من أوسطهم، وأكون بيني وبين نفسي من شرِّهم!

● قال أكنم بن صيفي: القرابة تحتاج إلى مودَّة، والمودَّة لا تحتاج إلى قرابة!

● قال رجل لبكر بن عبدالله: علِّمني التواضع. فقال: إذا

رأيتَ من هو أكبرُ منك سنّاً فقل: سبقني إلى الإسلام والعملِ
الصالح فهو خيرٌ مني، وإذا رأيتَ من هو أصغرُ منك سنّاً فقل:
سبقته إلى الذنوب فهو خيرٌ مني!

● قال بعض الحكماء: أقلُّ الدنيا يكفي وأكثرها لا
يكفي! أخذه عن قول أبي فراس:

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافيا وإذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافي

● قال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: دخلت
على جميل بثينة أعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال: يا ابن
سعد، ما تقول في رجل لم يزن قط، ولم يشرب خمرًا قط، ولم
يقتل نفساً قط، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟
قلت: أظنه قد نجا، فمن هذا الرجل؟
قال: إني أرجو أن أكون.

فتضحكت وقلت: أبعد عشرين سنة تأتي بثينة وتقول فيها
الأشعار؟ والله ما سلمت من قول الناس!

قال: إني لفي آخر يومٍ من أيام الدنيا وأول يومٍ من أيام
الآخرة، فلا نالني شفاعَةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة
إن كنتَ حدّثتُ نفسي بحرامٍ قط، فضلاً عمّا وراء ذلك!

● نظر يزيد بن مزيد الشيباني إلى رجل ذي حية عظيمة

وقد تَلَقَّفت على صدره، وإذا هو خاضب، فقال له: إنك من
لحيتك في مؤونة! فقال: أجل! ولذلك أقول:

لعمرك لو يُعطي الأميرُ على اللحي لأصحبْتُ قد أيسرتُ منذ زمانٍ
لها درهم للدهن في كلِّ جمعةٍ وآخر للحناء للحناء يتدران
فأمر له بمال.

● من مُلِحَ الصاحب بن عباد ما يُحكى عنه أن بعض
الشعراء كتب إليه:

أيا من عطاياهُ تدني الغني إلى راحتي مَن نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين نَ كِساءً لم يُخلُ مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ثيابٍ من الخرز إلا أنا!

فقال الصاحب: قرأتُ في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً
قال له: احملني أيها الأمير! فأمر له بناقة وفرس وحمار وجارية،
ثم قال: لو علمتُ أن الله خلق مركوباً غيرَ ما أمرتُ لك به
لحملتُك عليه، وقد أمرنا لك بجبة وقميص وسراويل وعمامة
ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس، ولو علمتُ
لباساً غير هذا لأعطيناك!

● قدم أعرابي البصرة، فنزل على ابن عم له، فلما رأى
البحريُّ شعثَ الأعرابي أراد أن ينظفه، فقال له: إن الناس
يتطهرون للجمعة، ويتنظفون، ويلبسون أحسن الثياب، فتعال

أَدْخَلَكَ الْحَمَّامُ لِتَنْظِفَ وَتَتَطَهَّرَ لِلصَّلَاةِ!

فَدَخَلَ مَعَهُ الْحَمَّامُ، فَعِنْدَمَا وَطِئَ الْأَعْرَابِيُّ فَرْشَ أَوَّلِ بَيْتٍ فِي الْحَمَّامِ لَمْ يَحْسِنِ الْمَشْيَ عَلَيْهِ لِشِدَّةِ مَلَاَسْتِهِ. فَزَلِقَ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ فَشُجَّ شَجَّةً مَنْكَرَةً، فَخَرَجَ وَهُوَ يَنْشُدُ:

وَقَالُوا تَطَهَّرْ إِنَّهُ يَوْمُ جُمُعَةٍ فَأُبْتُ مِنَ الْحَمَّامِ غَيْرَ مَطَهَّرٍ
تَزَوَّدْتُ مِنْهُ شَجَّةً فَوْقَ حَاجِي بِغَيْرِ جِهَادٍ بئسَ مَا كَانَ مِتْجَرِي
وَمَا تَعَرَّفُ الْأَعْرَابُ مَشِيًّا بِأَرْضِهَا فَكَيْفَ بَيْتِ ذِي رِخَامٍ وَمَرْمَرٍ!

● دَخَلَ عَلِيَّ الْحَجَّاجُ سَلِيكُ مَنْ سَلَكَ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ
الْأَمِيرَ، أَعْرَبِي سَمْعَكَ، وَاغْضُضْ عَنِي بَصْرَكَ، وَاكْفِفْ عَنِي عَزَّكَ،
فَإِن سَمِعْتَ خَطَأً أَوْ زَلَالاً فَدُونِكَ وَالْعُقُوبَةُ! قَالَ: قَل. قَالَ:
عَصَى عَاصٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ، فَحَلَفَ عَلِيٌّ اسْمِي، وَخُرِمْتُ عَطَائِي،
وَهُدِمَ مَنْزِلِي!

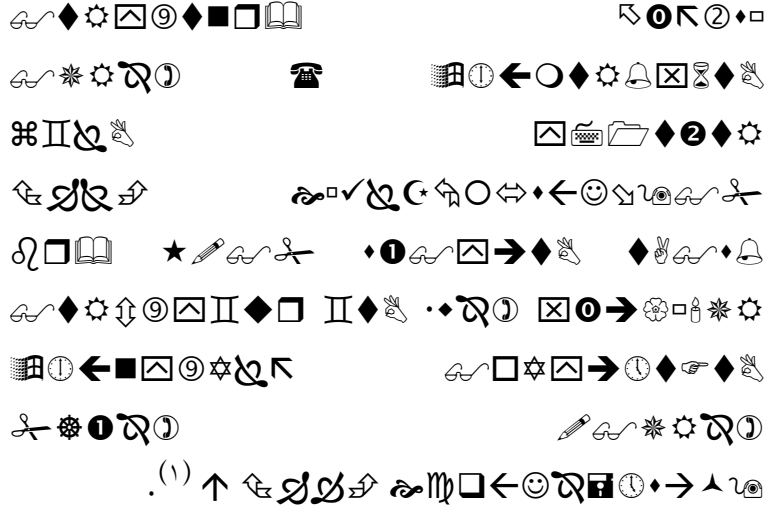
فَقَالَ الْحَجَّاجُ: هَيْهَاتَ! أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

جَانِيكَ مِنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَرَبَّمَا تُعْدِي الصَّحَاخَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ
وَلَرَبِّ مَأْخُودٍ بِذَنْبِ عَشِيرَةٍ وَنَجَا الْمَقَارِفُ صَاحِبُ الدَّنْبِ
قَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا! قَالَ:
وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ↓

③◆⌚*□⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟

ⒶⒷⒸⒹⒺⒻⒼⒽⒾⒿⓀⓁⓂⓎⓏⓐⓑⓔⓕⓖⓗⓘⓙⓚⓛⓞⓟⓠⓡⓢⓣⓤⓥⓦⓧⓨⓩ⓪⓫⓬⓭⓮⓯⓰⓱⓲⓳⓴⓵⓶⓷⓸⓹⓺⓻⓼⓽⓾⓿ⓀⓁⓍⓎⓏⓐⓑⓔⓕⓖⓗⓘⓙⓚⓛⓞⓟⓠⓡⓢⓣⓤⓥⓦⓧⓨⓩ⓪⓫⓬⓭⓮⓯⓰⓱⓲⓳⓴⓵⓶⓷⓸⓹⓺⓻⓼⓽⓾⓿

ⓀⓁⓍⓎⓏⓐⓑⓔⓕⓖⓗⓘⓙⓚⓛⓞⓟⓠⓡⓢⓣⓤⓥⓦⓧⓨⓩ⓪⓫⓬⓭⓮⓯⓰⓱⓲⓳⓴⓵⓶⓷⓸⓹⓺⓻⓼⓽⓾⓿



قال الحجاج: عليّ يزيد بن أبي مسلم. فوقف بين يديه فقال: افكك لهذا عن اسمه، واصكك له بعطائه، وابن له منزله، وأمر منادياً ينادي: صدق الله، وكذب الشاعر.

● كانت بعض القبائل تفخرُ لطول أجسامها، حتى قال فيهم حسان بن ثابت:

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن غلظٍ جسمُ البغالِ وأحلامُ العصفيرِ

فقالوا له: يا أبا الوليد، والله لقد تركتنا ونحن نستحيي من ذكر أجسامنا بعد أن كنا نفخرُ بذلك!

● لقي أبو دلامة أبا دلف في صيد له - وهو والي العراق

(١) سورة يوسف، الآيتان ٧٨-٧٩.

— فأخذ بعنان فرسه وأنشد:

إني حلفت لعن رأيتك سالماً بئسرى العراق وأنت ذو وئبر
لثُصَلِّينَ على النبيِّ محمدٍ ولتملاًنَّ دراهماً حجري
فقال: أما الصلاة على النبيِّ فنعم، صلى الله عليه وسلم،
وأما الدراهم فعندما نرجع إن شاء الله!

فقال: جُعلت فداك، لا تفرِّق بينهما!

فاستلفها له وصُبَّتْ في حجره حتى أثقلته!

● بينما خالد بن عبدالله القسري جالسٌ في مظلة، إذ نظر
إلى أعرابي يخبُّ بعيراً، مقبلاً. فقال لحاجبه: إذا قدم فلا تحجبه!
فلما دخل عليه سلّم وقال:

أصلحك الله قلّ ما بيدي فما أُطيقُ العيالَ إذ كثروا
أناخَ دهرٌ ألقى بكلِّكـله فأرسلوني إليك وانتظروا

فقال خالد: أرسلوك وانتظروا؟ والله لا تنزلُ حتى تنصرفَ

إليهم بما يسرُّهم!

وأمر له بجائزة عظيمة، وكسوة شريفة!

● دخل أعرابي مسجداً رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسأل عن الفقهاء، فدُلَّ على ابن أبي ذيب. فأتى حلقتَه
فقال: أيكم الذيب؟ فقال: ما تريد؟ قال: أنت هو؟ قال: نعم.

فسأله عن مسألة في الطلاق فقال: ما أرى الطلاق إلا قد وقع! فتولَّى الأعرابي وهو يقول:

أتيتُ ابنَ ذيبٍ أطلبُ الفقهَ عندهُ فطلَّقَ ليلىَ البتِّ بُتَّتْ أناملُهُ
أُتْرِكُ في فقهِ ابنِ ذيبٍ حليلتي وعند ابنِ ذيبٍ أهلهُ وحلائلهُ!

● العبد الصالح الزاهد القاضي ابن عياض، كان يقول: إذا رأيتُ الليلَ مقبلاً فرحتُ وقلت: أخلو لربي. وإذا أبصرْتُ الصبحَ استرجعتُ، كراهة أن يجيء من يشغلني!

* * *

الشكوى والعتاب

وما وقع للخلان والأصحاب^(١)

للثعالبي

عاتب عثمانُ علياً رضي الله عنهما وعليٌّ مطرق، فقال: ما

لك لا تقول؟

(١) الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب / لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تم التحقيق والمراجعة بقسم التحقيق بالدار - طنطا، دار الصحابة للتراث، ١٤١٢هـ، ١٦٧ص.

وفيه عشرة أبواب، هي:

- في العتاب والشكوى والتريب والبت والاستعطاف.
- في العبيد والإماء والأمر بالاستيضاء بالماليك خيراً والنهي عن سوء الملكة وغير ذلك.
- في العداوة والحسد والبغضاء والشماتة وذكر الأضغان والوعيد والتهديد.
- في العدل والإنصاف واستعمال السوية في القسمة وغيرها، ومن عدل وأوصى بالعدل.
- في العجز والتواني والكسل والبطء والتردد في الأمر وما أشبه ذلك.
- في العفاف والورع والعصمة وذكر الحلال والحرام.
- في التعجب وذكر العجائب والنوادر وما خرج من العادات.
- في العشق وذكر من بلي به وقال فيه الشعر، ومن مات منهم كمداً، ومن رق لهم وترحم عليهم.
- في العمل والكد والتعب والشغل والجد والعزم والنية والكفاية والعجلة والسرعة والعدو وحسن التأني في الأمور وانتهاز الفرص.

فقال: إن قلتُ لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما

تحبّ!

● قال أبو الدرداء رضي الله عنه: معاتبَةُ الأخ أهونُ من

فقدته. ومن لك بأخيك كله؟

● قال إياس بن معاوية: خرجتُ في سفر ومعِي رجل من

الأعراب، فلما كان ببعض المناهل لقيه ابنُ عمِّ له، فتعانقا
وتعابتا، وإلى جانبهما شيخٌ من الحيّ، فقال لهما: أنعما عيشاً،
إن المعاتبَةَ تبعثُ التجيّي، والتجيّي يبعثُ المخاصمة، والمخاصمةُ
تبعثُ العداوة، ولا خيرَ في شيءٍ ثمرتهُ العداوة.

● قال الشاعر أحمد بن أبي فتن:

إذا كنتَ تغضب في غير ذنبٍ وتعتبُ من غير جرمٍ عليّ
طلبْتُ رضاك فإن عرّني عددتُك ميتاً وإن كنتَ حيّاً

● قال عمرو بن الأبهم النصراني: من أحوجك إلى العتاب

فقد وطّن نفسه عن الهجر.

● قال كثيرٌ عزة:

ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمتُّ وهو عاتبُ
ومن يتبّع جاهداً كل عثرةٍ يجدها ولم يسلم له الدهرُ صاحبُ

● قال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كنت أضرب غلاماً لي، فسمعت من خلفي صوتاً: "اعلم أبا مسعود، الله أقدرُ منك عليه". فالتفت، فإذا هو النبيُّ صلى الله عليه وسلم! فقلت: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله تعالى. فقال: "أما لو لم تفعل للفحنتك النار". رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

● قال زاذان: أتيتُ ابن عمر رضي الله عنهما وقد أعتق مملوكاً له، فأخذ من الأرض عوداً وقال: ما لي من الأجر ما يساوي هذا، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من لطمَ مملوكه أو ضربه فكفارته أن يُعتقه". رواه مسلم وأبو داود.

● تغدَّى سليمان عند يزيد بن المهلب، فقيل له: صف لنا أحسن ما كان في منزله.

فقال: رأيت غلماناً يخدمونه بالإشارة دون القول!

● قال أبو اليقظان: إن قريشاً لم تكن ترغبُ في أمهات الأولاد حتى ولدن ثلاثةً هم خيرُ أهل زمانهم: علي ابن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله. وذلك أن عمر رضي الله عنه أتى بنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى

مسييات، فأراد بيعهنّ، فقال له علي رضي الله عنه: إن بناتِ
الملوك لا يبعن، ولكن قوّمهن. فأعطاه أثمانهنّ، فقسمن بين
الحسين بن علي، ومحمد بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، فولد
من هؤلاء الثلاثة!

● قال المأمون:

كنتُ حُرّاً هاشمياً فاسترقتني الإماء أنا مملوكٌ لمملوكٍ وتحتي الأمراءُ
وكانت للمأمون جاريةً من أحسن الجواري وجهاً وأسبقهم
إلى كل نادرة، فحلت عنده في ألطف محلّ...

● ابتاع بعضُ الشيوخ غلاماً، فقال له الثعالبي: بورك لك
فيه. فقال: البركة مع من قدر على خدمة نفسه واستغنى عن
استخدام غيره، فخفت مؤونته، وهانت تكاليفه، وكُفي سياسة
العبيد.

● قال الحجاج بن عبدالمملك بن الحجاج بن يوسف: لو
كان هناك رجل من ذهب لكنته! قيل: كيف؟ قال: لم تلدني
أمة إلى آدم ما خلا هاجر. فقالوا: لولا هاجر لكنت كلباً من
الكلاب!

● قال الحارث بن أبي شمّر الغساني: من اعتزّ بكلام عدوّه

فهو أعدى عدوِّ لنفسه.

● قال حكيم: إني لأغتنم من عدوي أن أُلقي عليه النملة

وهو لا يشعر فتؤذيه!

● قيل لأرسطاطاليس: ما بال الحسود أشدُّ غمًّا؟

قال: لأنه يأخذ بنصيبه من غموم الدنيا، ويضاف إلى

ذلك غمُّه بسرور الناس!

● قال الأصمعي: رأيتُ أعرابياً قد بلغ عمره مائة سنة،

فقلت له: ما طوّل عمرك؟ قال: تركت الحسدَ فبقيت!

● قال بعضهم:

يا طالبَ العيش في أمنٍ وفي دعة رعدًا بلا قترٍ صفواً بلا رنقٍ

خَلِّصْ فؤادك من غلٍّ ومن حسدٍ فالغلُّ في القلبِ مثلُ الغلِّ في العنقِ

● لو كانت المشاجرة شجرةً لم تثمر إلا ضجرًا!

● الخلافُ غلافُ الشرِّ!

● قال بعضهم:

فدع الوعيدَ فما وعيدك ضائري أطنينُ أجنحةِ الذبابِ يضيرو؟

● قال عليُّ رضي الله عنه: أشدُّ الأعمال ثلاثة: ذكرُ الله

على كلِّ حال، ومواساةُ الإخوان بالمال، وإنصافُ الناس من
نفسك!

● يقول الإسكندر: إذا لم يُعَمِّر الملكُ ملكه بالإنصاف،
خَرَّبَ ملكه بالعصيان!

● وقال أردشير: إذا رغبَ الملك عن العدل، رغبَت الرعية
عن الطاعة!

● نزل بالحسن بن علي رضي الله عنه ضيف، فاستسلفَ
درهماً اشترى له به خبزاً، واحتاجَ إلى الإدام، فطلب من قنبر
الخادم أن يفتح له زقاقاً به غسل جاء من اليمن، فأخذ منه
رطلاً. فلما قعد عليُّ رضي الله عنه ليقسمها قال: يا قنبر، قد
حدث في هذا الزقِّ حادث! فقال: صدقت. وأخبره الخبر،
فغضب وقال: عليٌّ به. فرفع عليه الدرّة وقال: ما حملك أن
أخذتَ منه قبل القسمة؟ قال: إن لنا فيه حقاً، فإذا أعطيتنا
أرجعناه! قال: فداك أبوك، وإن كان لك فيه حقٌّ فليس لك أن
تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم، لولا أني رأيتُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبَّل ثنيتك لأوجعتك ضرباً!

ثم دفع إلى قنبر درهماً وقال: اشترِ به أجودَ العسل.

قال الراوي: فكأني أنظر إلى يدي عليٍّ على فم الزقِّ وقنبر

يقلّب العسل فيه، ثم شدّه وجعل ييكي ويقول: اللهم اغفر
للحسن فإنه لا يعلم!

● قال أبو المعافى:

إن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوّجها المهرا
فراشاً وطيباً ثم قال لها أتكي فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا

● خرج المعتصم إلى بعض متنزهاته، فظهر لهم أسد، فقال
لرجل أعجبيه قوامه وتماّم خلقه: يا رجل أفيك خير؟ فقال
بالعجلة: لا والله يا أمير المؤمنين. فضحك المعتصم وقال:
قَبَّحَك اللهُ!

● قال أبو بكر العذري:

أرى عاجزاً لعفافه ولولا التقى ما أعجزته مذهبُه

● قال لبيد: الخيبة نتيجة مقدمتين: الكسل والفشل، وثمره

شجرتين: الضجر والملل.

● قيل: الكسلان إذ أرسلته في حاجة تكهن عليك:

يسحبُ رجلاً لا تكاد تنسحب إن الهوينى تورث الهوانا

● قال المأمون: إن النفس لتملُّ الراحة كما تملُّ التعب.

● قال بعضهم:

أتناسيت أم نسيت إخائي والتناسي شرٌّ من النسيان

● قال عليّ رضي الله عنه: العفاف زينة الفقير.

● قال سليمان عليه السلام: إن الغالب لهواه أشدُّ من

الذي يفتح المدينة وحده!

● الحلال يقطر، والحرام يسيل!

● قال ابن سيرين: ما غشيتُ امرأة قطُّ في يقظة ولا نوم

غير أمّ عبدالله - يعني زوجته - وإني لأرى المرأة في المنام فأعلم

أنها لا تحلُّ لي فأصرفُ بصري عنها!

قال بعضهم: ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في

المنام!

● عن ثوبان، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ

جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضاً، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً".

قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جَلِّهم لنا، أن لا

نكون منهم ونحن لا نعلم.

قال: "أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها"^(١).

● قال فضيل بن عياض في ابنه عليّ: كانت لنا شاة أكلت شيئاً يسيراً من علف الأمراء، فما شرب من لبنها بعد!

● لو قيل: أيُّ شيء أعجبٌ عندك؟ لقلت: قلبٌ عرف الله ثم عصى!

● من عجائب الظبي أنه يقضم الحنظل قضمًا، ويمضغه مضغًا ومأوه يسيل في شذقيه، ويتبين فيه الاستلذاذ له والحلاوة لطعمه. ويردُّ البحرَ فيشرب الماءَ الملح، ويغمسُ فيه حلقه كما تغمسُ الشاة لحبيها في الماء العذب، فأَيُّ شيء أعجبٌ من حيوان يستعذبُ ملوحة البحر، ويستحلي مرارة الحنظل؟!

● قال الشافعي رحمه الله: بينما أنا أدورُ في طلب العلم، فدخلتُ بلدةً من بلاد اليمن، فرأيتُ فيها إنساناً وسطه إلى أسفله بدنُ امرأة، ومن وسطه إلى فوق بدنان ذكران متفرقان بأربع أياد ورأسين ووجهين. فسألتُ عنهما، وهما يتقاتلان ويتلاطمان، ويصطلحان، ويأكلان ويشربان. ثم غبتُ عنهما

(١) رواه ابن ماجه (رقم ٤٢٤٥). وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

سنتين ورجعت، فسألتُ عنهما فقيل لي: أحسنَ الله عزاءك في
الجسد الواحد، توفي، فربط من أسفله بجبل وثيق وثرى حتى
ذبل ففُطع، فلعهدي بالجسد الآخر في السوق ذاهباً وجائياً!
● وقال رحمه الله: رأيت باليمن أعميين يتقاتلان وأبكم
يُصلح بينهما!

● سأل الرشيد رجلاً: ما أشدُّ ما يكون العشق؟
قال: أن يكون ريحُ البصل من المحبوب أحبَّ إليك من
رائحةِ المسك من غيره!

● عشق رجل امرأة فقيل له: ما بلغ من عشقك لها؟
قال: كنتُ أرى القمرَ على سطح دارها أحسنَ منه على
سطوح الناس!

● قيل: يعيش العاقل بعقله حيث كان، كما يعيش الأسد
بقوّته حيث كان!

● وقيل: كلُّ شيء يحتاج إلى العقل، والعقلُ يحتاج إلى
التجارب.

● قال الحجاج لابن القريّة: من أعقلُ الناس؟
قال: الذي يُحسن المداراة مع أهل زمانه.
● وقال حكيم: العقل والتجربة في التعاون بمنزلة الماء

- والأرض، لا يُطيق أحدهما دون الآخر إثباتاً.
- قال المأمون: إذا أنكرت من عقلك شيئاً فاقدحه بعقل!
 - قيل لعليّ رضي الله عنه: صف لنا العاقل.
قال: هو الذي يضع الشيء موضعه.
قيل: صف لنا الجاهل.
قال: قد فعلت. يعني الذي لا يضع الشيء موضعه.
 - أعقل الرجال لا يستغني عن مشورة أولي الألباب، وأفرد الدواب لا يستغني عن السّوط، وأورع النساء لا تستغني عن الزوج!
 - رأى كلباً كلباً آخر وفي فمه رغيف محترق، فقال له: ويحك! ما أردأ هذا الرغيف! فقال: لن أتركه حتى أجد خيراً منه.
 - كان بعض الماضين إذا استُشير قال لمشاوره: أنظرني حتى أصقل عقلي بنومة.
 - قال أعرابي: لا مال أوفر من العقل، ولا فقر أعظم من الجهل، ولا ظهر أقوى من المشورة.
 - قال مطرف: لأن يقول لي ربي لم لم تعمل، أحب إليّ

من أن يقول لي لم عملت؟

- من غلي دماغه في القيظ غلث قدره في الشتاء.
- قال ابن أبي لبابة: من طلب عزاً بباطل، أورثه الله ذلاً بحق.

- قدم البصرة بدوي، فقال لخالد بن صفوان: أخبرني عن سيّد هذه المصر. قال: الحسن البصري: قال: عربي هو أو مولى. قال: هو مولى. فقال: وبم استأدها؟ قال: احتاجوا إليه في دينهم، واستغنى هو عن دنياهم.

فقال البدوي: كفى بهذا سؤدداً!

- قال بعضهم: إني لأعشقُ الشرف كما يُعشَقُ الجمال!
- قال الشعبي: كانت درّة عمر أهيب من سيف الحجاج!

طبائع النساء^(١) لابن عبد ربّه الأندلسي

المرأة العاقلة تبني بيتها، والسفیهة تهدمه.

(١) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأسرار / أحمد محمد بن عبدربه الأندلسي؛ تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم. - القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤٠٥هـ، ٢٦٤ص.

وعنوان الكتاب يفصح عن مضمونه، وإنما هو فقرات وأبواب موزعة في كتاب "العقد الفريد"، قام المحقق باستخراجها وترتيبها وتقسيمها، واختيار ما يلائمها من عناوين، والتعليق عليها، فأخذ من أصول العناوين: قولهم في المناكح، وفي النساء وصفاتهن، وصفة المرأة السوء. وعلامة الحب والبغض، وصفة الحسن، والمنجبات من النساء، ومن أخبار النساء، وباب الطلاق، وفي مكر النساء وغدرهن، والهجناء، وباب في الأدعياء، وفي الباه وما قيل فيه، وفي النكاح.

ثم ما هو في المفاهات، وما يكتب على العصائب وغيرها، والمضحكات، ثم عرّج على الوافدات على معاوية، ومن يضرب به المثل من النساء، ومن أمثال العرب، ثم القول عند الموت.

وأخيراً قولهم في رقة التشبيب، وقواهم في النحول. وقولهم في التوديع. وكان حصيلة ما سبق مجموع ما ورد في طبائع النساء وأخبارهن، وما يُحمد ويذم من عشرتهن، وما في هذه الحياة من غرائب وعجائب. والمؤلف أديب وشاعر مشهور، عُرف بكتابه "العقد الفريد"، فغلب عليه الاشتغال بأخبار العرب وجمعها. ت ٣٢٨هـ.

● خرج بلال بن رباح مؤدّن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخيه إلى قومٍ من بني ليث، يخطبُ إليهم لنفسه ولأخيه، فقال: أنا بلال، وهذا أخي. كنا ضالّين فهدانا الله، وكنا عبدين فأعتقنا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله، فإن تُرَوِّجونا فالحمدُ لله، وإن تردُّونا فالمستعانُ الله.

قالوا: نعم وكرامة. فزوّجوهما.

● لما قدم معاوية من الشام، وكان عمر قد استعمله عليها، دخل على أمه هند، فقالت له: يا بني، إنه قلّمَا ولدت حرّةً مثلك! وقد استعملك هذا الرجل، فاعمل بما وافقه، أحببتَ ذلك أم كرهته.

ثم دخل على أبي سفيان، فقال له: يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم، فرفعهم سبقهم، وقصّر بنا تأخّرنا، فصيرنا أتباعاً وصاروا قادة، وقد قلّدوك جسيماً من أمرهم، فلا تخالفنَّ أمرهم.

● قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان: هل لك في ابنة عمِّ لي بكرٍ جميلة، ممتلئة الخلق، أصيلة الخدّ، أصيلة الرأي، تتزوجها؟ قال: نعم. فذكرت له "نائلة بنت

الفرافصة الكلبية" فتزوجها وهي نصرانية، فأسلمت، وحُملت إليه من بلاد كلب، فلما دخلت عليه، قال لها: لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟ قالت: والله يا أمير المؤمنين، إني من نسوة أحب أزواجهنَّ إليهنَّ الكهل! قال: إني قد جُزّت الكهول، وأنا شيخ!. قالت: أذهبتَ شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خير ما ذهبَ فيه الأعمار!

● قال الأصمعي: بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب، وما ضربَ رؤوسَ الأبطال كابن الأعجمية!

● قال معاوية لصعصعة بن صوحان: أي النساء أشهى إليك؟

قال: المواتية لك فيما تهوى.

قال: فأئيهنَّ أبغضُ إليك؟

قال: أبعدهنَّ مما ترضى.

قال: هذا النقد العاجل!

فقال صعصعة: بالميزان العادل!

● وقال: رأيتُ امرأة ترقصُ طفلاً وتقول:

أحبُّهُ حبَّ الشحيح مالهُ قد كان ذاق الفقرَ ثم ناله

إذا أراد بَدَلَهُ بدا له

● كتب الحجاج إلى ابن القرية: أن أخطب لابني
عبدالمملك امرأة جميلة من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في
قومها، ذليلة في نفسها، مواتية لبعلمها.

فكتب إليه: قد أصبثها لولا عظم ثديها!

فكتب إليه: لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثديها،
فتدفع الضجيع، وتروي الرضيع.

● قال رجل لخطاب: ابغني امرأة لا تؤنس جاراً، ولا توهن
داراً، ولا تثقب ناراً.

يريد: لا تدخل على الجيران، ولا يدخل عليها الجيران، ولا
تُغري بينهم بالشر.

● قال رجل للحسن البصري: إن لي بنية، فمن ترى أن
أزوجهها؟ قال: زوجه ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن
أبغضها لم يظلمها.

● قال الأصمعي: قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة
منكن من يتزوجها ابن عمها، فيمهرها بتيسين، وكلبين،
وحمارين، ورحيين. فينبُ التيسان، وينهقُ الحماران، وينبح
الكلبان، وتدور الرحيان، فيعجُ الوادي. والشقية من يتزوجها
الحضري، فيكسوها الحرير، ويُطعمها الخمير، ويحملها ليلة
الزفاف على عود. تعني سرجاً!

● وقال: كان أعرابيُّ قبيح طویل، خطبَ امرأةً، فقيل له:
أي ضربٍ تريدها؟

قال: أريدها قصيرة جميلة، فيأتي ولدها في جمالها وطولي.
فتزوَّجها على تلك الصفة، فجاء ولدها في قصرها وقبحه!

● قال الأصمعي: كنت أختلفُ إلى أعرابي أقتبسُ منه
الغريب، فكنت إذا استأذنت عليه يقول: يا أمامة، إيذني له.
فتقول: ادخل. فاستأذنتُ عليه مراراً فلم أسمعْه يذكر أمامة؛
فقلت له: يرحمك الله، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين! قال:
فوجم وجمة ندمتُ على ما كان مني؛ ثم قال:

ظننت أمامة بالطلاقِ ونجوتُ من غلِّ الوثاقِ
بانيت فلم يَألم لها قلبي ولم تدمع مآقي
ودواء ما لا تشتتُ تهيه النفسُ تعجيلُ الفراقِ
والعيشُ ليس بطيبٍ بين اثنين في غير اتفاقِ
لو لم أُرْحُ بفراقها لأرحتُ نفسي بالإباقِ

● ذُكر عند مالك بن أنس النكاح، فقال:

هو نورٌ وجهك، ومخُّ ساقيك! فأقلَّ منه أو أكثر.

● وقال معاوية: ما رأيتُ نهماً في النساء إلا عرفت ذلك

في وجهه!

● وقال كسرى: كنت أراني إذا كبرت أنهن لا يُحِبُّنني؛ فإذا

أنا لا أحبهن!.

● قال معبد بن خالد الجدلي: خطبتُ امرأة من بني أسد - وكان النساء يجلسن لحُطَّابهنَّ - فجئتُ لأنظر إليها، وكان بيني وبينها ستار، فدعت بوعاء عظيم من الثريد، مكلَّلة باللحم، فأكلتهُ كلَّه، وألقتِ العظام نقيَّة. ثم دعتُ بشنٍّ مملوءة لبناً، فشربتهُ كلَّه، وقالت: يا جارية ارفعي الستائر، فإذا هي جالسة على جلد أسد، وإذا هي شابة جميلة، فقالت: يا عبد الله، أنا أسدة من بني أسد، وعلى جلد أسد، وهذا طعامي وشرابي، فعلامَ تراني؟ فإن أحببتَ أن تتقدَّم فتقدَّم، وإن أحببتَ أن تتأخَّر فتأخَّر!

فقلت: أستخيرُ الله في أمري وأنظر.

قال: فخرجتُ ولم أعد!

● قيل لأعرابي: كيف حبك لزوجتك؟

قال: ربما كنت معها على الفراش، فمدَّت يدها إلى صدري، فوددت أن أجزَّه خرَّت من السقف فقطعت يدها، وضلعين من أضلاع صدري. ثم أنشأ يقول:

لقد كنتُ محتاجاً إلى موتِ زوجتي ولكنَّ قرينَ السوء باقٍ مُعمَّراً
فيا ليتها صارت إلى القبرِ عاجلاً وعدَّ بها فيه نكيرٌ ومُنكرٌ

● ذكر أعرابيُّ امرأةً فقال: إن لساني لذكرها لذلول، وإن

حَبَّهَا لِقَلْبِي لِقَتُولِ، وَإِنْ قَصِيرَ اللَّيْلِ بِهَا لِيَطُولِ.

● وَجَدَ مَكْتُوباً عَلَى عَصَابَةِ جَارِيَةٍ:

أَتَمُّونَ الْحَيَاةَ بِأَلَا جَنُونَ فَكُفُّوا عَنِ مَلَا حِظَةِ الْعَيُونِ

● رُوِيَ عَنْ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: النَّسَاءُ ثَلَاثَةٌ:

- هَيِّئَةٌ عَفِيفَةٌ مُسَلِّمَةٌ، تُعِينُ أَهْلَهَا عَلَى الْعَيْشِ، وَلَا تُعِينُ

الْعَيْشَ عَلَى أَهْلِهَا.

- وَأُخْرَى وَعَاءٌ لِلْوَلَدِ.

- وَثَالِثَةٌ غُلٌّ يَلْقِيهِ اللَّهُ فِي عُنُقِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ!

● قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ امْرَأَةً لثَغَاءً:

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ تَذَكِيرُهَا الْأُنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ

وَالسَّوَاءُ السَّوَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ

● صَاحِبُ أَعْرَابِي امْرَأَةً فَقَالَ لَهَا: وَاللَّهِ إِنَّكَ لِمَشْرُفَةٌ

الْأَذْنِينَ، جَاحِظَةٌ الْعَيْنِينَ، ذَاتُ خَلْقٍ مَتَضَائِلٍ، يَعْجَبُكَ الْبَاطِلُ،

إِنْ شَبَعْتَ بِطَرْتِ، وَإِنْ جَعْتَ صَخْبَتِ، وَإِنْ رَأَيْتِ حَسَنًا

دَفَنْتِيهِ، وَإِنْ رَأَيْتِ شَيْئًا أَدْعَتِيهِ، تَكْرَمِينَ مِنْ حَقْرِكَ، وَتَحْقِرِينَ مِنْ

أَكْرَمِكَ!

● وَقَالَ أَعْرَابِي فِي امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا:

ولا تستطيع الكُخْلَ من ضيقِ عينها فإن عالجته صار فوق المحاجرِ

● قالت الحكماء: لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته!

● دخل أبو دُلف على المأمون وعنده جارية له، وقد ترك

أبو دُلف الخضاب، فغمز المأمون الجارية، فقالت له: شبت يا

أبا دُلف، إنا لله وإنا إليه راجعون، لا عليك.

فسكت أبو دُلف. فقال له المأمون: أجبها يا أبا دُلف.

فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال:

تمزأت أن رأث شيبى لها لا تهزئي من يطل عمره يشبِ

شيبُ الرجال لهم زين ومكرمةٌ وشيكنَّ لكنَّ الويلُ فاكثبي

فينا لكنَّ وإن شيبُ بدا أربُّ وليس فيكنَّ بعد الشيب من أربِ

● دخل المغيرة بن شعبة على زوجته "فارعة" الثقفية وهي

تتخلَّل^(١) حين عادَ من صلاة الغداة، فقال لها: لئن كنت

تتخلَّلين من طعامك اليوم إنك لجشعة، وإن كنتِ تتخلَّلين من

طعام البارحة إنك لشبِعة، كنتِ فبنت^(٢).

(١) أي مما بين أسنانها من طعام

(٢) أي طلقت طلاقاً بائناً.

فقالت: والله ما اغتبطنا إذ كنّا، ولا أسفنا إذ بنا^(١)، وما هو لشيء مما ذكرت، ولكنني استكثت فتخللت لسواك.

فخرج المغيرة نادماً على ما كان منه. فلقية يوسف بن أبي عقيل، فقال له المغيرة: إني طلقْتُ سيده نساءً ثقيف، فتزوَّجها، فإنها ستنجب!

فتزوَّجها، فولدت له الحجَّاج!

● قال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟

قال: لأننا نقولها وقلوبنا محترقة!

● وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت: يا أبت، إن في الله تعالى من فقدك عوضاً، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصيبتك أسوة.

ثم قالت: اللهم نزل بك عبدك مُقْفِراً من الزاد، محشوشن المهاد، غنياً عمّاً في أيدي العباد، فقيراً إلى ما في يديك يا جواد، وأنت - أي ربّ - خيرٌ من نزل به المؤمنون، واستغنى بفضله المقلُّون، وولج في سعة رحمته المذنبون. اللهم فليكن قري عبدك منك رحمتك، ومهاده جنتك. ثم انصرفت.

(١) أي ما سررنا بزواجنا منك، ولا حزننا إذ كان الفراق.

● وقالت أعرابية ترثي ولدها:

يا فرحة القلب والأحشاء والكبد يا ليت أمك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد أدرجت في كفنٍ مطيئاً للمنايا آخر الأبد
أيقنتُ بعدك أُنِي غيرُ باقيةٍ وكيف يبقى ذراعُ زال عن عَضُدِ

● قال الأصمعي: دخلتُ بعضَ مقابر الأعراب ومعي

صاحبٌ لي، فإذا جاريةٌ على قبر كأنها تمثال، وعليها من الحلبي
والحلل ما لم أر مثله، وهي تبكي بعين غزيرة وصوتٍ شجي،
فالتفتُ إلى صاحبي فقلت: هل رأيتَ أعجبَ من هذا؟ قال:
لا والله ولا أحسبني أراه!.

ثم قلت لها: يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زِيُّ الحزن.

فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيمَ حزني فإني رهينهُ هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والتُّرب بيننا كما كنتُ أستحييه حين يراني
أهابكُ إجلالاً وإن كنتَ في الثرى مخافة يومٍ أن يسوءك شاني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

يا صاحبَ القبر يا مَنْ كانَ ينعمُ بي بالأُ ويكثرُ في الدنيا مواساتي
قد زرتُ قبرك في حلي وفي حُلل كأنني لستُ من أهل المصيباتِ
أردتُ آتيك فيما كنتُ أعرفه أن قد تُسرَّ به من بعض هيئاتي
فمن رأني رأى عَبري موهَّهً عجيبةً الزيّ تبكي بين أمواتِ

● قال أبو جعفر البغدادي: كان لنا جار، وكانت له
جارية جميلة، وكان شديدَ المحبة لها، فماتت، فحزن عليها حزناً
شديداً. فبينما هو ذات ليلة نائم، إذ أتته الجارية في نومه،
فأنشدته هذه الأبيات:

جاءت تزور وسادي بعدما دُفنتُ في النوم ألتئم خدّاً زانه الجيدُ
فقلت: قرّة عيني قد نُعيتِ لنا فكيف ذا وطريقُ القبر مسدودٌ؟
قالت: هنالك عظامي فيه ملحدةٌ تنهشُ منها هوام الأرض والدودُ
وهذه النفسُ قد جاءتك زائرةٌ فاقبل زيارةً من في القبر ملحودُ
فانتبه وقد حفظها. وكان يحدث الناسَ بذلك. فما بقي
بعدها إلا أياماً يسيرة حتى لحق بها!

● من أمثال العرب: أَعْيَرَةٌ وَجِبْنَاءُ؟!

قالته امرأة من العرب لزوجها تعيّرهِ حين تخلف عن عدوّهِ
في منزله، وراها تنظرُ إلى القتال، فضرّ بها، فقالت: أَعْيَرَةٌ
وَجِبْنَاءُ؟!

* * *

الظرائف واللطائف^(١) واليواقيت في بعض المواقيت للثعالبي

قال بعض الحكماء: إن الدنيا ليست تعطيك لتسرك،
ولكن لتنعّمك وتغرّك.

(١) الظرائف واللطائف في المحاسن والأضداد / لأبي نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي. - القاهرة: طبع حجر، ١٢٧٥هـ، ٢١٢ص.
جمع فيه المؤلف بين كتابين للثعالبي: أولهما بعنوان: الظرائف واللطائف،
والآخر بعنوان: اليواقيت في بعض المواقيت. قلت: وقد أورد فيهما المؤلف
معظم ما ذكره في كتابه "تحسين القبيح وتقبيح الحسن" الذي سبق عرضه
فيما سبق، فاستغنيت عن كثير من الفقرات النادرة لأجل ذلك.
وقد كتب أبو نصر المقدسي (من القرن السابع الهجري) أنه لجأ إلى هذا
الجمع لتناسب موضوعاتهما، وقال: "فجمعت بينهما في قرن، وعطفت
عنانيهما إلى سنن، اختصاراً للطريق إلى فوائدها، وضماً لشمول فرائدهما،
وعسى أن يُحمد أثري فيما آثرت، ويُستظرف رأي رأيت فيه وأشرت.
وذكر الثعالبي في مقدمة كتابه "الظرائف" أنه ابتداءً وضعه، وابتدع جمعه،
واخترع ما لم يُسبق إلى مثله، وأنه لم يشارك في ارتباط شكله. وهو "في مدح
كل شيء وذمّه، وتزيينه وتهجينه، وسياقه أحسن ما أحاضر به فيه وفي
ضده".

وقال في كتابه "اليواقيت في بعض المواقيت" إنه "في مدح كل شيء وذمّه، ولم
أسبق إلى جمعه وابتداع وضعه... وطالما اقترح عليّ الزمان أن يتفق لأحد تأليفه،
ويتقدّم له تبويبه وترتيبه، فافتتحته بنيسابور، وتطرّفته بجرجان، وتصّفته
بالجرجانية، واستتمته بغزنة.. ويشتمل على ١٦٢ باباً.

● وقال ناظم:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
ولا يغركم طول ابتسامي فقولي مضحكٌ والفعلُ مبكي!

● قيل: أسرع الأشياء تقلباً قلوبُ الملوك.

● قال ملك لحكيم: لم لا تأتينا؟

فقال: ولم آتيك؟ إن أدنيتني فتننتي، وإن أبعدتني أحزنتني!

● يقال: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يغترَّ بهم: المال،

والصحة، والمنزلة من السلطان!

● قال الإمام الحسن البصري: لو كان للناس كلهم عقول

لخربت الدنيا!

● قال الإمام الشافعي:

إذا شئت أن تلقى عدوكِ راعماً وتقتله حزناً وتحرقه همّاً
فسامِ العُلا وازدّد من العلم إنه من ازداد علماً زاد حاسده غمّاً

● قال بعض أولاد الأمراء: الخطُّ صناعة، ولا تحسُن

الصناعة بالملوك!

● وقال بعضهم:

لا تحسبوا أن حُسْنَ الخطِّ ينفعني ولا سماحةَ كَفِّ الحاتم الطائي
وإنما أنا محتاج لواحدة لنقل نقطة حرف الخاء للطّاء

● وقال آخر:

وما الخطُّ إلا الخطُّ صُحِفَ لفظه فإن تكُ ذا حظِّ فإنك ذو خطِّ

● كان أبو مسلم يقول:

إياكم والشعراء، فإنهم يهجون جليسهم، ويطلبون على
الكذب مثوبة وجُعلاً.

● وقال غيره: لا تجالس الشاعر، فإنه إذا غضب عليك

هجاك، وإذا رضي عنك كذب عليك!

● قال الحسن اللؤلؤي: جاوزتُ أربعين عاماً، ما قلتُ ولا

بِتُّ إلا والكتاب موضوع على صدري!

● يقال: إنفاق الفضة على كتب الآداب يخلفُ عليك

ذهبَ الألباب!

● وقال بعضهم يهجو كتبياً:

صاحبُ الكتب تراه أبداً غير ذي فهم ولكن ذا غلطُ

كلما فتشته عن علمه قال علمي يا خليلي في سفظُ

في كراريس جياذ أحكمت وبخطِّ أيِّ خطِّ أي خطُّ

فإذا قلتُ له هاتِ إذاً حكَّ لحييه جميعاً وامتخطُ!

● قيل ليزيد بن المهلب: لم لا تبني داراً بالبصرة؟

فقال: لأني لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً، فإن كنتُ أميراً فدارُ الإمارة داري، وإن كنتُ أسيراً فالسجن مسكني وقراري.

● كان يقال: البناء من يوم ابتدائه في نقصان، والفرس من يوم ابتدائه في زيادة!

● قال بعض الحكماء لابنه: يا بني، العبد حرٌّ إذا قنع، والحرُّ عبدٌ إذا طمع.

● قال رجل لمعروف الكرخي: أأتحرك في طلب الرزق، أم أجري في طريق القناعة؟

فقال: تحرك، فإن الله قال لمريم: ↓
① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

(١) سورة مريم، الآية ٢٥.

يتعجبون من أبياتك في المشورة.

فقال: أو ما علمت أن المشاورَ بين إحدى الحسينين:

صوابٌ يفوزُ بثمرته، أو خطأً يشارك في مكروهه؟

فقلت له: أنت والله في هذا الكلام أشعرُ منك في

شعرك^(١)!

● كما يقال: ما استنبط الصوابُ بمثل المشورة، ولا

خصبت النعم بمثل المساواة، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر!

● أنشد القاضي الجرجاني لنفسه:

ما تطعمتُ لذة العيش حتى صرْتُ في وحدتي لكتي جليسا
ليس عندي شيءٌ أجلُّ من العلم فلا أتبغى سواه أنيسا

● قال أبو العتاهية:

وحدةُ الإنسان خيرٌ من جليسِ السوءِ عندهُ
وجليسُ الخيرِ خيرٌ من جلوسِ المرءِ وحدهُ

● يقال: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة!

(١) قلت: يبدو أن المقصود هو قوله:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخواصي قوة للقوادم

● ويقال: الشجاع محببٌ حتى إلى عدوّه، والجبانٌ مبغضٌ حتى إلى أمّه!

● قال العتّابي: ثوابُ الجود ثلاثة: حُلفٌ ومحبّةٌ ومكافأةٌ، وثوابُ البخل ثلاثة: تلفٌ ومذمّةٌ وحرمانٌ.

● قال أبو نواس:

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتَه فالمالُ لك

● لاموا عمر بن عبد العزيز على الكرم فقال:

مالي عليّ حرامٌ إن بخلتُ به وصاحبُ البخل بين الناس مذمومٌ
ما لي أشحُّ بمالٍ لستُ أملكه والمالُ بعدي إذا ما متُّ مقسومٌ
لا بارك الله في مالٍ أخلفه للوارثين وعرضى فيه مشؤومٌ
● من كساه الحياء ثوبه؛ ستر عن العيون عيبه.

● قيل لبنت أرسطاطاليس: ما أحسنُ ما في المرأة؟ قالت:
الحمرة التي تعلق وجهها من الحياء.

● قال بعضهم: أكثرُ الناس حياءً من كان الذمُّ أشدَّ عليه
من الفقر.

● قال المغيرة بن شعبه: التارك للإخوان متروك.

● لا تُساعِ مرارةُ الأوقاتِ إلا بحلاوةِ الإخوانِ الثقاتِ.

● قال بعضُ الحكماء: لا ينفَعُ العلاجُ في أربعة: العداوةُ

إذا خالطها الحسد، والمرضُ إذا خالطه الهرم، والفقْرُ إذا خالطه الكسل، والشحُّ إذا خالطه الكِبَرُ.

قال بعضهم:

صديق يفدينا إذا كان حاضراً ويوسعنا في حال غيبتَه لَسعاً
له لطف قولٍ دونه كلِّ رقيةٍ ولكنه في فعله جيّةٌ تسعى

● قال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير لا يقصُّ علينا إلا أبكانا بوعظه، ولا يقومُ من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه!

● المزاح أوله فرح، وآخره ترح.

● يقال: لكلِّ شيءٍ بدء، وبدءُ العداوة المٌراح.

● من لم يعاتب على الزلّة، فليس هو بحافظٍ للخُلّة.

● قال بعضهم: كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة.

● قال خالد بن صفوان لرجل: اطلب لي بكرةً كَثِيباً، أو

ثِيباً كبيراً، لا ضرعاء صغيرة، ولا عجوزاً كبيرة، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة، فخلق النعمة فيها، وذُلُّ الحاجة معها.

● يقول طفيل الغنوي:

إن النساء كأشجار نبتن لنا منهنَّ مُرٌّ وبعض المُرِّ مأكولٌ

● قيل للعتابي: أنت عَزَب فلو تزوجت؟ فقال: وجدت
الصبر عنهنَّ أيسرَ من الصبر عليهنَّ!

● وقيل لمالك بن دينار مثل ذلك، فقال: لو استطعت
لطلَّقتُ نفسي!

● وهذه حكاية فيمن ابتلي بزواج غير موفق!
ففي كتاب مُلح النوادر أن ذئباً كان ينتابُ بعض القرى
ويعبث فيها، فترصده أهلها حتى صادوه، وتشاوروا في تعذيبه
وقتله.

فقال بعضهم: تُقطع يداه ورجلاه وتُدقُّ أسنانه ويُخلع
لسانه!

وقال بعضهم: بل يُصلب ويُرشق بالنبال!
وقال بعضهم: لا بل توقد نار عظيمة ويُلقى فيها.
وقال بعض الممتحنين بنسائه: لا بل يُزوّج، وكفى بالتزويج
تعديباً!

وفي هذه القصة يقول الشاعر:

ربّ ذئبٍ أخذوه وتمّاروا في عقابِه
ثم قالوا زوّجوه وذروه في عذابِه!

● قال بعض السلف: استكثروا من العيال، فإنكم لا تدرّون بمن ترزقون.

● قالت أعرابية وهي تُرَقص ولدها:

يا حَبّذا ريحُ الولدِ ريحُ الخزامى في البلدِ
أهكذا كلُّ ولدٍ أم لم يلدْ قبلي أحدًا!

● ومما يُستحسن من ألفاظ الصاحب قوله في كتاب: وصلَ كتابُ مولاي، فألصقته بالقلب والكبد، وشمته شمَّ الولد.

وقال: من سرّه أن يرى كبدَهُ يمشي على الأرض فليسيرْ ولده.

● وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنات قوله: أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأمّ الأبناء، وجالبة الأَصهار، والأولاد الأطهار، والمبشّرة بإخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النساء كمن وجدنا لفضّلت النساء على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسم الشمسِ عيبٌ وما التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

والله تعالى يعرفك يا مولاي البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادّرعْ اغتباطاً، واستأنف نشاطاً، فالدنيا مؤنّثة والرجال يخدمونها، والأرض مؤنّثة ومنها حُلقت البريّة وفيها كثرت

الذرية، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحلّيت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة وهي قوام الأبدان وملاك الحيوان، والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرّف الأجسام ولا عُرف الأنام، والجنّة مؤنثة وبها وُعدّ المتقون وفيها ينعّم المرسلون، فهنيئاً لك هنيئاً بما أوتيت، وأوزعك الله شكر ما أُعطيت.

● قال النظام في ذمّ الزجاج: يُسرّع إلى الكسر، ولا يقبل الجبر.

ومن هنا قال الشاعر:

احرص على حفظ القلوب من الأسى فرجوعها بعد التنافر يعسر
إن القلوب إذا تنافر ودّها مثل الزجاج كسرّها لا يُجبر

● وقال الثعالبي: ليس الزجاج من حسن المتاع، وهو على مدرجة الهلاك والضياع، لأن الآفات ترفرف عليه، والعاهات تسارع إليه، وكلما كان أتمن وأقوم كان الخطر فيه أشدّ وأعظم، وما احتاط على ماله من غالى به وأسرف في ثمنه!

● وقال: ما أسرع ذهاب الذهب، وانفضاض الفضة!

● كان أنوشروان ينظر إلى النرجس ويشبّهه بالعيون، ويقول: إني لأستحي أن أجامع في بيت فيه نرجس!

● وقال ابن الرومي في فضله على الورد:

خجلتُ خدودُ الورد من تفضيله خجلاً تَوَرَّدَ عليها شاهدُ
لم يخجل الوردُ المورَّد لونه إلا وناجِلَه الفضيلةَ عاندُ
للنرجس الفضلُ المبينُ وإن أبي أبٍ وحادٍ عن الطريقة حائدُ

● وتصدَّى له الشعراءُ بالمناقضة والمعارضة، فقال ابن

الحاجب:

يا ذا الذي للحقِّ ظلٌّ يعاندُ وقد استبانَ له الطريقُ القاصدُ
قايسَتَ نرجسك الذي فضَّلتهُ بالوردِ يا هذا قياسك فاسدُ
وعَدَلتَ عن عدلِ الحكومةِ جائراً بقضيةٍ فيها عليك أواجِدُ
خدُّ تَوَرَّدَ لونه لنعيمه فعليه من حُجَعِ الربيعِ محاسدُ
والوردُ ساقٌ مستقرُّ أصله والنرجسُ المصفوفُ غصنُ مائدُ
ما أحرَّ الوردَ الخطيرَ مقدِّماً للنرجسِ المرذولِ إلا حاسدُ

● واستظرف غيرُ واحدٍ قولَ ابن أبي البغل:

تمتَّع من الوردِ القليلِ بقاؤه كأنك لم يفجأك إلا فناؤه
وودَّعه بالتقبيلِ والشِّمِّ والبُكا وداعٍ حبيبٍ قد يطولُ لقاؤه

● وقال الثعالبي المؤلف في الشتاء: الشتاء عذابٌ وبلاءٌ

وعقاب، ولأواءٍ يغلظ فيه الهواء، ويستحجر له الماء، وتنحجر
الفقراء. وما ظنك بما يزوي الوجوه، ويعمشُ العينين، ويُسيل

الأنوف، ويغيّر الألوان، ويقشفُ الأبدان، وتُئمت كثيراً من
الحيوان، فكم فيه من يوم أرضه كالقوارير اللامعة، وهواه
كالزنابير اللاسعة، وليل يحول بين الكلب وهريره، والأسد
وزئيره، والطير وصفييره، والماء وخريره.

● كان بعضُ الحكماء يقول: السفر والسقم والقتال ثلاثة
لثلاث: السفرُ سفينة الأذى، والسقمُ حريق الجسد، والقتال
يُنبت المنايا.

● قال بعضهم:

فلئن نُشْرِقَ أو تغرَّبَ طالباً وتكونَ في الإقبال والإدبارِ
خيرٌ وأكرمُ بالفتى من عيشةٍ ضنكٍ يقومُ بها على إقتارِ

● وكان سهل بن مروان يقول: لستُ ممن يقطعُ نفسه
بصلة وطنه.

● ومن مشهور ما يُنشد قوله:

لا يمنعك خفضُ العيش في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهل وأوطانِ
تلقى بكل بلادٍ إن حللت بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

● وقال غيره:

إذا نلت في أرضٍ معاشاً وثروةً فلا تكثرنَّ فيها النزاعَ إلى الوطنِ
فما هي إلا بلدةٌ مثلُ بلدةٍ وخيرهما ما كان عوناً على الزمنِ

● وبضدّه قال بعضهم: عسرك في بلدك خيرٌ من يسرك في غربتك.

ونظمه من قال:

لقربُ الدار في الإقتار خيرٌ من العيش الموسّع في اغترابِ

● وقال الأعشى:

ومن يغترّب عن قومه لم يزل يُرى ملاماً ومظلوماً مجترّاً ومُسحَباً
وتُدفن منه الصالحات وإن يُسئُ يكنُ ما أساكالنار في الرأسِ كوكباً

● وقال آخر:

وإن اغترابَ المرء في غير خُلّةٍ ولا همّةٍ يسمو لها لعجيبُ
وحسبُ الفتى ذللاً وإن أدرك الغنى ونال ثراءً أن يقال غريبُ

● وقال البُستي:

لا يعدم المرء كتّاً يستكرُّ به ومتعةً بين أهليه وأصحابه

● كان يقال: ما حُلِقَ الفراق إلا لتعذيب العُشّاق!

● ويقال: فراقُ الحبيب يشيبُ الوليد، ويذيبُ الحديد.

● ولأبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي:

لا تـركننّ إلى الفـراق فإنـه مُـرُّ المـذاقِ
فالشمسُ عند غروبها تصفرُّ من ألم الفراقِ

● وقال بعضهم:

وما في الأرض أشقى من محبٍ وإن وجد الهوى حلّو المذاق
تراه باكياً أبداً حزيناً لخوف تفرُّقٍ أو لاشتياقٍ
فيكي إن نأوا شوقاً إليهم ويكي إن دنوا خوفَ الفراقِ

● وقال الشاعر:

يُيكي علينا ولا نبكي على أحدٍ لنحن أغلظُ أكباداً من الإبل!

● قال داود المصّاب: رأيتُ رؤيا نصفها حقٌّ ونصفها

باطل!

رأيتُ كأنّي أُعطيْتُ بَدْرَةَ^(١)، فمن ثقلها أحدثتُ في

سراويلي، فانتبهتُ فرأيتُ الحدث، ولم أر البَدْرَةَ!

● حكى ابن سيرين أن رجلاً رأى في المنام كأن له غنماً

تُطلب منه بعشرة عشرة وليس يبيعها، فلما انتبه وفتح عينيه لم

يرَ شيئاً، فغمَّضها، ومدَّ يده وقال: هاتوا خمسة خمسة!

● من أحسن ما قيل في ذمِّ الدَّين قول الحَبَّاز البلدي:

(١) البَدْرَةَ: كيس فيه مقدار من المال يُقدَّم في العطايا.

وإني لأستبقي امرأً السوء عُدَّةً لَعَدْوَةٍ عَرِيضٍ من القوم جانبِ
أخاف كلابَ الأبعدين وهَوْشَهَا إذا لم تجاوبها كلابُ الأقاربِ

● وذكر واصل بن عطاء الغوغاء والسفهاء فقال: ما
اجتمعوا قطُّ إلا ضُرُّوا، وما تفرَّقوا إلا نفعوا!

فقيل له: قد عرفنا مضرَّة الاجتماع، فما منفعة الافتراق؟

قال: يرجع الحائك إلى حياكته، والطَّيَّان إلى مطينته،
والفلاح إلى فلاحته، وكلُّ ذلك من مرافق المسلمين، ومعاون
المحتاجين.

● وكان المأمون يقول: كلُّ شرٍّ وضُرٍّ إنما هو صادرٌ عن
السفهاء والغاغة، فإنهم قَتَلَةُ الأنبياء والأولياء والأصفياء، وهم
المضربون بين العلماء، والنَّمَامون بين الأودَّاء، والسَّاعون إلى
السلَّاطين، ومنهم اللصوصُ والسَّرَّاق والقَطَّاع والطرَّارون^(١)
والجلَّادون، ومثيرو الفتن، والمغيرون على الأموال، فإذا كان يومُ
القيامة جرَّوا على عادتهم في السَّعاية، يقولون ما حكى الله
عنهم: ↓

① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

(١) الطَّرَّار: النِّشَّال يشقُّ ثوب الرجل ويَسْلُ ما فيه.

٧٠ • ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

● قال عبد الله بن العباس رضي الله عنهما:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
 قلبي ذكي وعقلي غير ذي دحل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

● أحسن ما قيل في تسليية المسجونين قول البحري:

أما في رسول الله يوسف أسوء لمثلك محبوساً على الضئيم والإفك
 أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك

● قيل: كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا يكاد يوجب على نفسه شيئاً، توكياً من حلف الوعد.

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٦٧-٦٨.

مجالس العلماء^(١)

للزجاجي

كان الرجل من العرب (في الجاهلية) ينذر نذراً على شائه:
إذا بلغت مائة أن يذبح عن كلِّ عشرة منها شاةً في رجب،

(١) مجالس العلماء / لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون. - الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٣٨٢هـ، ٤١٩ص.

وهو مثل "مجالس ثعلب" الذي سبق عرضه، وفيه إضافة إلى المسائل النحوية المعقدة، وأبيات الشعر ذات المعاني العويصة؛ مجالس علم وأدب وحكم، ونوادير من شوارد فقه العربية ونكاتها العجيبة. وقد التقيت منها ما يناسب هذه السلسلة، وعرّجت على بعض ما هو صعب منها للاطلاع، ولمعرفة المجالس العلمية التي كان يعقدها العلماء ويبحثون فيها ما صعب وغمض، للفائدة أو المحاجة، وليبان طول باعهم في مثل هذه العلوم، وعلو هممتهم في العلم والتعلم.

والمؤلف نسبته إلى شيخه إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ). أصله من الصميرة، بلد بين ديار الجبل وخوزستان، وانتقل إلى بغداد، ولزم الزجاج وقرأ عليه النحو، ثم انتقل إلى حلب، فدمشق، وأقام بها وصنّف، وحدث بها عن الزجاج ونفطويه وابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري والأخفش الصغير. ومات في طبرية سنة ٣٣٧هـ. من أشهر كتبه "الجمل" في النحو، وقد انتفع الناس به دهرًا طويلاً، إلى أن اشتغلوا باللمع لابن جني، والإيضاح لأبي علي الفارسي.

وكانت تسمّى تلك الذبائح "الرجبية" وهي "العتائر". وكان الرجل منهم ربما بخلَ بشائه (فيتحايل)، فيصيد ظباءً، فيذبحها عن غنمه في رجب ليُوفيَ نذره!

● قال الأصمعي: بعث إليّ محمد بن هارون، فدخلت عليه وفي يده كتابٌ يديم النظر فيه ويتعجّب منه، فقال لي: يا عبدالمملك، أما تعجبت من هذا الشاب وما يجيء به؟ فقلت: من هو؟ فقال: عباس بن الأحنف.

ثم رمى إليّ الكتاب فإذا فيه شعر قاله عباس، وهو:

إذا ما شئت أن تصنع عَ شيئاً يُعجبُ الناسا
فصوِّرْها هنا فوزاً وصورْ ثمَّ عبّاسا
ودعْ بينهما شبراً وإن زدتْ فلا باسا
فإن لم يبدنوا حتى ترى راسيهما راسا
فكذِّبها بما قاست وكذِّبه بما قاسى

قال الأصمعي: وكان بيني وبين عباس شيء، فقلت: مُسترقُّ يا أمير المؤمنين. قال: ممن؟ قلت: من العرب والعجم. قال لي: ما كان من العرب؟ قلت: رجل يقال له "عمر"، هويّ جاريةً يقال لها "قمر" فقال:

إذا ما شئت أن تصدع شيئاً يُعجبُ البشرَا
فصوِّرْها هنا عمراً وصوِّرْها هنا قَمراً
فإن لم يدنوا حتى ترى بشرَيهما بشرَا
فكذِّبها بما ذكرت وكذِّبه بما ذكرا

قال: فما كان من العجم؟ قلت: رجل يقال له "فلقأ"،

هوي جارية يقال لها "روق" فقال:

إذا ما شئت أن تصدع شيئاً يعجبُ الخلقَا
فصوِّرْها هنا روقاً وصوِّرْها هنا فلُقَا
فإن لم يدنوا حتى ترى خلقَيهما خلقَا
فكذِّبها بما لاقت وكذِّبه بما يلقي

فبينما نحن كذلك إذ جاء الحاجب فقال: عباس بالباب.

فقال: ائذن له، فدخل فقال: يا عباس، تسرقُ معاني الشعر
وتدعيه! فقال: ما سبقني أحد. فقال محمد: هذا الأصمعي
يحكى عن العرب والعجم. ثم قال: يا غلام ادفع الجائزة إلى
الأصمعي.

فلما خرجنا قال لي العباس: كذبتني وأبطلت جائرتي.

فقلت: أتذكرُ يوم كذا، ثم أنشأتُ أقول:

إذا وترت امرأةً فاحذرْ عداوته من يزرع الشوك لا يحصدُ به عبنا

● قال المفضَّل: جاء رسولُ الرشيْد يوم خميس بَكراً فقال لي: أجب. فدخلت عليه ومحمد عن يمينه، والمأمونُ عن يساره، والكسائي بين يديه باركاً، وهو يطرح محمداً والمأمون معاني القرآن، فسَلَّمْتُ، فردَّ وقال: اجلس. فجلست فقال لي: كم اسم^(١) في ↓ ◻ ◯ ◉ ◊ ◈ ◇ ◆ ◅ ◄ ◃ ◂ ◁ ◀ ◁ ◂ ◃ ◄ ◅ ◆ ◇ ◈ ◉ ◊ ◯ ◻

✍️ ↑^(٢)؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، أولها اسمُ الله تبارك وتعالى لا إله إلا هو، والثاني اسمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، والثالث اسمُ الكفرة، فالياء والكاف المتصلتان بالسین لله جلَّ وعزَّ، والياء والكاف المتصلتان بالهاء للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، والهاء والميم للكفرة. فقال: كذا أخبرنا الشيخ. وأشار بيده إلى الكسائي، والنفث الرشيْدُ إلى ابنه محمد فقال له: أفهمت؟ فقال: قد فهمت يا أمير المؤمنين. قال: فاردد ذلك عليَّ. فردَّه، فقال: أحسنت!

● قال الأصمعي: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله وعده؟ قال: لا. قال: أفرايت من وعده الله على عمل عقاباً أيخلف وعده فيه؟ فقال

(١) كذا في الأصل. وهو وجه جائز في العربية.

(٢) سورة البقرة، من الآية ١٣٧.

الخير والشرّ قيل في الخير "وعدت" ، وفي الشر "أوعدت".

● قال أبو العباس (ثعلب): ورَجُلًا نَعَامَةً لَا تَنُوبُ وَاحِدَةً
عَنِ الْآخَرِي، لِأَنَّهُ لَا مَخَّ فِيهِمَا، وَسَائِرُ الْحَيَوَانِ إِذَا عَيَّيْتُ
إِحْدَى رِجْلَيْهِ اسْتَعَانَ بِالْآخَرِي. وَيُقَالُ: هُمَا رِجْلَا نَعَامَةٍ.

● قال أبو عُمر الجرمي يوماً في مجلس الأصمعي: أنا أعلم
الناس بالنحو. فسكت عنه الأصمعي ساعة، قال: ثم قال له:
يا أبا عُمر، كيف تُنشد:

قَدْ كُنَّ يُكْنَيْنَ الْوَجْوهَ تَسْتُرًا فَالآنَ حِينَ بَدَيْنَ لِلنُّظَارِ

كيف تقول: بَدَيْنَ أو بدآن؟ قال أبو عمر: بدآن. فقال له
الأصمعي: يا أبا عُمر، أنت أعلم الناس بالنحو — يمازحه —
وإنما هو بَدُون؛ لأنه من بدا يبدو، أي ظَهَرَ.

● قال أبو محمد اليزيدي: كنتُ جالساً مع الفضل بن
الربيع، فدخل علينا عليُّ الأحمر، فجلس إلى الفضل، فقال لي
الفضل: مَنْ كان أعلمَ بالنحو: الكسائي أو أبو عمرو بن
العلاء؟ وكان أبو عمرو أستاذَ أبي محمد. قال: قلت له:
أصلحك الله، لم يكن أحدٌ بالنحو أعلم من أبي عمرو. فقال
الأحمر: لم يكن يعرف التصريف. فقلت: ليس التصريف من

النحو في شيء، إنما هو شيء وُلدناه نحن واصطلحنا عليه،
وكان أبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما وُلد الناس.

قال: ولم؟ قلت: لأنه جاور البدو أربعين سنة، ولم يُقِم
الكسائي بالبدو أربعين يوماً.

● قال محمد بن عبد الله الأنصاري قاضي البصرة: سألت
سيبويه: كيف تجمع "الجواب"؟ قال: لا يجمع. قال أبو عثمان:
"الجواب" مصدر، والمصادر لا تُجمع، ألا ترى أن "جواب"
على مثال "فساد" و"صلاح"؟ فكما لا يُجمع الفساد والصلاح
فكذلك لا يُجمع الجواب مثله. وقد جُمعت من المصادر أحرف
قليلة، وليس يطرد عليه الباب، إلا أنه قد قيل أمراض، وأشعار،
وعقول، وألباب، وأوجاع، وآلام، فلا يحملنك هذا على أن
تقيس فتجمع المصادر، فتقول: ضربته ضرباً كثيراً، ولا تقول
ضروباً كثيرة، ولو قلت ذلك لصارت أصنافاً من الضرب.

قال: وقولهم كتاب الجوابات خطأ، وهو مؤلّد. وكذلك
"أجوبة كُتبي" وإنما يقال: كتبتُ إليك فلم "تجني جواب
كتابي".

● قال أبو حاتم: قلت للأصمعي: يقال للرجل زوج،
وللمرأة زوج، ومن أهل الحجاز من يقول زوجة، وفلانة زوجة

فلان. ورأيت الأصمعيّ كأنه أنكره، فأنشدته قول ذي الرّمّة،
وقد كان قُرئ عليه شعرُ ذي الرّمّة فلم ينكره:

أذو زوجةٍ في المصرِ أم لخصومةٍ أراك لها بالبصرة العامّ ثاويًا

فقال: ذو الرّمّة طالما أكلَ المالحَ والبقلَ في حوانيت

البقالين، وقرأنا عليه قبل هذا لأفصح الناس فلم ينكر:

فبكي بناي شجوهنّ وزوجتي والطامعونَ إليّ ثم تصدّعوا

وقال آخر:

من منزلي أخرجتني زوجتي تهراً في وجهي هرير الكلبة

وإنما لجّ الأصمعي لأنه كان مولعاً بأجود اللغات، ويردُّ ما

ليس بالقوي. وذلك الوجه أجودُ الوجهين.

● سأل المأمون النضر بن شميل: أنشدني أقنع بيت قالته

العرب.

قال: قلت: قول عروة حيث يقول:

أطلبُ ما يطلبُ الكريم من الرزِّ ق بنفسِي وأجملُ الطلبَا
وأحلبُ الدرَّة الصَّفيَّ ولا أجهدُ أخلافَ غيرها حَلْبَا
إني رأيتُ الفتى الكريمَ إذا رعبته في صنيعةٍ رغبَا
والنَّذلُ لا يطلبُ العلاءَ ولا يُعطيك شيئاً إلا إذا رهبَا
مثلُ الحمارِ الموقَّعِ السوءِ لا يُحسنُ مشياً ولا إذا ضُربَا
قد يُرزقُ الخافضُ المقيمُ وما شدَّ لعنسي رحلاً ولا قتبَا
ويُجرِّمُ الرزقُ ذو المطيةِ والـ رحلٍ ومن لا يزال مغتربَا

● قال خلاد الباهلي: قلت لبشَّار: إني أراك في شعرك
ثمَّجِر^(١)، فتأتي مرَّةً بفنٍّ ومرَّةً بفنٍّ. قال: مثل ماذا؟ قلت: مثل
قولك:

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً هتكنا حجابَ الشمس أو قطرتُ دما

ثم تقول:

ربابةً ربةً البيت تصبُّ الخلَّ في الزيت
لها عشرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسنُ الصوتِ

فقال: يا أبا مخلد، الحالُ بيني وبينك قديمة، وأراك ليس
تعرف مذهبي في هذا. هذه امرأة كانت لها عشرُ دجاجات
وديك، وكنت لا آكل بيضَ السوق، وإنما آكل البيض المحصَّن،

(١) أي تأتي بالفحش والتخليط.

فأردت أن أمدحها بما تفهم، ولو أتيت مدحتها بمثل:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ

وأخواتها، لم تفهم ما أقول؛ ولم يقع منها موقعه، وإنما أنا كالبحر الزاخر يقذف بالعنبرة وبالذرة النفيسة، وربما قذف بالسمك الطافي، ولكن لا أضغ كل شيء إلا في موضعه.

قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قولي:

أنفَسُ الشوقِ ولا ينفُسني وإذا قارعني الهُمُّ رجَعُ
أصرع القِرْنَ إذا نازلته وإذا صارعني الحبُّ صرَعُ
أنا كالسيف إذا رُوِّعته لم يروِّعك وإن هُرِّقَطعُ
سيفي الخلمُ وفي منطقتي أسد الموت إذا الموتُ نَقعُ

قال ابن خلد: فسمعتُ الأصمعيَّ يقول: العجب له أنه

لا عشيرة له، ولا له مال بارع، وأعمى، ويقول مثل هذا.

● قال الشعبي: دخلتُ على عبد الملك بن مروان،

فصادفته في سرار مع بعض من يقربُ منه، فوقفْتُ ساعةً لا

يرفع إليَّ طرفه، فقلت: يا أمير المؤمنين، عامرُ الشعبي. فقال: لم

نأذن لك حتى عرفنا اسمك. فقلت: نقدةٌ والله من أمير

المؤمنين.

فلما فرغ مما كان فيه وأقبل على الناس رأيتُ في المجلس رجلاً ذا رواءٍ وهيئة لم أعرفه، فقلت: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: الخلفاء تُسأل ولا تُسأل، هذا الأخطل الشاعر. قلت في نفسي: هذه أخرى.

قال: وحُضنا في الحديث فمرَّ له شيء لم أعرفه فقلت: أكتنَّيه يا أمير المؤمنين. فقال: الخلفاء تُستكتب ولا تُستكتب. فقلت: هذه الثالثة. وذهبت لأقوم، فأشار إليَّ بالعود، فقعدت حتى خفَّ من كان عنده، ثم دعا بالطعام فقُدِّمت إليه المائدة، فرأيت عليها صفحة فيها مُحَّ، وكذا كانت عادته أن يقدم إليه المحُّ قبل كلِّ شيء. فقلت: هذا يا أمير المؤمنين كما قال الله عزَّ وجلَّ:

عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْهُ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ مَا حَصَرْتُمْ﴾

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْهُ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ مَا حَصَرْتُمْ﴾ (١)

فقال: يا شعبي، مازحت من لم يمازحك. فقلت: هذه والله رابعة.

فلما فرغ من الطعام وقعد في مجلسه واندفعنا في الحديث

(١) سورة سبأ، الآية ١٣.

وذهبتُ لأتكلّم، فما ابتدأت بشيء من الحديث إلا استلبه مني فحدّث الناس به، وربما زاد فيه على ما عندي؛ ولا أنشدته شعراً إلا فعل مثل ذلك. فغمّني ذلك وانكسر بالي له، فما زلنا على ذلك بقية نهارنا، فلما كان آخر وقتنا التفت إليّ فقال: يا شعبيّ، قد والله تبيّنتُ الكراهة في وجهك لما فعلتُ، وتدرى أيُّ شيءٍ حملي على ذلك؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: لئلا تقول: لعن فازوا بالملك أولاً لقد فزنا نحن بالعلم، فأردت أن أعزّفك أنّا فزنا بالملك وشاركناك فيما أنت فيه. ثم أمر لي بمال، فقمّت من عنده وقد زلّلتُ أربع زلّات.

● شهد الكميّة الجمعة بمسجد الجامع، فأحاط به علماء أهل الكوفة ورواتهم، فيهم حماد والطّرمّاح، فجعلوا يسألون، فكان لا يُسأل عن حرف إلا كان كأنه ممثّل بين عينيه، فقال: ألا ألقى عليكم بيتاً؟ فقالوا: افعل يا أبا المستهل^(١). فألقى عليهم هذا البيت:

قذفوا صاحبهم في ورطةٍ قذّفك المقلّة وسط المعتزك

فجعلوا ينظرون فيه، ونودي بالعصر ولم يصنعوا شيئاً! فسألوه عنه فقال: إن المقلّة الحصاة التي يقسمُ بها القوم ماءهم. قال: والمعنى: قذفوا صاحبهم في ورطةٍ شطر المعتزك قذّفك

(١) أبو المستهل: كنية الكميّة بن زيد الأسدي.

المقلة.

● قال أبو يوسف يعقوب بن الدقاق: أرسلني أبو نصر ابن حاتم إلى محمد بن زياد الأعرابي أسأله عن هذين البيتين:
عجبتُ لهذه بعثتُ بعيري وأقبل كلُّنا فرحًا يحوُّلُ
يُحاذِرُ شرَّها جملي، وكلبي يرحي نفعها ماذا تقولُ
فسألته فقال: هذه أمةٌ صوّتت بالكلب على تصويت
السنانير، فجاء الكلبُ فرحًا يظنُّ أنها ستطعمه شيئاً، وثار
البعير يظنُّ أن الصوت به ليحمل عليه!

● ذكر الأصمعي أن معتوهاً جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، لم سُميت الخيلُ خيلاً؟ فبقي أبو عمرو ليس عنده فيه جواب، فقال: لا أدري. فقال: لكني أدري، فقال: علِّمنا نعلم، قال: لاختيالها في المشي.

فقال أبو عمرو لأصحابه بعدما ولى المجنون: اكتبوا الحكمة وارووها ولو عن معتوه.

● سئل الخليل عن الرفع لم جعل للفاعل؟ فقال: الرفع أولُ حركة، والفاعل أول متحرِّك، فجعلوا أول حركةٍ لأول متحرِّك.

● سأل اليزيديُّ الكسائيَّ بحضرة الرشيد وقال: انظروا، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

ما رأينا حَرَباً نـ مَرَّ عنه البيضَ صَفْرُ (١)
لا يكون العَيْرُ مُهْرًا لا يكون المِهْرُ مُهْرُ

فقال الكسائي: قد أقوى (٢) الشاعر. فقال اليزيدي: انظر جيداً. فقال: أقوى، لا بدَّ أن يُنصَبَ المِهْرُ الثاني على أنه خبرٌ كان.

قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنما ابتداءً فقال: المِهْرُ مُهْرُ.

فقال له يحيى بن خالد: أتتكتئ بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحبُّ إلينا من صوابك مع فعلك!

فقال: لذة العَلْبِ أنستني من هذا ما أحسن!

● يقال لما بين الإبهام والسبابة: الفِتر، ولما بين السبابة والوسطى: العَتَب، ولما بين الوسطى والبُنصر: الرَتَب، ولما بين الحِنْصِر والبُنصر: البُنصم.

● قال الفراء: مدحني رجل من النحويين فقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم؟

قال: فأعجبني نفسي، فناظرته وساءلته، فكأني كنت طائراً

(١) الخرب: ذكر الحبارى.

(٢) من الإقواء، وهو ضرورة ما يلجأ إليه الشاعر..

يغرف من بحر!

● سأل رجل أبا العباس (ثعلب) في مجلسه عن قول

الشاعر:

مرحباً بالذي إذا جاء الـ خَيْرُ أو غابَ غابَ عن كلِّ خيرٍ

فقال: أيهجو أم يمدحه؟

فقال: بل يهجو.

وفيه تقديران: أحدهما تفسير محمد بن يزيد، قال: يصفه بالغفلة والبلادة، وتقديره: مرحباً بالذي إذا جاء جاء الخير، أي حضوره غيبة، فهذا المصراع في ذكر بلاذته وغفلته. ثم قال: أو غاب غاب عن كلِّ خير، معناه أن الخير عندنا، فإذا غاب غاب عن كلِّ خير، لأنه لا يُرجع إلى خيرٍ عنده.

قال أبو العباس (ثعلب): إنما وصفه بالحرمان فقط، وتقدير الكلام عنده: مرحباً بالذي إذا جاء غاب عن كلِّ خير، جاء الخير أو غاب. يصفه بالحرمان والشؤم على كلِّ حال!

* * *

المجتنى (١)

لابن دريد

قوله صلى الله عليه وسلم: "يا خيل الله اركبي" قاله في بعض مغازيه. والخيل لا تتركب، وإنما هو على الإيجاز

(١) المجتنى / لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري؛ [حقيقه هاشم الندوي؛ ضبط نصّه وعلق عليه محمد الدالي]. - ط ٢. - دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ١١٠ص.

يعدُّ هذا الكتاب من أجود تصانيف العلامة ابن دريد، فقد اشتمل على فنون شتى - كما يقول في مقدمته - "من الأخبار الموثقة، والألفاظ المسترشقة، والأشعار الرائقة، والمعاني الفخمة، والحكم المتناهية، والأحاديث المنتخبة". قال: "وسميناه كتاب المجتنى، لاجتنائنا فيه ظرائف الآثار، كما تجتنى أطايب الثمار، وجربنا فيه إلى الاختصار".

وقد بدأ كتابه بأحاديث نبوية كريمة التي اشتهرت بجوامع الكلم، حتى ضُربت الأمثال بتلك الكلمات، فشرحها المصنف، وأظهر ما كان مكنوناً فيها من المعاني والمطالب، وبيّن نكاتها الأدبية.. ثم ذكر ما حُفظ من كلام أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. ثم نقل ما حُفظ من أقوال الحكماء، وكلام الشعراء وأقاويل الأدباء.

والمؤلف من أئمة اللغة والأدب. وقالوا إنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة، وأقام في عُمان اثني عشر عاماً، ورحل إلى نواحي فارس، وعاد إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي، وبقي هناك إلى أن توفي سنة ٣٢١هـ وهو صاحب "المقصورة الدريدية" التي مدح فيها آل ميكال عندما قلدوه ديوان فارس، ومن مؤلفاته الأخرى المشهورة: الاشتقاق (في الأنساب)، المقصور والممدود، الجمهرة (في اللغة)، ذخائر الحكمة، الملاحن، السحاب والغيث، أدب الكاتب، الأمالي.

والاختصار، ووجه الكلام هو: يا فرسان خيل الله اركبي.
فاختصر، لأنه علم ما أراد. والخيول كلها لله، فأضاف الخيول
إلى الله عزَّ وجلَّ تبجيلاً وتعظيماً، كقولهم: بيتُ الله. والبيوتُ
كلُّها لله. وشهَرُ الله الأصمَّ، وناقَةُ الله. ونحو ذلك.

● عن ابن عباس قال: سمعت أبا بكر يقول:

إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلِّهم فانظر إلى مَلِكٍ في زيِّ مسكينٍ
ذاك الذي حسنتَ في الناسِ سيرتهُ وذاك يصلحُ للدنيا وللدينِ

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض خطبه:
إياكم والبِطْنة، فإنها مكسلةٌ عن العبادة، مفسدةٌ للجسم،
مؤدِّية إلى السقم. وعليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد من
السرف، وأصحُّ للبدن، وأقوى على العبادة. وإن العبدَ لن
يهلك حتى يُؤثِّرَ شهوته على دينه.

● قال علي رضي الله عنه: إن الله أمرنا تخييراً، ونهانا
تحذيراً، وأعطانا على قليلٍ كثيراً، لن يُطاعَ ربُّنا مكرهاً، ولا
يُعصَى مغلوباً.

● كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يعاتبه في التأني،
فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإن التفهُم في الخير زيادةٌ ورشد،

وإن المتشيت مصيب، وإن العجل مخطئ، وإن لم ينفعه الرفق
ضرة الخرق، وإن من لم تعظه التجارب لم يدرك المعالي، ولم يبلغ
الرجل أعلى المبالغ حتى يغلب حلمه جهله، والعاقل يسلم من
الزلل بالتثبت وترك العجلة. ولا يزال العجل يجتني ثمرة الندم.

● عزى عبدالرحمن بن أبي بكر سليمان بن عبد الملك
فقال: إنه من طال عمره فقد الأحبة، ومن قصر عمره كانت
مصيبته في نفسه.

● قال رجل لرجل: بلغني عنك أمرٌ قبيح فلا تفعل، فإن
صحبة الأشرار ربما أورثت سوء الظن بالأخيار.

● وقال الأحنف: الملؤل ليس له وفاء، والكذاب ليس له
حياء، والحسود ليست له راحة، والبخيل ليست له مروءة، ولا
يسود سيء الخلق.

● إذا عثر الكريم، لم ينعش إلا بكريم.

● أشرف الغنى ترك المني.

● في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال.

● جوهر الأخلاق تتصفحها المعاشرة.

- بئس الزأدُ إلى المعادِ العدوانُ على العبادِ.
- تجرُّعِ المضضِ يُطفئُ نارَ الغضبِ
- ويلٌ للباغين من أحكمِ الحاكمين.
- بكثرةِ الصمتِ تكونُ الهيبةُ.
- بالحلمِ عن السفيةِ يكثرُ أنصاركَ.
- بإيثاركِ على نفسك تستحقُّ اسمَ الكرمِ.
- لأهلِ الاعتبارِ تُضربُ الأمثالُ.
- لا تأنسِ بما استوحشَ منه أهله بعد أنسهم به.
- إياك وعزّةُ الغضبِ، فإنها تُفضي بك إلى ذلّةِ الاعتذارِ.
- تجنّبِ المسألة ما كان التحمُّلُ ممكناً، فإن لكلِّ يومٍ رزقاً
جديداً، وخيراً متوقِعاً.
- أسعدُ الناس من تصفّح آراء الرجال، واستكثر من ذوي
الألباب، فإن لكلِّ عقلٍ ذخيرةً من الصواب، ومسكناً من
التدبيرِ.
- لا تُشعر قلبك الهَمَّ بما فات فيشتغل ذهنك عن
الاستعدادِ لما تأتي به الأيام.

- قتل القنوطُ صاحبه، وفي حسنِ الظنِّ باللهِ راحةُ القلوب.
- فضيلة العالم بتواضعه تزيد رفعة في قدر علمه.
- من قوي على مهاجرة نفسه، وقمع شرَّته، ذلَّت له صعابُ الأمور، ودانت لطاعته القلوب.
- لا راحةً لحريص، ولا غنى لذي طمع.
- الإنصاف يؤلّف القلوب.
- الغدرُ من صِعَرِ القدر.
- الاستطالة لسانُ الجهالة.
- الكريمُ يلينُ إذا استعطف، واللئيمُ يقسو إذا لوطف.
- الصفحُ بين الإخوان مكرمة، مكافأتهم على الذنوب بالإساءة دناءة.
- لم تقابلَ سفيهاً بالإعراض عنه والاستخفافِ بعقله إلا أذلَّته في نفسه، وسلَّطت عليه الانتصارَ من غيرك.
- أقبحُ عملِ المقتدرين سرعةُ الانتقام.
- كتب أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى عكرمة ابن أبي جهل - وهو عامله بعُمان - : إياك أن تُوعِدَ في

معصية بأكثر من عقوبته، فإنك إن فعلت أثمت، وإن تركت
كذبت!

● ذمّ أعرابي رجلاً فقال: كان صغيرَ القدر، قصيرَ الشبر،
قليلَ البشر، ضيقَ الصدر، عظيمَ الكبر، كثيرَ الفخر.

● ذكر لرجل من البلغاء جليسٌ له فقال: لهو أحلى من
رخص السّعر، وأمن السُّبل، وإدراكِ الأماني، وبلوغِ الآمال!

● ذُكر عند العباس بن الحسن العلوي رجلٌ قد فراقه
فقال: دعني أتذوّقَ طعمَ فراقه، فهو - والله - الذي تشجى له
النفس، ولا تدمعُ عليه العين، ولا يكثرُ في أثره الالتفات، ولا
يُدعى له عند فراقه بالسلامة.

● هنأ رجل رجلاً في يومِ فطرٍ فقال: قَبِلَ اللهُ منك الفرضَ
والسُنَّةَ، واستقبل بك الخيرَ والنعمة!

● دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعودُ بك من نزول الشرِّ،
وحلول الحذر، وضيق الصدر، وتوابع الإثم، وشماتة ابن عمّ.

● ودعا آخر فقال: اللهم إني أعودُ بك من الهوامِ الهائلة،
والسباع الضارية، واللصوص العادية، والسلاطين الجائرة،
والشياطين الماردة.

● ولآخر: اللهم أغني بالافتقار إليك، ولا تُفقرني بالاستغناء عنك.

● قال حكيم: استعدَّ لحريقِ الغضبِ الأناةَ قبل تلهُبِ ناره، فإن إطفاءهُ قبل انتشاره يسير، وإذا انتشر أنسى الحياءَ وقبَّح المحاسن.

● وقال آخر: إن أفضل ما أُعطي العبدُ في الدنيا الحكمة، وفي الآخرة الرحمة.

● قال وهب بن منبّه لابنه: يا بني جالسِ الكبراء، وسائلِ العلماء، وخالِلِ الحكماء، فإن مجالستهم غنيمَةٌ، وصحبتهم سليمة، ومؤاخذتهم كريمة.

● وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: من لم تكن فيه ثلاث خصال فلا تؤاخه: ورعٌ يحجزه عن معاصي الله، وحلمٌ يطرُد به فحشه، وحُلُقٌ يعيشُ به في الناس.

● مكتوبٌ في التوراة: يا ابن آدم: اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب.

● وفيها: من شكَا مصيبةً نزلت به فإنما يشكو ربّه، ومن دخل على غنيٍّ فتواضع، ذهب ثلثا دينه!

● قال محمد بن علي لابنه: يا بني لا تكسل، فإنك إذا كسلت لم تؤدِّ حقاً. ولا تضجر، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق. ولا تمتنع من حق، فإنه ما من عبد يمتنع من حقٍ إلا فتح الله عليه باب باطل.

● دعا بعضهم فقال: اللهم إن كان رزقي في السماء أنزله، وإن كان رزقي في الأرض فأخرجه، وإن كان نائياً فقربه، وإن كان قريباً فيسيره، وإن كان يسيراً فثمّره، وإن كان كبيراً فبارك فيه.

● دعت أعرابية على مولاها فقالت: فجّع الله بك ودوداً وادّاءً، وأشمت بك عدواً حاسداً، وسلّط عليك همّاً يُضنيك، وجاراً يؤذيك.

● قال الأصمعي: قال رجلٌ من العرب لعبد من عبيدهم: أشتريك؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: إني آكل فارهاً، وأمشي كارهاً!

● وقال آخر لعبد: أشتريك؟ قال: لا. قال: لم؟ قال: إني إذا جعت أبغضتُ قوماً، وإذا شبعْتُ أحببتُ نوماً!

● ودعا أعرابي على رجل فقال: رآك الله كما أراك، ولا رأني كما أراك.

- رأى ذيوجانس شاباً لا أدب له، وعليه خاتم ذهب، فقال: حمار عليه لجام ذهب!
- قيل للإسكندر المقدوني: بِمَ نلتَ هذه المملكة العظيمة على حداثة سنك؟ قال: باستمالة الأعداء، وتصييرهم أصدقاء، وبتعاهد الأصدقاء، وبالإحسان إليهم.
- قال أرسطاطاليس: المحتاج إلى العقل أقبح من المحتاج إلى المال.
- وقيل له: أيُّ الأشياء ينبغي أن يقتنيها العاقل؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينته سبحت معه.
- قال الإسكندر: انتفعتُ بأعدائي أكثر مما انتفعتُ بأصدقائي، لأن أعدائي كانوا يعيرونني بالخطأ وينبّهونني عليه، وكان أصدقائي يزيتون لي الخطأ ويشجّعونني عليه.
- قال هبوتاغورس لمتعلّم يتهاون بتعليمه: أيها الحدث، إنك إن لم تصبر على طلب التعليم، صبرت على شقاء الجهل.
- قيل لفيثاغورس: أيُّ شيء من الأفعال يشبه أفعال الإله؟ قال: الإحسان إلى الناس.
- قال سقراط: ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة

المتطّيب للمريض.

● أنشد أبو العيال:

ولا تعجلْ بطَبِّكَ قبل حُبِّهِ فعند الحُبِّ تنقطعِ الظنُونُ
ترى بين الرجالِ العَيْنُ فضلاً وفيما أضَمُّوا الفضلُ المَبِينُ
كلونِ الماءِ مشتبهاً وليستْ تحبُّهُ عن مذاقتهِ العيونُ

● وأنشد المصنّفُ لأبي حاتم:

إذا أنتِ جاريتِ السفيةَ كما جرى فأنتِ سفيةٌ مثلهُ غيرُ ذي حِلْمِ
إذا أَمِنَ الجُهَّالَ حِلْمَكَ مرةً فِعْرُضُكَ للجُهَّالِ عُنْمٌ من العُنْمِ
فلا تقبضنْ عَرْضَ السفيةِ ودارهِ بِحِلْمٍ فإن أعيأَ عليكِ فبالصَّرمِ
وعَمَّ عليه الحِلْمَ والجَهْلَ والأفْهُ بمنزلةٍ بينِ العداوةِ والسِّلمِ
فيرجوكِ تاراتٍ ويخشاكِ تارةً ويأخذُ فيما بين ذلكِ بالحزمِ
فإن لم تجدْ بدأً من الجهلِ فاستعنْ عليه بجُهَّالِ فذاك من العزمِ

● وأنشد لغيره:

أُبْنِي إن من الرجالِ بيميةً في صورةِ الرجلِ السميعِ المبصرِ
فَطِنٌ بكلِّ مصيبةٍ في مالهِ فإذا أُصِيبَ بدينهِ لم يشعِرِ

● وأنشد كذلك:

أنتِ الفتى كلُّ الفتى لو كنتِ تفعلُ ما تقولُ
لا خيرِ في كذبِ الجَوِّ دِ وَحَبَّذا صدقُ البخيلِ

* * *

المحاسن والمساوي^(١)

للبيهقي

قيل: إذا سمعت أديباً فاكتبه ولو في حائط.

● قال بعضهم: الكتب بساتين العلماء.

(١) المحاسن والمساوي / تأليف إبراهيم بن محمد البيهقي؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. - القاهرة: مكتبة نُهضة مصر ومطبعتها، تاريخ مقدمة التحقيق ١٣٨٠هـ، ٢ مج.

يضم الكتاب - كما يقول المحقق - طائفة من ضروب الآداب وغرر الكلام، تدور حول النفس الإنسانية وما يتعلق بها من الصفات والأفعال، وما يعترىها من دوافع الخير أو نوازع الشر، وما تنضح به من سرّي الأخلاق ومحمود الشمائل، أو ما يصدر عنها مما يؤذي المروءة ويخدش كريم الأحساب؛ وبذلك اجتمع فيه من روائع الشعر ورضين القول، وموروث الخبر والحكمة والمثل، ما لم يجتمع في كتاب، مع تناسب الأبواب، وتقسيم الفصول، وإحكام، الوضع وجمال التصنيف.

كما يذكر المؤلف أن كتابه هذا اشتمل على محاسن الأخبار وطرائف الآثار، وترجمه بـ"المحاسن والمساوي" لأن المصلحة في ابتداء أمر الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالمحجوب. ولو كان الشر صرفاً محضاً لهلك الخلق، ولو كان الخير محضاً لسقطت المحبة، وتقطعت أسباب الفكرة، ومتى بطل التخيّر وذهب التميّز لم يكن صبر على مكروهه، ولا شكر على محبوبه، ولا تعامل ولا تنافس في درجة.

وذكر المحقق أن أهم الكتب التي أفاد منها في التحقيق هو كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ، والكثير من نصوص الكتابين تكاد تكون متحدة، والأخبار مشتركة، مما يحمل على الظن أن مؤلفهما واحد، أو أحما كتابان أخذتا عن أصل مشترك. ولا يعرف عن المؤلف سوى اسمه، وأنه كان يعيش في زمن المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ).

● قال الفضل بن سهل - وزير المأمون وصاحب تدبيره - للمأمون وهو بدمشق، مشرفاً على غوطتها: يا أمير المؤمنين، هل رأيتَ الحُسنةَ شبيهاً في شيء من مُلك العرب؟ يعني الغوطة.

قال: بلى والله، كتابٌ فيه أدبٌ يجلو الأفهام، ويزكّي القلوب، ويؤنسُ الأنفس، أحسنُ منها.

● قال بعض الحكماء: ذهبت المكارمُ إلا من الكتب!

● وقال بعضهم: لا يكون الشرفُ بالحسب والنسب؟ ألا ترى أن أخوين لأب وأم، يكونُ أحدهما أشرفَ من الآخر؟ ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحدٍ منهما على الآخر فضل، لأن نسبهما واحد، ولكن ذلك من قبل الأفعال، لأن الشرفَ إنما هو فيه لا في النسب.

وقال الشاعر في ذلك:

أبوك أبي والجدُّ لا شكَّ واحدٌ ولكننا عُودان: آسٌ وخرُوعٌ

● الخِلاسيُّ من الناس: الذي يخرج من بين الحبشي والبيضاء، والبيسري من الناس: الذي من بين البيض والهند، ويكون من أحسن الناس وأجملهم.

● اصطنعَ رجل رجلاً - أي عمل معه معروفاً - فسأله

يوماً: أتجبنني يا فلان؟

قال: نعم، أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك، ولو كان تحتك لأقلك.

● قيل: نسيانُ النعمة أولُ درجات الكفر.

● قال بعض الحكماء: المعروف إلى الكرام يُعقب خيراً، والمعروف إلى اللئام يُعقب شراً؛ ومثل ذلك مثل المطر، يشرب منه الصّدْفُ فيُعقب لؤلؤاً، وتشرب منه الأفاعي فتُعقب سُمّاً!

● همّ المأمون أن يكتب إلى الأئمة والخطباء بلعن معاوية، وأن يصنف كتاباً في الطعن عليه، فنهاه عن ذلك يحيى بن أكثم وقال: يا أمير المؤمنين، العامة لا تحتمل هذا، ولا سيما أهل خراسان، ولا تأمن أن يكون لهم نفرةٌ ونبوة لا تُستقال، ولا يُدرى ما يكون عاقبتها، والرأي أن تدع الناس على ما هم عليه، ولا تُظهر لهم أنك تميل إلى فرقةٍ من الفرق، فإن ذلك أصلح في السياسة، وآمن في العاقبة، وأجرى في التدبير. فركن إلى قوله...

● قال ثمامة - صاحبُ الكلام - للمأمون: مررتُ يا أمير المؤمنين في شارع الخلد - يعني ببغداد - وأنا أريد الدار، فإذا إنساناً قد بسط كساءه، وألقى عليه أدوية، وهو قائم ينادي:

هذا الدواء للبياض في العين، والغشاوة، والظلمة، وضعف
البصر؛ وإن إحدى عينيه لمطموسة، والأخرى مؤلمة! وقد تجمَّعوا
عليه، واختلفوا إليه، فنزلت عن دابتي، ودخلتُ بين تلك
الجماعة، فقلت: يا هذا، أرى عينيك أحوج الأعين إلى
العلاج، وأنت تصفُ هذا الدواء وتخبر أنه شفاء، فما بالك يا
هذا لا تستعمله؟!

قال: أنا في هذا الموضع منذ عشرين سنة ما رأيت شيخاً
أجهل منك ولا أحمق!
قلت: وكيف ذاك؟

قال: يا جاهل، إني أشتكي من عيني منذ أن كنتُ في
مصر!

فأقبل عليَّ الجماعة وقالوا: صدق والله، أنت جاهل!
وهوُأ بي، فما تخلَّصت منهم إلا عندما قلتُ: ما علمتُ أن
عينه اشتكت بمصر!

● كان زياد بن أبي سفيان يحتذي فعلَ معاوية في تعرُّف
أمر رعيته ومملكته، وفيما يُحكى عنه أن رجلاً كلَّمه في حاجة
له، فتعرَّف إليه وهو يظنُّ أنه لا يعرفه، فقال: أصلح الله الأمير،

أنا فلان ابن فلان: فتبسّم زياد وقال: أتتعرّف إليّ وأنا أعرفُ
منكّ بنفسك؟ والله إني لأعرفك وأعرف أباك وأمّك وجدّك
وجدّتك، وأعرف هذا البرد الذي عليك، وهو لفلان!

فبُهِت الرجلُ وأرعد؛ حتى كاد يُغشى عليه!

● نظر المأمون يوماً إلى ابنه العباس وأخيه المعتصم، فابنه
العباس يتخذ المصانع ويبني الضياع، والمعتصم يتخذ الرجال،
فقال شعراً:

بيني الرجال وغيره بيني الثرى شتان بين قري وبين رجال
فلقٌ بكثرة ماله وضياعه حتى يفرقه على الأبطال

● قال عبد الله بن أسوار: دخلتُ على يحيى بن خالد
البرمكي يوماً، فقال: اجلس - وكنت أحد كتّابه - فقلت:
ليست معي دواة.

فقال: ويحك! في الأرض صاحبُ صناعة تفارقه آله؟!!

وأغلظَ لي في حرفٍ علمتُ أنه أرادَ به خطّي، وأراني بعض
التثاقل في كتابٍ ظهر لي به أنه أراد خطّي على الأدب لا غير.
ثم دعا بدواة، فكتبتُ بين يديه كتاباً منه إلى الفضل ابنه.
ورأى مني بعض الضجر فيما كتبت، فتوهّم أن ذلك من أجل

الكلمة التي كلمني بها. فأراد أن يمحو عن قلبي ما توهّمه عليّ، فقال: عليك دَيْن؟ قلت: نعم. قال: كم دَيْنُك؟ قلت: ثلاثمائة ألف درهم. فوَقَّعَ بِخَطِّه إلى الفضل في الكتاب:

وكلكم قد نالَ شبعاً لبطنه وشبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

ثم قال: إن عبد الله بن أسوار ذكر أن عليه ديناً، فإذا نظرت في كتابي هذا، وقبل أن تضعه من يدك، فأقسمتُ عليك لما حملتَ ذاك إلى منزله من أخصّ مالٍ قبلك.

قال: فحملها الفضل إليّ، وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة!

● قال بعض الحكماء: إذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه بالحجارة، فإنه تاركك كما ترك صاحبه!

● قال عبد العزيز بن مروان: لو لم يدخل على البخلاء في بخلهم إلا سوء ظنهم بالله عز وجل؛ لكان عظيماً!

● شكى رجل إلى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل ويُنْفِق، فقال: إن النفقة داعية إلى الرزق - وكان جالساً بين بابين - فقال للرجل: أغلق هذا الباب، فأغلقه، فقال: هل تدخل الريح البيت؟ قال: لا. قال: فافتحه. ففتحه، فجعلت الريح تخترق البيت. فقال: هكذا الرزق؛ إنك إذا غلقت الباب

لم يدخل الريح، وكذلك إذا أمسكت لم يأتك الرزق!

● قال أمية بن يزيد الأموي: كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، فجاءه رجلٌ من أهل بيته، فسأله المعونة على التزويج، فقال له قولاً ضعيفاً، فيه وعدٌ وقلّة طمع. فلما قام من عنده ومضى، دعا صاحب خزانته وقال: أعطه أربعمئة دينار! فاستكثرناها وقلنا: كنت رددت عليه رداً ظننا أنك تعطيه شيئاً قليلاً، فإذا أنت أعطيته أكثر مما أمّل!

فقال: إني أحبُّ أن يكونَ فعلي أحسنَ من قولي.

● دخل ابن الخياط على المهدي، فمدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم! فلما قبضها فرّقها على الناس، وأنشأ يقول:

لمستُ بكفّي كفةً أبتغي الغنى ولم أدرِ أن الجودَ من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدتُ، وأعداني فبددتُ ما عندي
فأعطاه بكلِّ درهمٍ ديناراً!

● جلس المأمون يوماً وقد حضرَ الناس، فأمر عليّ بن صالح بإدخال إسماعيل بن موسى، فغلط وأدخل إسماعيل بن جعفر! وكان المأمون من أشدِّ الناس له بغضاً، فرفع يده إلى السماء فقال: اللهم أبدلني بعليّ بن صالح مطيعاً ناصحاً، فإنه بصداقته لهذا أثر هواه على هواي.

فلما دنا قَبَّلَ يده فقال: هاتِ حوائجَكَ، فقال: ضَيِّعني
بالفتنة فُهِرْتُها وَعُصِبْتُ عليها.

فأمر برِّدَها عليه، ثم قال: اذكر حاجتك، فقال: دَيْنٌ كثير
قد لحقني في جفوة أمير المؤمنين إِيَّاي.

فأمر بقضاء دَيْنه، وقال: ما حاجتك؟ قال: يأذن لي أمير
المؤمنين في الحجِّ.

قال: قد أذنَّا لك، وحاجتك أيضاً؟

قال: وقَفُّ أبي كان في يدي، فأخرج عَنِّي.

قال: يُرَدُّ عليك إن رضي ورتُّه أيبك.

ثم قال: الذي أمكنا في أمرك قد جُردنا به، ووقف أيبك
إلى ورتته. ثم قال لعليِّ بن صالح: يا عبد الله، ما لي ولك، متى
رأيتني أنشَطُ لإسماعيل بن جعفر، وهو صاحبي بالأمس
بالبصرة! قال: يا أمير المؤمنين، ذهب عني إسماعيل بن موسى،
قال: ذهب عنك ما كان يجبُ عليك حفظه، وحفظت ما كان
يجب ألا تحفظه، فأما إذا أخطأت فلا تُعلم إسماعيل بن جعفر
القصة.

فظنَّ أنه عنى إسماعيل بن موسى. فأخبر إسماعيل بن جعفر
حرفاً حرفاً! فأذاعها إسماعيل، وبلغ المأمون فقال: الحمد لله

الذي وهب لي هذه الأخلاق التي أحتمل عليها عليّ بن صالح، وأبا عمران الطوسي، وحُميد بن عبد الحميد، ومنصور بن النعمان!

● عن أحمد بن بكر الباهليّ قال: حدّثني حاجب المهديّ قال: قال لي المهديّ يوماً نصفَ النهار: اخرج وانظر من الباب! فخرجت فإذا شيخٌ واقف، فقلت: ألك حاجة؟ فقال: ما يمكن أن أخبرَ حاجتي أحداً غيرَ أمير المؤمنين. فتركته، ودخلتُ على المهديّ، فقال لي: اخرج فانظر من الباب! فخرجت، فإذا الشيخ! فقلت: إن كان لك حاجةٌ فاذكرها، قال: لا أذكرها إلا لأُمير المؤمنين! ففعلَ هذا مرات، فقال المهديّ: انظر من الباب! فقلت: شيخٌ قد سألتَه غيرَ مرةٍ عن حاجته فقال: ما يمكنُ أن أخبرَ بحاجتي أحداً دون أمير المؤمنين، وقلت: أيدخلُ؟ قال: نعم، ومُره بتخفيف؛ فخرجتُ، فقلت له: ادخل وحقِّفْ، فدخل وسلّم بالخلافة، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنا قد أمرنا بالتخفيف:

فإن شئتَ حقِّفنا فكنّا كريشةً متى تلقَّها الأنفاسُ في الجوّ تذهبُ
وإن شئتَ ثقلنا فكنّا كصخرةٍ متى تلقَّها في حوْمَةِ البحر ترسُبُ
وإن شئتَ سلّمنا فكنّا كراكبٍ متى يقضِ حقاً من سلامك يعزُبُ

فضحك المهدي وقال: بل تُكرِّمُ وتُقضى حاجتك.
فقضى حاجته، ووصله بعشرة آلاف درهم!
● دخل محمد بن الجهم على المأمون، فقال: أنشدني
أحسنَ ما سمعته في المديح.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين. قوله:
تجوّد بالنفس إذ ضنَّ الجوادُ بها والجوّد بالنفس أقصى غاية الجودِ
فقال: أنشدني أخبثَ ما سمعته في الهجو، فقال: قوله:
تُبَحِّثُ مناظرهم فحين خبَّرتهم حُسْنَتْ مناظرهم لقبح المخبرِ

قال: فأنشدني أحسنَ ما سمعته في المراثي، فقال: قوله:
أرادوا ليُخْفوا قبره عن عدوّه فطيبُ تراب القبرِ دلٌّ على القبرِ
ومثله أيضاً:

على قبره بين القبور مهابةٌ كما قبله كانت على ساكنِ القبرِ

قال: فأنشدني أحسنَ ما سمعته في الغزل، قال: قوله:
حبُّ مُجِدِّ وحبیبٌ يلعبُ وأنت ملقَى بينهم معدَّبُ

فاستحسن الأبيات، ثم أمر بتقليدي الصيمرة والسَيروان
ومهرجان قذق، والدَيْنور ونهاوند. فانصرفت من عنده بولاية

الجيل!

● كتب إبراهيم بن سيّابة إلى رجل صديق له كثير المال يستسلفه، فكتب إليه: العيال كثير، والدخل قليل، والمال مكذوب.

فكتب إليه: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً!

● ذكر أعرابي رجلاً فقال: له مواعيد عواقبها المطل، وثمارها الخلف، ومحصولها اليأس!

● قال بعضهم في البخل بالطعام:

يا تارك البيت على الضيفِ وهارباً منه من الخوفِ
ضيفك قد جاء بزادٍ له فارجع فكن ضيفاً على الضيفِ
إذا انتهى الضيفُ طبيخَ الشتا أتاه بالشهوة في الصيفِ
وإن دنا المسكينُ من بابه شدَّ على المسكينِ بالسيفِ

● مدح أعرابيُّ رجلاً فقال: كان يفتح من الرأي أبواباً منسدةً، ويغسلُ من العارِ وجوهاً مسودةً!

● ومدح آخر فقال: ذاك من شجرٍ لا يُجفُّ ثمره، وماءٍ لا يُخافُ كدره!

● وذمَّ أعرابي رجلاً فقال: تسهر زوجته جوعاً إذا نام

شبعاً، ولا يخافُ عاجلَ عار، ولا آجلَ نار، كالبهيمة أكلت ما جمعت، ونكحت ما وجدت!

● وذمَّ آخر فقال: ذاك أعيما ما يكون عند الناس، أبلغ ما يكون عند نفسه.

● وذمَّ آخر فقال: إذا سأل الحف، وإذا سُئل سؤف، يحسدُ أن يُفضَّل، وبزهدُ أن يُفضِّل.

● وسأل أعرابي رجلاً فقال: لقد نزلت بوادٍ غير ممطور، وبرجلٍ بك غير مسرور، فارتحلُ بندم، أو أقمُ بعدم.

● قيل لأعرابي: ما بلغ من سوء خلقك؟ قال: تبدو لي الحاجة إلى الجار أو الصاحب في بعض الليل، فأصبح غضباناً عليه، أقول: كيف لم يعلمها؟!

● قيل لفتاة. ما السرور؟

قالت: زوجٌ يملأ قلبي جلالاً، وعيني جمالاً، وفنائي جمالاً.

● حُكي عن الحكماء أن لذَّة الثوب يوم، ولذَّة المركب

جمعة، ولذَّة المرأة شهر، ولذَّة الضيعة سنة، ولذَّة الدار الأبد!

● إذا أيسرَ الفقير ابثلي به ثلاثة: يجفو صديقه القديم،

ويتزوَّج على امرأته، ويهدمُ داره وينيتها.

● قيل لأعرابي: لم يقول أهلُ الحضر: باعك الله في

الأعراب؟

قال: لأننا والله نُعْري جلدَه، ونُجِيع كبدَه، ونُطِيل كدَه!

● قال أبو هقّان:

كم من حمارٍ له حمائرٌ ومن جوادٍ بلا حمارٍ!

● وقال بعضهم:

وعاقبةُ الصبر الجميل جميلةٌ وأحسنُ أخلاق الرجال التفضُّلُ
ولا عارٌ إن زالت عن المرءِ نعمةٌ ولكنَّ عاراً أن يزول التجملُ

● ولآخر:

كنتَ إذا كنتَ عديماً لي خيلاً ونديماً
ثم أثريتَ فاعرضتَ ست ولم تَرَ عديماً
صار ما نلتَ من الما ل لنا ذنباً عظيماً
هكذا يفعلُ بالإخوا ن من كان لقيماً

● قال عمرو بن عتبة: من لم يقدمه الحزم، أخره العجز.

● قال بعضهم:

اصبرْ على زمنٍ جَمِّ تلؤنه فليس من شدّةٍ إلا لها فرجُ
تلقاهُ بالأمسِ في عمياءِ مظلمةٍ ويصبح اليومَ قد لاحت له السُّرُجُ

● قال سوادة: سألت بختيشوع: ما معنى البلغم؟

فقال: تفسيره بلاءٌ وغمٌ.

● وقال بعضُ الفلاسفة: ينبغي للعاقل أن يتقيَ البردَ في أول الشتاء وآخره.

ف قيل له: ففي وسطه؟

قال: ذاك يتَّقيه العاقلُ والأحمق!

● قال بعضُ الفلاسفة: لا ينبغي للعاقل أن يستخفَّ بالقليلِ من ثلاثة أشياء: بالقليلِ من النار، والقليلِ من السلطان، والقليلِ من السَّقم.

● قال رجل لعبدالمملك بن أبجر: أشتهي أن أمرض!

فقال له: كُلْ سمكاً مالحاً، واشربْ عصيراً حلواً، واقعد في الشمس، وادعُ الله أن تصبح مريضاً، فإن لم تمرض فأنت حمار!

● لما سخط المنصور على أبي مسلم الخراساني، وكَل به شهرام المروزي، فقال له يوماً: الويلُ لك من الخليفة المنصور!

فقال: الويل لي من ربي! وأين يقع ويلٌ ساعةٍ من عذاب الأبد؟!!

● قال بُقراط: يُداوى كلُّ عليلٍ بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة تنزع إلى غذائها.

ومما يؤكد ذلك قولُ أعرابيٍ وقد مرض مرضاً، فقال له قائل:
ما تشتهي؟

قال: لبناً محضاً رويّاً، وضبّاً مشويّاً!

● قيل لأعرابي: كيف تصنعُ بالبادية إذا انتصف النهار،
وانتعل كلُّ شيء ظلّه؟

فقال: وهل العيشُ إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلاً فيرفضُ عرقاً
كأنه الجُمان، ثم ينصبُ عصاه، ويُلقِي عليها كساءه، وتُقبل
عليه الرياح من كل جانب، فكأنه في إيوانِ كسرى!

● رأى رجل أبا دُلف فيما يراه النائم، فقال: ما حالك؟
فقال:

فلو أنا متنا تُرْكنا لكان الموتُ راحةً كلِّ حيٍّ
ولكنّا إذا متنا بُعِثنا ونُسأل بعده عن كلِّ شيءٍ

● روي عن عبد الله بن جعفر، قال: بعثني علي بن أبي
طالب إلى حكيم بن حزام، يسأله سلفَ ثلاثين ألف درهم،
فأتيته، فانطلق بي إلى منزله، فوجدَ في الطريق صوّفاً فأخذه،
ومرَّ بقطعة كساء فأخذها، فلما صارَ إلى منزله أعطاني طرف
الصوف، فجعلتُ أفْتِله ويُرسل حتى فتلته، ثم دعا بغيرارة محرّقة
فرفعها بالكساء، وخاطها بالخيط، وصيرَ فيها ثلاثين ألف

درهم، وحملت معي.

● وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة، يسألونه في جمالة، فصادفوه في بستان له يتتبع ما يسقط من الثمر، فيعزل جيده عن رديئه، ويجعل كل صنف منها على حدته. فهموا أن يرجعوا عنه، وقالوا: ما نظن عند هذا خيراً. ثم عزموا على لقائه، فأقاموا حتى فرغ من بستانه فكلموه، فأعطاهم، فقال رجل من القوم له: لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك، وأخبروه. فقال: إن الذي رأيتم من صنيعي قضيت به حاجتكم!

● قال بعضهم:

الشيب في رأس الفتى حلم به والشيب في رأس الفتاة قبيح
والخال في خد الفتى عيب به والخال في خد الفتاة مليح

● وقال آخر:

أخي ما بال قلبك ليس يتقى كأنك لا تظن الموت حقاً
ألا يا ابن الذين مضوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبقى

● قال أبو عمرو بن العلاء: بينما أنا أدور في بعض البوادي، إذا أنا بصوت:

وإن امرأة دنياه أكثر هميه لمستمسك منها بجبل غرور
قال: فنقشته على خاتمي!

● سمع المأمون بيتَ أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت له عن عدوٍّ في ثياب صديقٍ

فقال: لو سُئلتِ الدنيا عن نفسها، لما وصفت كما وصفها
به أبو نواس!

● قيل للحسن البصري: ما تقول في الدنيا؟

فقال: ما عسى أن أقول فيها وحلاها حساب، وحرأؤها
عذاب؟!

فقيل: ما سمعنا كلامًا أوجزَ من هذا!

قال: بلى، كلامُ عمر بن عبد العزيز، كتب إليه عديُّ بن
أرطاة وهو على حمص: إن مدينة حمص قد تهدّمت واحتاجت
إلى إصلاح حيطانها؟

فكتب إليه: حصّنها بالعدل، ونقّ طرفها من الظلم.

● قال عمرو بن العاص: يتغيّر الغلام لسبع، ويحتلم لأربع
عشرة سنة، ويتمُّ خلقه لإحدى وعشرين، ويجمع عقله لثمان
وعشرين، وما بعد ذلك فتجارب.

● كان يقال: إذا استخارَ الرجلُ ربّه، واستشار نصيحَه،
وأجهدَ رأيه، فقد قضَى ما عليه، ويقضي الله جلَّ وعزَّ في أمره
ما يحبّ.

● وقال آخر: إذا أراد الله بعبدٍ هلاكاً أهلكه برأيه!

● قيل لأبي مسلم الخراساني - صاحب الدولة العباسية-:
بأي شيء أدركت هذا الأمر؟

فقال: ارتديت بالكتمان، وأتزرْتُ بالحزم، وحالفْتُ الصبر،
وساعدت المقادير، فأدركتُ ظني، وحزتُ حدَّ بغيتي.

● قال عمر بن الخطاب لأصحابه: دلُّوني على رجل
أستعمله على أمر قد أهمَّني: قالوا: فلان. قال: لا حاجة لنا
فيه. قالوا: فمن تريد؟ قال: أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس
أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجلٌ منهم!
قالوا: ما نعرف هذه الصفة إلا في الربيع بن زياد
الحارثي^(١).

قال: صدقتم. فولَّاه.

● شتم رجلٌ المهلب، فلم يجبه، فقبل له: حلُمْتَ عنه؟

فقال: لم أعرف مساوئه، فكهرتُ أن أجهته بما ليس فيه.

● كان يقال: ينبغي للعاقل أن يحفظَ لسانه كما يحفظُ
موضعَ قدمه.

● قال الأصمعي: قال الخليل بن سهل: يا أبا سعيد،
أعلمت أن طولَ رمح رستم كان سبعين ذراعاً من حديد

(١) أمير فاتح. أدرك عصر النبوة، وولي البحرين، وقدم المدينة في أيام عمر،
وفتحت سبجستان على يديه. وكان شجاعاً تقياً.

مصمت في غلظ الراقود^(١).

قال: فقلت: ها هنا أعرابي له معرفةٌ فاذهب بنا إليه نُحدِّثه

بهذا!

فذهبت به إلى الأعرابي، فقال له ذلك، فقال الأعرابي: قد سمعنا بهذا، وقد بلغنا أن رستم هذا وإسفنديار أتيا لقمان ابن عاد بالبادية، فوجداه نائماً ورأسه في حجر أمه، فقالت لهما: ما شأنكما؟ فقالا: بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه، فانتبه فزعاً من كلامهما، فنفخهما، فألقاهما إلى أصفهان، فقبورهما اليوم بها!

فقال الخليل: قَبَّحَكَ اللهُ ما أكذبتك!

فقال: يا ابن أخي، ما بيننا شيءٌ إلا وهو دون الراقود.

● دخل رجل على معاوية ومعه ابنٌ له يتوكأ عليه، فقال: من هذا الغلام معك؟

قال: ابنٌ يتيم لي.

قال: حقٌّ لمن كنتَ أباه أن يكون يتيماً!

● عالمٌ معاند، خيرٌ من جاهلٍ منصف.

● قيل: الأدب حياة القلب، ولا مصيبةٌ أعظم من الجهل.

(١) الراقود دُنٌّ كبيرٌ يُطلى داخله بالقار.

● قال الأصمعيّ: بينما أنا ذات يوم قد خرجتُ من
الهاجرة، والجوُّ يلتهب ويتوقّد حرّاً، إذ أبصرتُ جاريةً سوداء قد
خرجت من دار المأمون، ومعها جرّة فضة تستقي فيها ماء،
وهي تردّد هذا البيت بحلاوة لفظ، وذراية لسان:
حَرٌّ وجدٍ وحرٌّ هجرٍ، وحرٌّ أيُّ عيشٍ يكونُ من ذا أمرٍ!

قال: فقلت لها: يا جارية، ما شأنك؟ فقالت: إني من دار
أمير المؤمنين المأمون، وأنا أحبُّ عبداً له أسود، وإنه قد هجرني،
ولا أحسنُ أن أُخرجَ سرِّي إلى أحد.

قال: فمضيتُ، واستأذنت على المأمون، فإذا هو نائم،
فأذن لي - وقد كان أمرٌ ألا أُحجّب عنه على أيِّ حال كان -
فدخلتُ عليه وهو في مرقده، فقال: ما جاء بك يا أصمعيّ
في هذا الوقت؟ قلت: يا أمير المؤمنين، تهبُّ لي جاريتك
السوداء، وعبدك الأسود فلاناً؟ فقال: قد فعلتُ ذلك، وهما
لك، افعلْ بهما ما شئت.

فخرجتُ من عنده، وأحضرتهما، وجمعتُ من أهل الدار
من حضر، وأعتقتُهما، وزوّجت الجارية من العبد، ثم عدتُ إلى
المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني فعلت كيت وكيت، وإني

أريد الآن ما أجهّزهما به.

فأمر لكلّ واحد منهما بعشرة آلاف درهم، وأمر لي بمثل ذلك، وخرجت من عنده، وعاد هو إلى نومه!

● اختصم رجلان إلى عمر بن عبد العزيز، فجعلوا يلحنان، فقال الحاجب: قما فقد أوذيتما أمير المؤمنين!

فقال عمر: أنت والله أشدُّ إيذاءً منهما!

● أرسل المعتصم إلى "أشناس" يطلب منه كلب صيد.

فوجّه به إليه، فردّه وهو يعرج، فكتب إليه أشناس بشعر قاله:

الكلبُ أخذتَ جيّدٌ مكسورَ رجلٍ جِبتَ
رُدُّ جيّدٌ كما كلبٌ كنتَ أخذتَ

فكتب إليه المعتصم:

الكلبُ كان يعرجُ يومَ الذي به بعثتَ
لو كان جاءَ مخبراً خيّرَ رجلٍ كلبٍ أنتَ

● قال ثمامة: بكر أحمد بن أبي خالد يوماً يعرض القصص

على المأمون، فمرّ بقصة "فلان اليزيدي"، وكان جائعاً فصحّف

وقال: "فلان الثريدي"، فضحك المأمون وقال: يا غلام، ثريدة

ضحمة لأبي العباس، فإنه أصبح جائعاً، فخرج أحمد وقال: ما

أنا بجائع يا سيّدي، ولكن صاحب القصّة أحمق، وضع على
نسبته ثلاث نقطات كأثافيّ القدر، قال: دع هذا، فالجوعُ
اضطّرَكَ إلى ذكرِ الثريدِ والقدر، فجاؤوه بصحفة عظيمة كثيرة
العراق والودك^(١)، فاحتشم أحمد. فقال المأمون: آليثُ عليك
إلا عدلت نحوها.

فوضع القصص ومال إلى الثريد، فأكل حتى انتهى، فلما
فرغ دعا بطشت فغسل يده، ورجع إلى القصص، فمرّ بقصة
"فلان الحمصيّ"، فقال: فلان "الخبيصيّ"، فضحك المأمون
وقال: يا غلام، هاتِ جاماً فيه خبيص، فإن طعام أبي العباس
كان مثبوراً^(٢). فخجل أحمد، وقال: يا أمير المؤمنين، صاحب
هذه القصة أحمق، فتح الميم فصارت كأنها ثنتان، قال: دع
عنك هذا، فلولا حمقه وحمقُ صاحبه متّ جوعاً، فجاؤوه بجامٍ
فيه خبيص، فأتى عليه، وغسل يده، وعاد إلى القصص، فما
أسقطَ بحرف حتى فرغ!

● لما قال الهذيل الأشجعي في عبد الملك بن مروان:

(١) العراق: العظم أكل لحمه، والودك: الشحم، والسمن.

(٢) الجام: قذح الشراب، والخبيص: الحلواء المنخوصة من التمر. وثير: هلك.

إذا ذات دَلِّ كَلَّمْتَهُ بِحَاجَةٍ فَهَمَّ بِأَنْ تُقْضَى تَنْحَنخَ أَوْ سَعَلَ

قال عبدالمملك: أخزاه الله! فلربما جاءني السعلة والنحنحة

وأنا وحدي في المتوضأ، فأذكر قوله فأردّها!

● وقال كعب بن جُعيل: مكثتُ دهرًا أهجو الناس ولا

أُهجى، حتى انبرى لي غلام من تغلب فقال:

تسميت كعباً بشرّ العظامِ وكان أبوك يسمّى الجُعَلن

وأنت مكائك من وائلٍ مكان الثُرَادِ من أستِ الجَمَلِ

قال: فما رفعت رأسي حتى الساعة!

● لما أصاب أهل مكة سنة ٢٠٨ هـ السيل الذي شارف

الحجر، ومات تحت هدمه خلق كثير، كتب عبدالله بن الحسن

العلوي - وهو والي الحرمين - إلى المأمون:

يا أمير المؤمنين، إن أهل حرم الله وجيران بيته، وألآف

مسجده، وعمرة بلاده، قد استجاروا بفيء معروفك من سيل

تراكمت أحداثه في هدم البنيان، وقتل الرجال والنسوان،

واجتياح الأموال، وجرف الأمتعة والأثقال؛ حتى ما ترك طارفاً

ولا تالداً يُرجع إليهما في مطعم وملبس، قد شغلهم طلب

الغذاء عن الاستراحة إلى البكاء على الأمّهات والأولاد، والآباء

والأجداد، فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك وإحسانك إليهم،

تجدد الله مكافئك عنهم، ومثيبيك عز الشكر لك منهم.

قال: فوجّه إليهم المأمون بالأموال الكثيرة، وكتب إلى

عبدالله:

أما بعد، فقد وصلت شكيتك لأهل حرم مكة إلى أمير المؤمنين، فتلافاهم الله بفضله رحمة، وأنجدهم بسبب نعمته، وهو مُتَّبِع ما أسلفه إليهم بما يخلفه عليهم عاجلاً وآجلاً، إن أذن الله جلَّ وعزَّ في تثبيت عزمه على صحة نيته فيهم.

قال: فكان كتابه هذا أسرَّ إلى أهل مكة من الأموال التي

أنفدها إليهم.

● كتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل: شكري لك على ما أريدُ الخروج منه، شكرٌ من نالَ الدخولَ فيه.

● قولهم: "شرُّ الرأي الدَّبري"، يُروى ذلك لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أن يعرف الرجلُ وجهَ نجاح حاجته بعد فوات الحاجة.

● يقال: إن سعيد بن مرّة الكندي حين أتى معاوية قال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين سعيد، وأنا ابنُ مرّة!

● وقيل: دخل السيدُ بن أنس الأزدي على المأمون فقال:

أنت السيّد؟ فقال: أنت السيّد يا أمير المؤمنين، وأنا ابنُ أنس!
● ووقف المهدي على امرأة من بني ثعل، فقال لها: ممّن العجوز؟ قالت: من طيّء. قال: ما منع طيّئاً أن يكون فيها آخرُ مثلِ حاتم؟

فقلت: الذي منع العرب أن يكون فيها آخرُ مثلك!
فأعجب بقولها ووصلها.

● كاد زياد بن أبيه لكثرة ما يبثُّ من العيون يقول: لو ضاع بيني وبين خراسان شيء لعلمتُ من أخذه!

وكان يدفعُ نَبَّاشَ القبورِ حيّاً؟ وينزع أضلاعَ اللصوص!!

● قال عبدالمملك للحجاج: كيف تسيرُ في الناس؟ قال: أنظرُ إلى عجوزٍ أدركتُ زياداً فأسألها عن سيرته، ثم أعمل بها.
قال عوف الأعرابي: فأخذ والله بسبيِّ أخلاقه، وترك أحسنها!

● يقال: "هو أجبُّ من صافر". والصافر: طائرٌ يتعلق برجليه وينكس رأسه، ثم يصفرُّ ليلته كلّها خوفاً من أن ينام فيؤخذ!

● قال الحجاج الحُميد الأرقط - وقد أنشده قصيدةً
يصفُ فيها الحرب - : يا حُميد، هل قاتلت قط؟

قال: لا أيها الأمير، إلا في النوم! قال: وكيف كانت
وقعتك؟ قال: انتبهتُ وأنا مهزوم!

● قال الفضيل بن عياض: بكى ابني، فقلت له: ما
يُيكيك؟ فقال: أبكي على من ظلمني وأخذ مالي، أأرحمه إذا
وقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ وسأله فلا تكونُ له حجة؟!

● وقَّع هشام بن عبدالمك في رقعة متظلم من العامة:
"أتاك الغوثُ إن كنتَ صادقاً، وحلَّ بك التَّكالُ إن كنتَ
كاذباً، فتأخَّر أو تقدَّم!"

● قال إبراهيم بن محمد: كنا مع المتوكِّل في بعض
متنزَّهاته، فوقفَ على تلٍّ كلُّه حصى قد غسله المطر،
فاستحسنه، فنزل فصلَّى وسبَّح، ثم قال في دعائه: اللهم إنك
خلقتني ولم أك شيئاً، ثم صيرتني فوق هذا الخلق، وأنت قادرٌ أن
تزيل هذا كلَّه، فارزقني العدل والنَّصفَةَ، وألقِ في قلبي لهم الرَّأفة
والرحمة.

ثم بكى، وأخذ كفاً من ذلك الحصى فجعله على رأسه،
وجعل يقلِّب خدَّه ووجهه على الأرض، ثم قام فركب.

● أمر الرشيد يحيى بن خالد البرمكي بحبس رجلٍ جنى جنابة، فحبسه يحيى. ثم سأل عنه الرشيد ف قيل: هو كثير الصلاة والدعاء، فقال للموكل به: اعرض عليه أن يكلمني ويسألني إطلاقه.

فقال له ذلك الموكل به، فقال: قل لأمير المؤمنين إن كلَّ يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي، والأمر قريب، والموعود الصراط، والحكم لله.

فخرَّ الرشيدُ ساجداً مغشياً عليه، وأمر بإطلاقه.

● ظفر المأمون برجل كان يطلبه، فلما دخل عليه قال: يا عدوَّ الله، أنت الذي تفسدُ في الأرض بغير حقِّ؟ يا غلام، خذهُ إليك واسقِه كأسَ الموت.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيتَ أن تستبقيني حتى أمدَّك بمال؟

قال: ليس إلى ذلك سبيل.

قال: فدعني أصلي ركعتين أختم بهما عملي.

قال: ليس إلى ذلك سبيل.

قال: فدعني أنشد أبياتاً.

قال: هات. فقال:

زعموا بأن الصقرَ صادفَ مرةً عصفورَ برٍّ ساقه المقدورُ
فتكلّم العصفورُ تحت جناحه والصقرُ منقضٌّ عليه يطيرُ
ما كنتُ خاميراً لمثلِكَ لقمةً ولئن شويْتُ فيإني لحقيرٌ^(١)
فتهاونَ الصقرُ المدلُّ بصيده كرمًا وأفلتَ ذلك العصفورُ

فقال المأمون: أحسنت! ما جرى ذلك على لسانك إلا
لبقيةٍ بقيت من عمرك. فأطلقه. وخلع عليه ووصله.

● جاء رجل إلى الأحنف بن قيس فلطم وجهه، فقال:
بسم الله يا ابن أخي، ما دعاك إلى هذا؟!
قال: آليت أن أطم سيّد العرب من بني تميم.

قال: فبرّ يمينك، فما أنا سيّد العرب، سيّد العرب حارثةُ
بن قدامة.

فذهب الرجل فلطم حارثة، فقام إليه حارثة بالسيف،
فقطع يمينه، فبلغ ذلك الأحنف، فقال: أنا والله قطعتها.

● كتب يوسف عليه السلام على باب السجن: هذه
منازلُ البلوى، وقبورُ الأحياء، وشماتةُ الأعداء، وتجربةُ الأصدقاء.
ودعا لأهل الحبس بدعوتين، هما معروفتان فيهم إلى اليوم:
اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تُعمّ عليهم الأخبار.

(١) الخاميز: ضرب من الطعام.

فكلُّ الناس يرحمونهم، والأخبارُ من كلِّ جهة عندهم.

● وقال سجين نظاماً:

إلى الله فيما نابنا نؤثرُ الشكوى ففي يده كشفُ الضرورة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السجَّان يوماً حاجة عجبنا، وقلنا: جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجلُّ حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنتُ كانت بطيئاً مجيؤها وإن قبحت لم تُنتظر وأتت عجلي

● ذكروا أن ضرار بن عمرو الضبي ولد له ثلاثة عشر ابناً، كلُّهم بلغ ورأس. فاحتمل ذات يوم، فلما رأى بنيه رجالاً معهم أهاليهم وأولادهم، سرَّه ما رأى من هيئتهم. ثم ذكر نفسه، وعلم أنهم لم يبلغوا ذلك حتى أسنَّ هو وضعف، فقال: "من سرَّه بنوه ساءتُه نفسه". فذهبت مثلاً.

● نظر ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى بعض ولده نائماً بالغداة، فركله برجله ثم قال: قم، لا أنام الله عينك! أتنام في وقتٍ يقسم الله تعالى فيه الأرزاق؟ أو ما علمت أنها النومة التي قالت العرب فيها: مكسلٌ ومانعة للحوائج؟

● ذكر المأمون برَّ الأبناء بالآباء فقال: لم أرَ أحداً أبرَّ من الفضل بن يحيى، فإنه بلغ من برِّه بأبيه أنهما حيث حبسا كان الفضل يُسخن ليحيى الماء لوضوئه، لأنه كان يتوضأ بالماء

الساخن. فمنعهم السجّان ذات ليلة من إدخال الحطب،
والليلُ بارد، فقام الفضل - حين أخذ يحيى مضجعه - إلى إناءٍ
صغير يسخّن فيه الماء، وأدناه من القنديل، فلم يزل قائماً
والإناء في يده، حتى أصبح وقد سخّن الماء، فأدناه من أبيه!

● رُوي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان يمتنع من
مؤاكلة أمّه، فسئل عن ذلك - وهو ابن ستّ سنين - فقال:
أخاف أن تسبق يدي إلى لقمة تقع عينها عليها، فأكون قد
عققتُها!

● قالت امرأة وقد رُزقت جارية:

وما عليّ أن تكونَ جاريةً تحفظُ بيّتي وتردُّ العاريةَ
تمشطُ رأسي وتكونُ الغاليةَ وتحملُ الفاضلَ من خماريَ
حتى إذا ما بلغتُ ثمانيةَ ورزيتُ بنقبةٍ بمانيةَ
زوَّجتُها مرواناً أو معاويةَ أزواجِ صدقٍ بمهورٍ غاليةَ!

● قالت الحكماء الأوائل: نعوذُ بالله من بوائق الثقات،

ومن الاغترار بظاهر المودّات.

● قيل لأعرابي سائل: أين منزلك؟

قال: ما لي منزل، إنما أشتملُ بالليل إذا عسعس، وأظهرُ

بالنهار إذا تنفّس.

● قال أبو العباس الموصلي: كان لي جار، فسمعتُ من داره استغاثةً مضروبين، فلما سألتُ عن الخبر قيل: إنه فقدَ دجاجة!! فكتبتُ أبياتاً في رقعة، وشددتُها في رجل دجاجة، وألقيتها في داره، وضمتّها:

يا ذا الذي من أجل فرُوجَةٍ أظهر للعالم أخلاقَه
ألقى على الغلمان من أجلها بالضرب والتعذيب أرواقَه
رفقاً قليلاً بعقوباتهم فإنهم لم يعقروا الناقة

● من أصناف الشحاذين:

- السَّحْرِي: هو الذي يبكر إلى المساجد وقت السَّحَر، قبل أن يؤدِّن المؤدِّن.
- الشَّجْوِي: الذي يؤثِّر في يدهُ اليمنى ورجليه حتى يُري الناس أنه كان مقيداً مغلولاً!
- الخاقاتي: الذي يحتالُ في وجهه حتى يجعله مثل وجه خاقان ملك الترك، ويسوِّده بالصَّبْر والمداد، ويوهمك أنه ورم.
- السَّكْوَت: الذي يوهمك أنه لا يحسنُ أن يتكلم.

- الكاغاني: الذي يتجنن أو يتصارع ويُزبد حتى لا يشكَّ أحد في جنونه، وأنه لا دواء له لشدة ما ينزل به!
- المشعَّب: الذي يَحْتالُ للصبي حين يولد، بأن يُزمنه أو يعميه، ليسأل به الناس!
- العوّاء: الذي يسأل بين المغرب والعشاء، ويَطْرَبُ في صوته.
- الإسْطِيل: وهو المتعامي، الذي إن شاء أراك أنه أعمى، وإن شاء أراك أنه ممن نزل في عينه الماء، وإن شاء أراك أنه لا يُبصر!
- المزِيدِي: الذي يدور ومعه دريهمات، يقول: هذه دريهمات قد جُمعت لي في ثمن قטיפفة، فزيدوني فيها، رحمكم الله.
- المستعرض: الذي يعارضك، وهو ذو ثياب صالحة، يُريك أنه يستحيي من المسألة، ويكلمك خفتاً.
- المطيّن: وهو الذي يطين نفسه من قرنه إلى قدمه ويأخذ البلاذر (نباتٌ يسبب الجنون) يريك أنه يأكله!
- سأل أعرابي فقال: رحم الله امرءاً لم تمحَّ أذنه كلامي، وقدّم لمعاده من سوء مُقامي، فإن البلادَ مجدبة، والحالُ مُسغِبة،

والحياءَ زاجرٌ ينهى عن كلامكم، والفقيرَ عاذرٌ يدعو إلى إخباركم. فرحم الله امرءاً وأسى بميّر، أو دعا بخير.

فقال رجل: ممّن يا أعرابي؟ فقال: أخ في كتاب الله، وجارٌ في بلاد الله، وطالبٌ خيرٍ من رزق الله.

● قال بُحْتَيْشُوعُ للمأمون: لا تجالس الثقلاء، فإننا نجد في كتب الطب أن مجالسة الثقليل حمى الروح!
● قيل: إذا علم الثقليل أنه ثقيلٌ فليس بثقليل.

● قال بعضهم في ثقيل:

يا من له حركاتٌ على النفوس ثقيلة
وليس يعرف معنى قصيرة من طويلة
أورثتني بجلوسني إليك حمى ملىة
فاصفع لنفسك عني فإن كفى عليلة

● قيل للعلاء بن عبد الكريم: بكم اكرتيت الدار؟

فقال: بدينارين وطعامهما.

قالوا: ويلك! وما طعامهما؟!

فقال: صاحب الدار يأكلُ معي كلّما أكلتُ!

● دخل أبو دلامة على المهدي: فسلم ثم قعد، وأرعى عيونه بالبكاء، فقال له: ما لك؟ قال: ماتت أمُّ دلامة! فقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون! ودخلت له رقةً لما رأى من جزعه، فقال له: أعظم الله أجرك يا أبا دُلامة. وأمر أن يُعطى ألف درهم، وقال له: استعن بها في مصيبتك. فأخذها ودعا له وانصرف.

فلما دخل إلى منزله قال لأمّ دُلامة: اذهبي فاستأذني على الخيزران، فإذا دخلت عليها فتباكي وقولي: مات أبو دُلامة!

فمضت واستأذنت على الخيزران، فأذنت لها، فلما اطمأنت أرسلت عينها بالبكاء، فقالت لها: ما لك؟ قالت: مات أبو دُلامة! فقالت: إنا لله! أعظم الله أجرك! وتوجّعت لها، ثم أمرت لها بألفي درهم، فدعت لها وانصرفت.

فلم يلبث المهديُّ أن دخل على الخيزران، فقالت: يا سيدي؛ أما علمت أن أبا دُلامة مات! قال: لا يا حبيبي، إنما هي امرأته أمّ دُلامة! قالت: لا والله إلا أبو دُلامة! فقال: خرج من عندي الساعة، فقالت: خرجت من عندي الساعة. وأخبرته بخبرها وبكائها!

فضحك وتعجّب من حيلهما.

* * *

محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء^(١)

للاغب الأصبهاني

الرجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل:

فالفارسُ الذي يشدُّ إذا شدُّوا.

والشجاعُ الداعي إلى المبارزة والمجيبُ داعيه.

والبطلُ الحامي لظهورهم إذا انهزموا.

● قال بعضهم: كن بجيلتك أوثق منك بشدّتك، وبحدرك
أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حربٌ للمتهوّر، وغنيمة
للمتحدّر.

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / لأبي القاسم حسين بن محمد
الراغب الأصبهاني. - بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ٤ ج في ٢ مج.
- (من تراثنا).

وهذا هو القسم الثاني منه، حيث سبق تقديم القسم الأول في الكتاب
السابق من هذه السلسلة: "الإبحار إلى أعماق التراث".
ويتناول من الحد الرابع عشر إلى الأخير: الخامس والعشرين، وهي:
الشجاعة وما يتعلق بها، التزويج والأزواج والطلاق والعفة والتديث، المجون
والسخف، خلق الإنسان، الملابس والطيب، ذم الدنيا ونوبها، الديانات
والعبادات، الموت وأحواله، السماء والأزمنة والأمكنة والنبات والأشجار
والنيران، الملك والجن، فنون مختلفة.

● حازمٌ في الحرب خيرٌ من ألف فارس، لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين، والحازمٌ قد يقتل جيشاً بحزمه وتدييره.

● قال أمير المؤمنين عليٌّ لبعض بنيه: لا تدعون أحداً إلى المبارزة، ولا يدعونك أحد إلا أجبتَه، فالداعي باغ، والباغي مصروع.

● سأل رجلٌ يزيد بن المهلب فقال: صف لي نفسك؟ فقال: ما بارزتُ أحداً إلا ظننتُ أن روحه في يدي!

● قيل لعبد الملك بن مروان: من أشجعُ العرب في شعره؟

فقال: عباس بن مرداس حيث يقول:

أشدُّ على الكتيبة ولا أبالي أحتمي كان فيها أم سواها

● بعث أميرٌ في طلب قوم رجلاً، فما لبث أن جاءه برجل في أقصر مدة، فقال: كيف تمكنت منه؟ قال: وقع في قلبي أن آخذه، ووقع في قلبه أنه مأخوذ، فنصرني عليه خوفه وجراعتي!

● الكرامُ أصبر نفوساً، واللئامُ أصبرُ أبداناً!

● سأل عمر بن عبد العزيز ابنَ مليكة عن عبد الله بن الزبير فقال: ما رأيتُ نفساً أثبتَ من نفسه؛ مرَّ حجرٌ من المنجنيق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدرة، فما خشع له

بصره، ولا قطع قراءته، ولا ركع دون الركوع!

وعن أمّه: أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلي، فسقطت حية فتطوّقت بابنه هاشم، فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها، وعبدالله قائم يصلي، فما التفت ولا عجل، فلما فرغ قال: ما بالكم؟!

● قال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأحصدنكم حصداً!

فقالت: أنت تحصدُ والله يزرع، فانظر أين قدرة المخلوق مع قدرة الخالق؟ ولم يظهر من عدد القتلى ما ظهر في آل أبي طالب وآل المهلب، وفيهم من الكثرة ما ترى!

● كان حكيم بن حنبل قُطعت رجله يوم الجمل، فأخذها وزحف بها على قاطعها فقتله!

● قال أبو تمام:

وحنّ للموت حتى ظنّ مبصره بأنه حنّ مشتاقاً إلى وطن
لو لم يمت تحت أسياف العدا كرمًا لمات إذ لم يمت من شدّة الحزن

● وقال النميري:

يغترُّ عند لقاء الحرب مبتسماً إذا تغيرَّ وجه الفارس البطل

● لاموا الإسكندر في مباشرته الحرب بنفسه فقال: ليس من الإنصاف أن يُقتلَ قومي عني وأتركُ المقاتلةَ عنهم وعن أهلي ونفسي!

● أبرق رجلٌ لآخر وأرعد، فلما زاد أنشد:

قد هبَّت الرِيحُ طولَ الدهرِ واختلفت على الجبال فما نالت رواسيها
● قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين: لولا شيء لأخذتُ رأسك!

فقال: أجل! ذلك الشيءُ سيفي!!

● كانت العجم إذا حزبهم أمرٌ أمرُوا أن تُرفع الموائد، ويقتصرون على الخبز والملح والبقل حتى يفرغوا!
● وقال معاوية: ما ذقتُ أيام صقّين لحمًا ولا حلواء، بل اقتصرْتُ على الخبز حتى فرغت.

● قال زيد بن حارثة: لا تستثيروا السباع في مرابضها فتندموا، وداروا الناس في جميع الأحوال تسلموا.

● وصف رجلٌ الحربَ فقال: أولها شكوى، وآخرها بلوى، وأوسطها نجوى.

- قصد الإسكندر موضعاً فحاربتة النساء فكفّ عنهنّ!
ف قيل له في ذلك فقال: هذا جيشٌ إذا غلبناه فما لنا به من
فخر، وإن غلبنا فتلك فضيحةُ الدهر!
● قال شاعر:

إن الفرار لا يزيد في الأجل

- قال المنصور لبعض الخوارج: عرّفني من أشدّ أصحابي
إقداماً؟

فقال: لا أعرفهم بوجوههم، فإني لم أر إلا أوفياءهم!

- أوصى الإسكندرُ صاحبَ جيشٍ له فقال: حبّب إلى
أعدائك الهرب. قال: كيف أصنع؟ قال: إذا ثبتوا جدّاً في قتالهم،
وإذا انهزموا لا تتبعهم.

- قيل لمنهزم (مفزوع): كيف فلان؟ قال: قُتل! قيل:
ففلان؟ قال: قُتل. قيل: هل لك في سويق تشربه؟ فقال:
السويق قُتل!

- قيل لبعضهم: ما النذالة؟ قال: الجراءةُ على الصديق،
والنكولُ عن العدو.

- أتي الحجاجُ برجلٍ من أصحاب ابن الأشعث فقال له:
أسألك أن تقتلني وتخلصني!

فقال له الحجاج: لمه؟ قال: إني أرى كلَّ ليلة في المنام أنك تقتلني، وقتلةً واحدة خيرة. فضحك وختلَّ سبيله!

● قيل: فلانُ لو خلا بالكعبة لسرقها!

● سُرق لبعضهم بغلٌ فقال أحدُ أصحابه: الذنبُ لك في إهماله. وقال بعضهم: الذنب للسايس. فقال هو: يا قوم، واللصُّ ما له ذنب؟! واللسُّ ما له ذنب؟!!

● ذمَّ أعرابي امرأةً فقال: ما بطنها بوالد، ولا ثديها بناهد، ولا فوها ببارد، ولا شعرها بوارد.

● وقيل لأعرابي: أي النساء أكرم؟ فقال: التي في بطنها غلام، وفي حجرها غلام، ولها مع الغلمان غلام!

● رغبت عجوزٌ إلى أولادها أن يزوجهَا - وكان لها سبعة بنين - فقالوا: لا إلا أن تصبري على البرد متعريّة لكلِّ واحد منا ليلة.

ففعلت، فلما كانت السابعة ماتت؛ فسَمَّيت أيام العجوز!

● جاء رجلٌ إلى سعيد بن المسيّب فقال: رأيتُ حداةً على شرف مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: إن صدقتُ رؤياك فسيترج الحجاج من أهل البيت!

فتزوج بأُمَّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر!

● قيل لأعرابي: إن فلاناً زوّج أمه وأخذ مهرها فأيسر به.

فقال: أعوذ بالله من بعض الرزق!

● ذقت أعرابية الخمر فقالت: نساؤكم يشربن هذا؟ قالوا:

نعم. قالت: زين إذا وربّ الكعبة!

● قال الأصمعي: رأيت رجلاً يطوفُ بالبيت يحمل شيخاً

كبيراً يقول له: أعيتني صغيراً وكبيراً. فقلت له: أحسن إليه

فطالما أحسن إليك! فقال: من تراه لي؟ فقلت: هو أبوك أو

جدُّك فقال: بل هو ابني. فقلت: ما صيَّره إلى ما أراه؟ قال:

سوءُ خلقِ امرأته!

● لما رأت امرأةُ هدبةَ العذري يُقاد زوجها للقتل أنشدها:

فلا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا أغمّ القفا والوجهُ ليس بأنزعا

فعمدت إلى سكين فقطعت أنفها وقالت: كن آمناً من

ذلك!

فقال: الآن طابَ وروُدُ الموت!

● وتزوَّج رجلٌ ابنةَ عمِّ له يقالُ لها رباب، وتعاهدا على أن

لا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر. فمات الرجل، وأكرهت

المرأة على التزويج. فلما كان ليلة الزفاف رأت في منامها أن ابن

عَمَّهَا آخِذٌ بَعْضَادِي الْبَابِ، فَأَنْشُدُ:

حَيْثُ سَكَانَ هَذَا الْبَيْتَ كُلَّهُمْ إِلَّا الرِّبَابَ فَإِنِّي لَا أَحْيِيهَا
أَمْسَتْ عَرُوساً وَأَمْسَى مَنْزِلِي خَرِباً وَلَمْ تُرَاعِ حَقِوفاً كُنْتُ أَرْعِيهَا
فَانْتَبَهْتَ مَدْعُورَةً، وَحَلَفْتَ أَنْ لَا تَجْمَعُ رَأْسَهَا وَرَأْسَ الرَّجُلِ
وَسَادَةَ!

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل طلق امرأته:
لِمَ طَلَقْتَهَا؟ قَالَ: لَا أَحْبُّهَا. فَقَالَ: أَكُلُّ الْبَيْوتِ بُنِيَتْ عَلَى
الْحُبِّ؟ أَيْنَ الرِّعَايَةُ وَالذِّمَمُ؟

● قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطانُ من الرجال
والنساء في ثلاثة منازل: في النظر، والقلب، والفرج.

● اشترى عبدالمملك جارية، فلما خلا بها قالت: يا أمير
المؤمنين، ما منزلة أرفع منزلةً من منزلي هذه، ولكنَّ القيامة لها
خطر، إن ابنك فلاناً كان قد اشترايني وخلا بي ليلة، فلا يجلُّ
لك مسيبي.

فاستحسن قولها وولَّاهَا أَمْرَ دَارِهِ.

● قيل: اتَّهَمَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ التَّهْمَةِ يَدْعُوهَا إِلَى
ارْتِكَابِهَا!

● قال الحسن البصري رحمه الله: أكثرُوا مِنْ مَدَاعِبَةِ

النساء، ولا تكونوا كالبهيمة التي يطرقتها الفحل بغتة! والمداعبة للشهوة كالرعد والبرق للمطر!

● قيل لأعرابي: ما أنحفك؟ فقال: سوءُ الغذاء، وجدبُ المرعى، وتناجي الهموم في صدري.

● نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل بدين فقال: ما هذا؟ قال: بركةُ الله. فقال: بل سخطه. ثم قال: إياكم والبطنة، فإنها ثقلٌ في الحياة وتثقلُ في الممات.

● قيل: طولُ الأذن دليلٌ على طول العمر!

● وقدّم رجلٌ للقتل - وكان طويل الأذن - فقيل له: أليس زعموا أن طول الأذن دليلٌ طول العمر؟ فقال: لو تركوني لطل، ولكن حالوا بيني وبينه!

● رأى فيلسوف قملة تدبُّ في رأس أقرع فقال: هذا لصٌّ في خربة!

● يجبُ أن يكون في المرأة أربعة أشياء سود: شعر الرأس، والحاجبان، وأشفار العين، والحدقة.

وأربعة بيض: اللون، وبياضُ العين، والأسنان، والساق.

وأربعة حمرة: اللسان، والشفتان، والوجنتان، واللثة.

وأربعة مدوّرة: الرأس، والعنق، والساعد، والعرقوب.

وأربعة طوال: الظهر، والأصابع، والذراعان، والساقان.

- وأربعة واسعة: الجبهة، والعين، والصدر، والوركين.
- وأربعة دقيقة: الحاجبان، والأنف، والشفتان، والأصابع.
- وأربعة غليظة: العجز، والفخذان، والعضلتان، والركبتان.
- وأربعة صغيرة: الأذنان، والثديان، واليدان، والرجلان.
- وأربعة طيبة: الريح، والعرق، والفم، والأنف.
- وأربعة عفيفة: الطرف، والبطن، واللسان، واليد.
- نظر إياس بن معاوية في المرأة، فرأى شبية في لحيته فقال: لا أراني سميراً لحاجات بني تميم. فلزم بيته، ولم يدخل بعد ذلك على سلطان!
- نظر رجلٌ إلى شبية في رأسه، فجمع نساءه وقال: اندبني فقد مات بعضي!
- نظر فضيل بن عياض إلى رجل قد وخطه الشيب فقال: اتق الله فإن الموت قد غرز أعلامه في لحيتك.
- قال معاوية لجلسائه: ما تعدون الغريب فيكم؟ فقالوا: الذي لا أحد له.
- فقال: بل الغريب الذي مات نظراؤه الذين كان يأنس بهم.
- قال الخليل: كان الشريف إذا لم يصلح نتفوا شعره تشبهاً بذلك!

● قالت امرأة لزوجها - وكان أصلع - : لستُ أغبطُ إلا شعركَ حيثَ فارقك فاستراحَ منك!!

● خرج الرشيد يوماً، فرأى سعيد بن سلم فقال: من؟ قال: سعيد أسعدك الله. قال: ابن من؟ قال: ابن سلم سلمك الله. قال: أبو من؟ قال: أبو عمرو عمرك الله. فقال: بارك الله عليك. وأكرمه.

● عُرضت على كشاجم جاريةً حسناء فقال: ما اسمك؟ قالت: مظلومة! فقال:

مملوكَةٌ تملكُ أربابها ما شأها ذاك ولا عابها
قد سميت بالضدِّ مظلومة وهي التي تظلمُ أصحابها

● سُئل رجل عن كنيته فقال: الحسن وأبو القمر. فقيل: ألم تكفِ واحدة؟ فقال: لا، إن ضاعت واحدة بقيت الأخرى!

● استقبح قومٌ اسم العجلان، فقال بعضهم:
وما سبَّي العجلان إلا لقوله: خذ الوطْبَ واحلبْ أيها العبد واعجلْ^(١)!

● دخل رجلٌ على أمير يُدعى إسحاق، فقال له: يا أبا يعقوب. فقال: أخطأت، أنا أبو الحسين. فقال: أخطأ الأمير، لأن كلَّ إسحاق يكنى أبا يعقوب!

(١) الوطْب: سقاء اللين.

- أول من لقب من الخلفاء عبدالمملك بن مروان، لقب الموقِّق لأمر الله. ثم الوليد المنتقم لأمر الله.
- كان أصحاب السلطان في زمن التبابعة سبعة أقسام:
 - التبابعة والعباهلة، وهم الذين ليس فوقهم.
 - والأقيال، وهم ستون رجلاً من أهل بيت الملك يرشحون له.
 - ثم المثامنة، ثمانون رجلاً، إذا مات التَّبَع ووصفوا رجلاً من الأقيال تَبَّعاً، ووصفوا رجلاً من الثمانين في الأقيال مكانه.
 - ثم الصنائع، وهم ثقات الملك، يعدُّهم لنفسه.
 - ثم الوضائع، وهم أصحاب المناظر والمسالح والمقيمون في الثغور.
 - ثم العباد، وهم خدمُ السلطان الذين يلزمون بابه ويختلفون في رسائله.
 - ثم الأختيار.
- قال المنصور لأبي بكر بن عياش: يا أبا بكر، أخبرني عن عينٍ فقأت عيناً. يريد رجلاً أولُ اسمه عين، قتلَ رجلاً اسمه عين.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، قتله
عبدالرحمن بن ملجم، وعبدالله بن الزبير قتله عبدالملك بن
مروان، وعبدالملك قتله ابن عمه عمرو بن سعيد!

● كان المهدي يحبُّ ابنه إبراهيم. فقالت له شكلة: أترأه

يلي الخلافة؟

فقال: لا ولا يليها من اسمه إبراهيم. إن إبراهيم الخليل أول
من ألقى في النار، وإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم لم
يعش، وبويع إبراهيم بن الوليد فلم يتم له الأمر، وأحكم إبراهيم
الإمام أمر الملك فقتل، وتمَّ لغيره! وطلب الخلافة إبراهيم ابن
عبدالله بن الحسن فما تمت له على جلالته وكثرة جيشه، وقد
بايع المتوكل لابنه إبراهيم المؤيد فلم يتم له وقتل!

● كان الإمام الحسن البصري يلبس ثوبًا بأربعة دراهم،
وفرقد السبخي كان يلبس المسوح. فلقيه الحسن فقال: يا أبا
سعيد ما ألين ثوبك!

فقال: الحسن: يا فريقد، ليس لينُ ثيابي يباعدني من الله،
ولا خشونتها تقربك منه.

● قيل: لا يسود الرجلُ حتى لا يبالي في أيِّ ثوبه ظهر.

● قال الإسكندر لرجل رثّ تكلم بفصاحة: ليكنّ حسنُ ثيابك كحسن كلامك!

فقال: أما الكلام فأنا قادر عليه، وأما الثياب فأنت تقدر عليها.

فخلع عليه!

● قيل لراهب: لم تلبس السواد؟

قال: لأنه أشبه بلباس المصيبة!

● قال عمر بن عبدالعزيز لمؤدّبه: كيف كانت طاعتي إليك؟ قال: أحسن طاعة. قال: فأطعني كما أطعتك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن ثيابك حتى تبدو قدمك.

● سُئل بعض الأعراب عن ألوان الثياب فقال: الصفرة أشكل، والحمرة أجمل، والخضرة أنبل، والسواد أهول، والبياض أفضل.

● قيل: لكلّ شيء راحة، وراحة الثوب طيبه، وراحة البيت كنيته.

● وضعت جمرة بخور تحت رجل، فاستعجله الواضع وقال: ألا تضجر منها؟

فقال: إني أقعد في المستراح ساعات فلا أضجر، أفأضجر
من ثلث ساعة أتبحر فيها؟!

● قال الخوارزمي:

إذا ما شمَّ أنفٌ حنَّ قلبٌ كأدَّ الأنفَ جاسوسُ القلوبِ

● سئل بعض الصالحين عن الدنيا فقال: من نالها مات
عنها، ومن لم ينلها مات حسرةً عليها.

● سمع حكيم رجلاً يقول لآخر: لا أراك الله مكروهاً.

فقال: دعوت عليه بالموت، من عاش لا بدَّ له من مكروه.

● كتب الإسكندر إلى أرسطاطاليس: اكتب إليّ موعظة
تردع وتُقنع.

فكتب إليه: إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب،
وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية
أملك فاذكر الموت.

● قال أمير المؤمنين عليُّ رضي الله عنه: الدنيا تغرُّ وتضرُّ
وتمرُّ.

● قيل: كلُّ قتيلٍ يقتصُّ له يوم القيامة إلا قتيلاً الدنيا
يقتصُّ منه!

● قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: الدنيا لا تضرُّ إلا من أمنَّها، ولا تنفعُ إلا من حذَّرها.

● قال بعضهم:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كثُرت لديه
تُهمين المكرومين لها بصغُرٍ وتكثُرُ كلَّ من هانت عليه

● قيل: العاقل لا يجزع لأول نكبة، ولا يفرح بأول نعمة،
فربما أقلعَ المحبوبُ عمّا يضرُّ، وأسفرَ المكروهُ عما يسرُّ.

● وقيل: لا يعرفُ طعمَ النعمة إلا من نالتَه يدُ العلةِ
والبلاء.

● نظر أعرابي إلى الناس في يوم الجمعة فقال: صورة
واحدة وخلق مختلف، ما هذا إلا صنعُ ربِّ العالمين!

● قال جعفر: إذا أحبَّك الله سترك، وإذا أحببتَه شهِرك.

● قال معاذ: لا يتحسَّرَ أهل الجنة على شيءٍ كتَحسُّرهم
على وقت مرٍّ عليهم ولم يذكروا الله تعالى فيه!

● سمع حكيمٌ رجلاً يفحش فقال: يا هذا إنك تملي على
حافظيك كتاباً إلى ربِّك.

● دخل حميد الطويل على سليمان بن علي والي البصرة،
فقال له: عظني، فقال حميد: لعن كنت حين عصيت ربِّك

ظننتَ أنه يراك فقد اجترأت على الله، ولعن كنت ظننتَ أنه لا يراك فقد كفرت!

● قال رجل للحسين بن علي رضي الله عنهما: من أشرفُ الناس؟ قال: من اتَّعَظَ قبل أن يوعَظَ، واستيقَظَ قبل أن يوقَظَ. فقال: أشهد أن هذا هو السعيد!

● من خاف الله تعالى جلَّ، ومن خاف الناسَ ذلَّ.

● قال يحيى بن معاذ: الناس ثلاثة:

- رجل يشغله معاده عن معاشه وتلك درجة العابدين.
- ورجل يشغله معاشه عن معاده وتلك درجة الهالكين.
- ومشتغل بهما وهي درجة المخاطرين!

● قيل لعبدالله بن إبراهيم: من أسخى الناس؟ فقال: من بذل دنياه في صلاح دينه.

● قيل لعمر بن عبدالعزيز: لم لا تنام؟

قال: إن نمتُ بالليل أضعتُ نفسي، وإن نمتُ بالنهار أضعتُ الرعية!

● قال رجلٌ لحكيم: أوصني. فقال: إن استطعت أن لا تسيءَ إلى من تحبُّ فافعل!

فقال: وهل يسيءُ المرءُ إلى من يحبُّ؟

قال: نعم، نفسك إن عصيتَ الله!

● قال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ولا نتوب حتى نموت.

● اجتمع فيلسوف الروم وحكيم الهند وبزرجمهر عند كسرى، فتذاكروا في شرِّ الأشياء، فقال الرومي: الهمُّ يقترن به الندم.

وقال الهندي: سقم البدن ودوام الحزن.

وقال بزرجمهر: دنؤُ أجل وسوءُ عمل.

فحكّم للأخير.

● قال الشاعر الواعظ محمود الوراق:

عمرَكَ قد أفنيتَه تحتمي فيه من البارد والحرارِ
وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي خشية النارِ

● قال يحيى بن معاذ: اجتناب السيئات أشدُّ من اكتسابِ

الحسنات!

● قال أعرابي لابن عباس: من يحاسب الخلق يوم القيامة؟

قال: يحاسبهم الله تعالى. قال: نجونا وربِّ الكعبة! فقال:

كيف؟ قال: إن الكريم إذا قدرَ غفر!

• سمع أعرابي ابن عباس يقرأ قوله تعالى: ↓

قال: والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يُلقينا فيها، فقال ابن عباس: خذوه من غير فقيه!

• قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم تُقبل منك، وازججه رجاءً ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها الله لك.

• قال مطرف: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً، خير من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً!

• قال رجل ليحيى بن معاذ: متى أتهم قلبي؟

قال: إذا فارقه الخوف!

• قيل: من العود إلى العود ثقلت ظهور الخطابين، ومن الهفوة إلى الهفوة كثرت ذنوب الخطّائين.

• قال الفضيل: من علامة الشقاء جمود العين، وقساوة

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

القلب، وطول الأمل.

- قال بعض الصالحين: كم لي من ذنب لو عرف به الصديق لمقتني، ولو عرف به العدو لهتكني!
 - قال علي بن الموفق: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فأحرقني، أو طمعاً في جنتك فأحرمنيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً لك وشوقاً إلى لقائك فأحبنيه.
 - قال الإمام الحسن البصري: قصم ظهري عالم لا زهد معه، وزاهد لا علم معه، هذا يدعو إلى جهله بزهده، وهذا ينفر عن علمه بجرصه!
 - حلق مغفل لحيته وقال: إنها نبتت على المعصية!
 - قيل: أعظم الرياء حبُّ المحمّدة.
 - قال سليمان بن عبد الملك لبلال بن أبي بردة: صف لي الحجّاج.
- فقال: كان يتزيّن بزينة المومسة، فإذا صعد المنبر تكلم بكلام القسيسين، وينزل فيعمل بعمل الفراعنة!
- قيل ليحيى بن معاذ: ما بال أبناء الدنيا يحبون الزاهدين وهم يفرّون منهم؟
- قال: ذلك كالدبّاغ يطلب الريح الطيب من العطار،

والعطار يفرُّ من ريح الدباغ!

● كان بعض الناس يعاتبُ ابنه المغفَّل في تركه الوضوء والصلاة. فلما أكثر عليه قال: يا أبت، إما أن أتوضأ ولا أصلي، أو أصلي ولا أتوضأ!

● قال رجل لسليمان: لا أستطيع قيام الليل. فقال: لعلك تفجر بالنهار!

● قال الشاعر:

جاء الصيامُ فجاء الخيرُ أجمعهُ ترتيلُ ذكرٍ وتحميدُ وتسبيحُ
فالنفسُ تدأبُ في قولٍ وفي عملٍ صومُ النهارِ وبالليلِ التراويحُ

● قيل لمالك بن دينار: ادعُ الله لفلان المحبوس.

فقال: محبوسكم مثل شاةٍ غدت إلى عجيينٍ فقيرٍ فأكلته فأتخمت، فصاحبها يقول: اللهم سلِّمها، وصاحب العجين يقول: اللهم أهلكها. ولا ينفعُ دعاء صاحبها مع دعاء المظلوم. فقولوا لصاحبكم يردُّ إلى كلِّ ذي حقِّ حقَّه، فإنه لا يحتاج إلى دعائي حينئذ!

● قال طاووس: يكفي من الدعاء مع الورع ما يكفي العجينَ من الملح.

● قال أعرابي أبطأ عنه ابنه فخافه: اللهم إن كنت أنزلت

به بلاء فأنزل معه صبراً، وإن كنت وهبت له عافية فأفرغ عليه
شكراً. اللهم إن كان عذاباً فاصرفه، وإن كان صلاحاً فزد فيه،
وهب لنا الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء.

● قال سعيد بن المسيّب: مرّ بي صلة بن أشيم، فقلت:

ادع لي.

فقال: رعبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك
اليقين الذي لا تسكنُ النفوس إلا إليه، ولا يعولُ في الدين إلا
عليه. اللهم إني أحبُّ طاعتك وإن قصّرتُ فيها، وأكره
معصيتك وإن ركبْتُها، فتفضّل عليّ بالجنة وإن لم أستحقّها،
وخلّصني من النار وإن استوجبْتُها. اللهم إني أسألك الإقبالَ
عليك، والإصغاءَ إليك، والفهمَ عنك، والبصيرةَ في أمرك،
والنفاذَ في طاعتك، والمراقبةَ على إرادتك، والمبارزةَ في خدمتك،
وحسنَ الأدب في معاملتك، والتسليمَ والتفويضَ إليك.

● قال أعرابي وقد صلّى: اللهم عفرْتُ لك جبيني،

وبسطتُ إليك يميني، فانظر ما تعطيني.

● سئل عمر بن عبدالعزيز عن يوم الجمل ويوم صفين

فقال: تلك دماءُ صانَ الله عنها يدي فلا أغمسُ فيها لساني!

● قال رجلٌ للحسن البصري: إن عشتَ ترَ ما لم تره.

فقال الحسن: إن متَّ ترَّ ما لم ترَّ.

● مرَّ عليُّ رضي الله عنه بمقابر الكوفة فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحالِّ المقفرة، أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع، أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قُسمت، هذا خيرٌ ما عندنا، فما خيرٌ ما عندكم؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خيرَ الزادِ التقوى.

● قيل لحكيم: ما أبعدُ الأشياء من الناس؟ قال: الأمل.

فقيل: وما أقربُ الأشياء منهم؟ قال: الأجل.

● قال عمر بن عبدالعزيز في خطبته: ما هذا التغافلُ عما أمرتم به، والتسرُّعُ إلى ما تُهَيِّم عنه؟ إن كنتم على يقين فأنتم حمقى، وإن كنتم على شكٍّ فأنتم هلكى!

● قيل لبهلول وقد أقبل من مقبرة: من أين؟ فقال: من عسكر الموتى! فقيل: ما قلت وما قالوا؟ قال: سألتهم متى يرحلون؟ فقالوا: ننتظر قدومكم ثم نرتحل!

● قال أبو حازم: كلُّ عملٍ تكرهُ الموتَ لأجله فدعه كي

لا تخافَ منه متى أتاك.

● لما نزل الموت بهشام بن عبدالمملك، جعل ولده يكون عليه، فقال: جادَ هشام عليكم بالدنيا وجُدتُم عليه بالبكاء. وترك لكم ما جمعَ وتركتم عليه ما اكتسب، ما أعظم منقلبَ هشام إن لم يغفرِ الله له!

● قال بعضهم: لا يكرهُ الموتَ إلا مريب!

● قُرئ على قبر: نُقلنا من دار خيرة إلى دار عبيرة، أليس

فيها عبيرة؟!

● قال بعضهم:

أيها الأخ الذي قد غاب عني وجفاني
سوف يأتيك من الله رسولٌ قد أتاني
فيؤثك من الأَرْضِ مكاناً كمكاني

● وقال شاعر:

نلُّ كلَّ ما شئتَ وعشُّ ناعماً آخِرُ هذا كلِّه الموتُ

● قيل لبعض الشطرنجيين وهو يحتضر: قل لا إله إلا الله.

فقال: شاه مات!

● أوصى عبد الوهاب الأفريقي أن يُكفَنَ في عباءته وقال:

إني ختمتُ فيها ثلاثة آلاف ختمة.

● قيل لسقراط: ما لك لا تجزع؟ قال: لأني لا أقتني ما يحزنني فقدته!

● قيل: مكتوبٌ علي باب الجنة: من صَبَرَ عَرَّ.

● قال علي رضي الله عنه: إن صبرتِ فأنت مأجور، وإن جزعتِ جرى عليك المقدورُ وأنت مأزور!

● قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنتُ إذا أصابني مصيبةٌ وأنا شاب لا أبكي، وكان يؤذيني ذلك، حتى سمعت أعرابياً ينشد:

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يعقبُ راحةً من الوجدِ أو يشفي نجيَّ البلايلِ

فسألته: لمن الشعر؟ فقال: لذي الرمة، فكنت إذا أُصبتُ بكيتُ فاسترحت!

● نظر رجل بالبصرة إلى امرأةٍ فقال: ما رأيتُ مثل هذه النضارة، وما ذاك إلا من قلة الحزن!

فقالت: ما حزنٌ كحزني! ذبح زوجي شاةً ولي صبيان يلعبان، فقال أحدهما للآخر: تعال أريك كيف ذبح أبي الشاة، فذبحه! ثم خاف فهرب إلى الجبل، فافترسه ذئبٌ هناك! وخرج

زوجي في طلبه، فاشتدَّ عليه الحرُّ فمات عطشاً!
فقيل لها: كيف صبرت؟ قالت: لو وجدتُ في الحزن دركاً
ما اخترتُ عليه!

● عندما اقترب موثُ الإسكندر كتب إلى والدته، أن
اصنعي طعاماً وادعي له من لم تُصبهُ مصيبة! فامتثلت، فبقي
الطعامُ ولم يأتها أحد! ففطنت أنه أرسلَ يعزِّيها!
● قال يحيى البرمكي: التعزية بعد ثلاثٍ تحديدٌ للمصيبة،
والتهنئة بعد ثلاثٍ استخفافٌ بالمودة.

● عزَّى بعضُ الحمقاء جاراً له بامرأته فقال: أعظمَ الله
أجرك، ورحمَ الطعينة، فقد ماتت في يومٍ جيدٍ يومِ الثلاثاء!
فقيل له: إن هذا اليومَ جيدٌ لإخراجِ الدم! فقال: هو
لإخراجِ الروحِ أجود!

● قال شاعر:

وتقرعني في كلِّ يومٍ مصيبةٌ فقد صرتُ ذا أنسٍ بقرعِ المصائبِ
لعمرك ما تعفو كلُّومُ مصيبةٍ على صاحبٍ إلا فجعتُ بصاحبٍ

● قال عبدالصمد يرثي قارئاً:

لو كان يبكي كتابُ الله من أحدٍ لطولِ إلفِ بكتك الآيِ والسُّورِ

● قيل: إذا مات الخَيْر استراح من الدنيا، وإذا مات الشرير استراحت منه الدنيا.

قال الحسن بن أيوب:

مات يحيى فمات شرُّ كثيرٍ ولقد كان شرُّه يستطيرُ
إن موتَ الأشرارِ فتحٌ عظيمٌ وغيابٌ ونعمةٌ وسرورُ
ما شمتنا بموتِ يحيى ولكن سرَّنا أن شرَّه مقبورُ

● قال الإسكندر لبعض الحكماء: أيهما أول، الليل أو النهار؟

فقال: هما في دائرة واحدة، والدائرة لا يُعرف لها أول من آخر، ولا أعلى من أسفل!

● قال شاعر على سبيل اللغز:

ما سبعةٌ كلُّهم إخوانٌ ليس يموتونَ وهم شبَّانُ
لم يرهَم في موضعِ إنسانُ

يعني أيامَ الأسبوع.

● قيل لأعرابي: الشمس أحسنُ أم القمر؟

فقال: القمر أحسن، والشمسُ أجهر.

قيل: وكيف صار القمر أحسن؟

قال: لأن العيون عليه أجسر!

- وقال أعرابي: ما فقدتُ القمر إلا فقدتُ أخاً أنيساً!
- كان أعرابي يرتعدُ في يوم شات، فقيل له: تحوّل إلى الشمس.

فقال: الشمسُ تحتاج اليوم إلى قטיפه!

- قيل لأعرابي: أما تجدُ البرد؟

قال: لا، لأن العريّ اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم!

- وقيل لآخر: ما أصبرك على البرد!

قال: كيف لا يصبرُ عليه من طعامه الريح، وسراجهُ الشمس، وسقفهُ السماء؟!

- قيل لأعرابي انقطع عن أرضهم المطر: كيف خلفت ما وراءك؟

فقال: الترابُ يابس، والأرض عابس!

- كتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه: البحر خلق عظيم، يركبه خلق صغير، كأنهم دود على عود!

- كتب عمر بن الخطاب إلى أمير الأجناد: مروا الناس أن يخرجوا إلى الصحارى أيام الربيع فينظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها!

● قال الصنوبري في تفضيل الربيع:

إن كان في الصيف ريحانٌ وفاكهةٌ فالأرضُ مستوفدٌ والجوُّ تُسورُ
وإن يكن في الخريف النخلُ محترفاً فالأرضُ عريانةٌ والجوُّ مَقْرورُ
وإن يكن في الشتاء الغيثُ متصلاً فالأرضُ محصورةٌ والجوُّ مأسورُ
ما الدهرُ إلا الربيعُ المستنيرُ إذا أتى الربيعُ أتاك النَّوْرُ والنَّوْرُ
الأرضُ ياقوتةٌ والجوُّ لؤلؤةٌ والنبتُ فيروزجٌ والماءُ بلُورُ

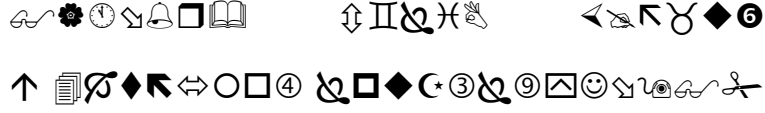
● قال علي رضي الله عنه: إذا دخلت البساتينَ فأطلن
تأملها، فإن فيها جلاءً للبصر، وارتياحاً للهَمِّ والفكرة، وتكرمةً
للطبائع، وتسكيناً للصداع!

● ذهبت امرأة إلى معبّر فقالت: رأيت زوجي أولاني باقة
نرجس. فقال: يطلقك! فقالت: لمه؟ قال: لقول الشاعر:

ليس للنرجس عهدٌ إنما العهدُ لالاسِ

● قيل: للزرع ألف آفة، ليس فيها أعظم من جور
السلطان!

● اختلفَ في البُرِّ والتمر اثنان عند محمد بن سليمان
فقال: طالما اختلف في ذلك الأمم! وقال لابن داحة: اقضِ
بينهما. فقال لصاحب البُرِّ: خبرني أيهما أوجدُ في الجذب؟
قال التمر. قال: فأيهما أبقى على الغرق؟ قال: النخل. قال:



(١) فهذا أشرفهم، وكان ينزل أقصى المدينة وطرقها.

- قيل: خلق الله ابن آدم من تراب فهَمَّتْه في حفر التراب، وحُلقت المرأة من ضلع الرجل فهَمَّتْها في الرجل!
- قيل لابن الزبير: اهدم دور بني أمية!

قال: لا أفعل، إن ظفرتُ بهم فهي مبنية أفضل، وإن عطفْتُ عليهم بأرحامهم فهو أجمل. فلما قُتل ابن الزبير لم تمسَّ لهم لَبنة!

ولما همَّ أهلُ البصرة بهدم دار زياد وانتهابِ أهلها قال الحسن رضي الله عنه: كلُّ بلدة خربت الدار التي بني عليها إلا خربت، وإن البصرة بُنيت على دار زياد. فانتهاوا عن ذلك!

- وقال الحسن في دعائه: اللهم إنا نعوذ بك أن نملَّ معافاتك.

فقيل له في ذلك فقال: أن يكون الرجل في خفض (٢)، فتدعوه نفسه إلى سفر.

(١) سورة القصص، الآية ٢٠.

(٢) الخفض: الدعة وسعة العيش.

● قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبةٌ بغير خيبة.

● نار اليراعة هي طائر كبعض الطيور بالنهار، وإذا طار بالليل فهو كشهاب قبس، ويُلْمَخُ لها مَعٌ يَنْضُ ويلمَعُ من بعيد، فإذا دنوت منها لم ترها شيئاً. والعرب تقول: أكذبُ من يلمع!

● قال بعض الحكماء: النيران أربع:

نار تأكلُ وتشرب، وهي نار المعدة.

ونار تأكلُ ولا تشرب، وهي النار الموقدة.

ونار تشربُ ولا تأكل، وهي نار الشجر.

ونار لا تأكلُ ولا تشرب، وهي نار الحجر.

● قال رجل لعلي رضي الله عنه: متى أضرب حماري؟

قال: إذا لم يذهب إلى الحاجة كما ينصرف إلى البيت!

● قيل لأعرابي: كيف عدوُ فرسك؟

قال: يعدو ما وجدَ أرضاً!

● عرض أعرابي فرساً للبيع فقيل له: كيف هو؟ قال: ما

طَلَبْتُ عليه إلا لحقتُ، ولا طَلَبْتُ إلا قُتِّ. فقيل له: ولم تبيعه؟

فأنشأ يقول:

وقد تخرُج الحاجاتُ يا أمَّ مالك كرائمٍ من ربِّ لهنَّ ضنينُ

- قال قَطْرِي لرجل: اشتر لي فرساً. قال: لا علم لي بنجابته. قال: اشتره ونصفه عنقه.
- قيل: الفرس يسرعُ بسعة إبطه وجلده وبطول عنقه وعظم حفرته.
- إذا وصفوا الرجل بالضعف والموت قالوا: ما هو إلا نعجةٌ من النعاج. وإذا مدحوه قالوا: فلانٌ ماعز من الرجال! وفلان أمعزٌ من فلان!
- يقال في المثل: هو عنقاء مُغرب، لما لا يوجد وما لا يُطمع فيه، فلا حقيقة له سوى صورته على البسط والجدران، ورسمه كأنه ثلاثون طيراً!
- الغراب قويُّ البدن، لكنه من لئام الطيور، لا يعافُ القاذورات. وفرخه أقدُرُ وأنتن من الهدهد.
- سمِّي القطا بهذا الاسم لحكاية صوته.
- السنور يشبه الإنسان في أمور شتى: في العطاس، والثناؤب، والتمطي، وغسل الوجه والعين.
- زُوي أن أعرابياً صاد سنوراً فلم يعرفه، فتلقاه رجل

فقال: ما هذا السنُّور؟ وتلقَّاه آخر فقال: ما هذا الهرُّ؟ وآخر فقال: ما هذا الضيُّون؟ وآخر فقال: ما هذا القطُّ؟ فقال الأعرابي: إني أحمله وأبيعهُ فسيجعل الله لي منه يسراً.

فلما حمله إلى السوق قيل: بكم؟ قال: بمائة. قيل: إنه يساوي نصف درهم!

فرمى به وقال: ما أكثر أسماءه وأقلَّ نفعه!

● وقيل إنما يسترُّ السنُّور خرقه لئلا يشمَّ الفأر ريحته فيهرب!

● قال ابن طباطبا في هرة لم تكن تصيد الفأر:

وسنُّورة سالمت فأرها فيبينهما أبداً هدنة
تدور وفي فمها جوزةٌ وشيء أصابته من جنبه
لتنصب للفأر فخاً به كذا القُرْنُ مختلٌ قرنه

● من فرط خبث الثعلب أنه يجري مع كبار السباع.. وهو مولعٌ بأكل القنفذ!

● الجُعَل يموتُ من ربح الورد، ويعيشُ بالروث! وله جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طارا!

● العقرب لا تضربُ المغشى عليه ولا النائِم حتى يتحرك.

وشرُّ ما تضرُّ الملدوغ إذا كان خارجاً من الحمام، لسخونة بدنه
وتفتح مسامه.

● قيل: الرئاسة في الهواء للعُقَاب، وفي الماء للتمساح، وفي
الغياض للأسد.

● الجاموس يخشى البعوضَ خوفاً شديداً، فيغمس في
الماء.

● القنفذ لا ينام، والفهد لا يسهر!

● ثلاث لا يُشْبِعُ منهن: العافية، والحياة، والمال.

● قال خالد بن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله
أصغر؟ قال: الدنيا، لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

قال: بلى، أصغرُ منها من عظمتها!

● قال حكيم: من الذي جاور النساء فلم يفتتن بهن؟
وصحب السلطان فدامت سلامته؟

● ثلاثة تزيد في الأنس بين الإخوان: الزيارة في الرجال،
والحديث على المائدة، ومعرفةُ الأهل والحشم.

● سبعة يكثرون السخط: الملك المترف، والشيخ القلق،

والسفيه، والأديب العديم الحليم، والباذل نصيحته للأخرق،
والمكلف العمل بغير رفق.

● رُمي إلى أعرابي علكُ فقال: تعبُ الحنجرة، وخيبةُ
المعدة.

● من كان دليله اليوم، كان مأواه الخراب!

● بالكلمة اللينة تخرجُ الحيةَ من جحرها.

● بإزاء لطف الكلام يُخدع الكرام!

● سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: اجعلني من
الأقلين. فقال: عليك من الدعاء بما يُعرف.

● قال بعض الأنصار: من أدمن إتيانَ المساجد رأى فيها
ثماني خصال: أخاً مستفاداً، وعلماً مستظرفاً، وآية محكمة،
ورحمة منتظرة، وكلمة تدلُّ على هدى، وأخرى تردُّ عن ردى،
وترك الذنوب حياءً أو خشيةً.

● دخل الغالي على أبي عباد الوزير وهو عليل فأنشده:
حالفك الفضل والكمالُ والبذلُ والجاهُ والنوالُ

فقال:

حالفني السقمُ والسعالُ ونقرسُ ما إن له زوالُ

● بعث الرشيد إلى بهلول، فأحضره وأجلسه في صحن

الدار، وأم جعفر تراه من حيث لا يراها، وعيسى بن جعفر جالس. فقال الرشيد: يا بهلول عدّ لنا المجانين. فقال: أولهم أنا. قال: هيه. قال: وهذه، وأشار إلى موضع أم جعفر. فقال له عيسى: يا ابن اللخناء تقول هذا لأختي؟ فقال بهلول: وأنت الثالث يا صاحب العريضة! فقال الرشيد: أخرجوه. فقال: وأنت الرابع!

● قيل لمجنون: فيم يسعى هذا الخلق؟ قال: فيما لا يجدونه، ثم يطلبون الراحة وهي لا تكون في الدنيا!

● قيل لعبدالرحمن القاضي: لم سمي العصفور عصفوراً؟ قال: لأنه عصي وفرّ.

● ولّي فلانّ أبا العجل، وكتب له عهداً نسخته: يا أبا العجل، وفّقك وسدّدك، وليتّك خراج ضياع الهواء ومساحة الهباء، وكَيْلَ ماءِ الأنهار وعدّ الثمار، وصدقاتِ البوم وكَيْلِ الرُّقُوم، وقسمةِ الشوم بين الهند والروم، وأجريتُ لك من الأرزاق بُغْضَ أهل حمص لأهل العراق، وأمرتُك أن يجعل ديوانك ببرقة ومجلسك بإفريقيا، وعيالك بميسان وإصطبلك بهمدان، وخلعتُ عليك حُقّي حُنين وقميصاً من دَيْن، وسراويلَ من سخنة عين،

فدُر في عملك كلَّ يوم مرتين. والحمد لله على ما ألهمنا فيك
فقابلنا بالشكر فيما نوّليكَ.

● قالت جارية مات أبوها: وا أبتاه، وا خيلاه!

فقال لها امرأة: ويلك! ومتى كان له خيل؟

قالت: كان يريد أن يشتري؟

● قال رجل لـ"أعين" الطبيب: إني لأجدُ في بطني وجعاً لا

أدري ما هو؟!

قال: فخذ "أيش هو" واجعل فيه "ما اسمه" ودقه بـ"قول

أنت"!

* * *

المختار من النّشوار (١)

للبيكري

حامد بن العباس كان وزيراً للخليفة المقتدر سنة ٣٠٦هـ. وقفت أمامه امرأة في الطريق تشكو إليه الفقر، وتطلب منه البرّ، وقدّمت له عريضةً في ذلك.. فوقّع لها بمائتي دينار.

(١) المختار من النشوار / اختاره من نشوار المحاضرة للتوخي وهذّب عبارته وعلق عليه عادل البيكري. - الكويت: وزارة الإعلام، ١٤٠٥هـ، ٣٢٧ص. - (دراسات في التراث العربي؛ ٧).

وكتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" يتضمن القصة والأدب والأخبار، مما اطلع عليه مؤلّفه، أو رآه بنفسه، أو سمعه من رجال لقيهم. والتزم فيه أن لا يضمّنه شيئاً نقله من كتاب. وقضى في تأليفه عشرين عاماً (٣٦٠ - ٣٨٠) حتى احتوى على كل جديد وممتع وطريف. ويقول عن سبب تأليفه للكتاب إنه اجتمع قديماً مع مشايخ قد عرفوا أخبار الدول، وشاهدوا كل غريب عجيب، وكانوا يوردون كلاً من تلك الفنون، فيحفظ ذلك ويتمثّل به. فلما تناولت السنون ومات أكثرهم، خشي أن يضيع هذا الجنس، فأثبتته في هذا الكتاب، وسماه "نشوار المحاضرة" ليدلّ على ما يُظهره من كلام حسن وهو النشوار. يقال: إن لفلان نشواراً حسناً، أي كلاماً حسناً.

==

وبعد أيام رفع إليه رجلٌ عريضةً يذكر فيها أنه وامرأته كانا فقيرين، فحصلت على مائتي دينار من الوزير، فاستطالت بها عليه، وصارت تتعنّت ليطلّقها، ولذلك يطلب من الوزير مبلغاً

من المال لتكفَّ عنه، وتلتزم حدودها!

== وينقل الكتاب صورة حية عن المجتمع العباسي في جده وهزله، وأدبه وعبثه، وفضائله وفضائحه، عن الولاة والوزراء والنساء والقضاة وعادات الناس في أفراحهم وأحزانهم ونزهاتهم، وفي أكلهم وشربهم وأنواع طعامهم، وعن أدب الخاصة والشعراء والأدباء، وعن حيل اللصوص والشطّار ومكائدهم، وجرائم القتل والسفّاكين، وأخبار الأذكياء ودهائهم، ونوادير الحمقى والمتماجنين وطرائفهم... إلخ.

ويقع الكتاب في أحد عشر جزءاً، صدر منها ثمانية أجزاء كبار، طبعها عبود الشالجي فيما بين ١٣٩١ و١٣٩٣هـ.

ويذكر "عادل البكري" أنه في هذا العمل اختار من النشوار أحسن ما جاء فيه من الأخبار والأشعار والنوادير والقصص، واستبعد منها ما يتنافى مع القيم الخلقية والإنسانية لفحش أو بذاءة معناه، أو ما كان فيه حثٌّ على الفساد والرشوة، والتجسس والاختلاس، وخيانة الأمانة، أو فيه تمجيد للشعوبية...

والمؤلف هو القاضي أبو علي المحيّن ابن القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي. من العلماء الأدباء الشعراء. ولد ونشأ في البصرة، وولي القضاء في جزيرة ابن عمر وعسكر مكرم. وتقلد أعمالاً. وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٣٨٤هـ. وكان والداه (أبو القاسم التنوخي) هو الآخر قاضياً أديباً.

فضحك الوزير، ووقع له بمائتي دينار وقال: أعطوه إياها،
وقولوا له: قد صار الآن مالك مثل ماها، فهي لا تطالبك
بالطلاق!

فقبضها الرجل، وانصرف غنياً!

● قال القاضي أبو الحسين بن عياش: رأيتُ صديقاً لي على زورق ببغداد، جالساً في يومٍ ريح شديد وهو يكتب! فقلت: ويحك! تكتبُ في مثل هذا الموضع، ومثل هذا الوقت؟! فقال: أريد أن أزور كتاباً على رجل مرتعش اليد، ويدي لا تساعدني، فتعمّدت الجلوس ها هنا على زورق متحرّك، وفي وقت هبوب الريح، فيجيء خطي مرتعشاً، فيُشبه خطّه!

● لما افتتن الناس في الأهواز بالحلاج وما يُخرجه لهم من الأطعمة والأشربة في غير حينه، والدرهم التي سُمّاها "دراهم القدرة"^(١) حُدِّثَ أبو علي الجبائي بذلك - وهو من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره - فقال: إن هذه الأشياء التي يُخرجها الحلاج محفوظةً في منازل يمكن الحيل فيها، ولكن أدخلوها بيتاً من بيوتكم، لا منزله هو، وكلّفوه أن يُخرج منه خرزتين سوداء وحمراء، فإن فعل فصدّقه!

فبلغ الحلاج قوله: فخرج من الأهواز!

(١) وهي دراهم كان ينقش عليها نقشاً خاصاً وينشرها على البسطاء من الناس موهماً أنّها من عند الله.

● أبو الحسين محمد بن أبي البغل كان والياً على أصبهان أيام الدولة العباسية، وكان حادّ الطبع، ضيق الصدر. وردّ عليه يوماً كتاب من عامل من بلدٍ بينه وبينه فراسخ كثيرة، وقد سخّاه بسحاة غليظة^(١). فاجتهد في قطعها بيده وجهدَ جهداً شديداً فلم يستطع قطعها، فترك الكتاب، ووقّع بلزوم مجيء ذلك العامل. وقدم بعد أيام، فلما جلسَ بين يديه قال لكاتبه: أين ذلك الكتاب الذي وردَ منه بالسحاة الغليظة؟ فأحضره، فقال: له: اقطع هذه السحاة.

فحاول قطعها، فلم يتمكن من ذلك، فأخذ سكيناً من بعض الكتاب، فقطعها!

فقال له ابن أبي البغل: ارجع الآن إلى عملك، فإنما دعوتك لتقطع هذه السحاة، وكلما أرسلت كتاباً مثل هذا استحضرتك لتقطعه!

فردّه في الحال إلى عمله، وما تركه يقيم ساعة، ولا سأله عن شيء من أمره!

(١) السحاة: ما يربط به الكتاب من قماش أو نحوه، وكانت الكتب الرسمية والرسائل تلف كالأسطوانة وتسحى - أي تربط - بسحاة وتختتم.

● قال طلحة بن عبيدالله بن قناش: كنت يوماً في مجلس حديث وأنس، بحضرة سيف الدولة، أنا وجماعة من نُدمائِه، فأدخل إليه رجل، وخاطبه، ثم أمر بقتله، فُقُتل في الحال!

فالتفتَ إلينا، وقال: ما هذا الأدب السيِّء، وما هذه المعاشرةُ القبيحة التي نعاشرُ ونُجالسُ بها؟ كأنكم ما رأيتم الناس، ولا سمعتم أخبارَ الملوك، ولا عشتُم في الدنيا، ولا تأدَّبتم بأدبِ دين ولا مُروءة؟!!

قال: فتوهَّمنا أنه قد شاهد من بعضنا حالاً يوجب هذا، فقلنا: كلُّ الأدب إنما يُستفاد من مولانا - أطال الله بقاءه - وما علمنا أننا عملنا ما يوجب هذا، فإن رأى أن يُنعم بتوبيهنا فَعَل.

فقال: أما رأيتموني وقد أمرتُ بقتل رجل مسلم لا يجب عليه القتل، وإنما حملتني السطوةُ والسياسةُ لهذه الدنيا النكدة على الأمر به طمعاً في أن يكون فيكم رجلٌ رشيد، فيسألني العفو عنه، فأعفو، وتقومُ الهيبةُ عنده وعند غيره، فأمسكتم حتى أريق دُمَّ الرجل، وذهب هَدَراً؟!!

قال: فأخذنا نعتذر إليه، وقلنا: لم نتجاسر على ذلك.

فقال: ولا في الدماء؟ ليس هذا بعذر.

فقلنا: لا نعاود. واعتذرنا حتى أمسك.

● قال أبو الحسن محمد بن إسحاق بن عباد النجار، وهو شيخ من وجوه التمارين بالبصرة: كان في جوارنا فلان، فتصدَّق ليلة على ضرير اجتاز به، وهو لا يعرفه، فأراد أن يفتح إحدى صُرَّتَيْنِ فِي كُمِّهِ، فِي إِحْدَاهُنَّ دَنَانِيرٌ وَفِي الْأُخْرَى دَرَاهِمٌ، فَيُعْطِيهِ دَرَهْمًا، فَأَعْطَاهُ دِينَارًا.

وانصرف الضرير، وهو لا يشكُّ أن معه درهماً.

فبَكَرَ بِهِ إِلَى بَقَالٍ يَعَامِلُهُ، فَقَالَ لَهُ: خذْ هَذَا الدَّرَهْمَ، وَاحْسَبْ مَا لَكَ عَلَيَّ، وَأَعْطِنِي بِالْبَاقِي كَذَا وَكَذَا.

فقال له البقال: يا هذا، من أين لك هذا؟

قال: أعطانيه البارحة فلان.

قال: إنه دينار، فخذ.

فأخذه الضرير، وجاء به من الغد إلى الرجل، وقال له: إِنَّكَ تَصَدَّقْتَ عَلَيَّ بِهَذَا، وَأَظْنُكَ أَرَدْتَ أَنْ تَعْطِيَنِي دَرَهْمًا، وَغَلَطْتَ، وَمَا أَسْتَحِلُّ أَخْذَهُ مِغَالِطَةً، فَخُذْهُ.

فقال له الرجل: قد وهبته لك، وإذا كان في رأس كل شهر فتعال إليَّ أُعْطِكَ شَيْئًا آخَرَ، مِجَازَةً لِأَمَانَتِكَ.

وكان يجيئه في رأس كلِّ شهر فيعطيه خمسة دراهم!

قال: فلم أر أعجب من أمانة البقال والضير، ولو كان في هذا الوقت لجرى الأمر بضد ذلك!

● كان أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد المافروخي عاملاً على البصرة^(١) وكان فأفاء، اعترضه جمل في صحن الدار فصاح عليه فلم يقم، فقال: "أخرجوه" عني. وكرّر "أخ خ" لأجل عُقْلَةٍ لسانه. فبرك الجمل، لأنه ظن أنه يقال له ذلك، كما يقال إذا أريد منه البروك.

وكان أحد جلسائه قد خرج إلى بعض الأعمال، واستخلف بحضرته ابناً له، كان مثل المافروخي في الفأفأة.

فخاطبه المافروخي أول ما دخل إليه، في أمر شيء قال فيه (ووو) مراراً. فأجابه ذلك الابن بمثل كلامه (ووو).

فقال: يا غلمان (اصفعوا) قفاه، كأنه يحكيه.

فصُفِعَ صفعاً محكماً، حتى حضره أقوام، وحلفوا له أن ذلك عادته. فأخذ يعتذر إليه، وقال: الذنب ذنبُ أبيه لما ترك في حضرتي مثله.

● قال عبدالله بن جعفر بن الوكيل: كنت يوماً عند إبراهيم بن المدبر - وزير المعتمد - فرأيتُ بين يديه رقعة يرِدُّ

(١) وكان عالماً أديباً حسن الإنشاء، كثير الحفظ لأشعار العرب وأنسابهم.

النظر إليها، فقلت له: ما شأن هذه الرقعة؟ كأنه استعجم عليك شيءٌ منها؟

فقال: هذه رقعةُ أبي عثمان الجاحظ، وكلامه يعجبني، وأنا أردده على نفسي لشدة إعجابي!

فقلت: هل يجوز أن أقرأها؟

قال: نعم.

وألقاها إليّ، فإذا فيها: ما ضاء لي نهارٌ ولا دجا ليلٌ مذ فارقتك، إلا وجدتُ الشوقَ إليك قد حَزَّ في كبدي، والأسفَ عليك قد أسقط في يدي، والنزاعَ نحوك قد خان جَلدي، وذكرْتُ وأنا على فراش الارتماض ممنوعٌ من لذة الإغماضِ قولَ الشاعر:

إذا هتف القمريُّ نازعي الهوى بشوقٍ فلم أملك دموعي من الوجدِ
أبي الله إلا أن يفرِّقَ بيننا وكنا كماءِ المزنِ شيبَ مع الشهدِ

فانتظم وصفُ ما كنا نتعاشرُ عليه، ونجري في مودتنا إليه، في شعره هذا، وذكرْتُ أيضاً ما رماني به الدهر من فرقة أعزائي من إخواني الذين أنت أعزُّهم، ويمتحنني بمن نأى من أحبائي وخلصائي الذين أنت أحبُّهم وأخلصهم، ويجرِّعني من مرارة نأيهم، ويُعد لقاءهم.

وسألت الله أن يُقرن آياتِ سروري بالقربِ منك، ولينَ عيشي بسرعة أُوْبَيْتِكَ، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجددي،
وكنه ما يتضمنه قلبي، وهي:

ولي نَفْسٌ تحت الدجى يصدعُ الحشا ورجعُ حنينٍ للفؤاد مذيّبُ
ولي شاهدٌ من ضُرِّ نفسي وسُقْمه يخبِّرُ عني أنني لكئيبُ
كأبي لم أفجعُ بفرقة صاحبٍ ولا غاب عن عيني سواك حبيبُ
فقلت لابن المدبّر: هذه رقعة عاشقٍ لا رقعة خادم، ورقعة
غائبٍ لا رقعة حاضر.

فضحك وقال: نحن ننسب مع أبي عثمان إلى ما هو أرقُّ
من هذا وألطف. فأما الغيبة: فإننا نجتمع في كلِّ ثلاثة أيام،
وتأخر ذلك لشغلٍ عرض لي، فخاطبني مخاطبة الغائب، وأقام
انقطاع العادة مقام الغيبة!

● ذكر محمد بن حفص بن محارب أن الطاعون الجارف
أتى على أهل دار، فلم يشكُّ أحدٌ من أهل المحلة أنه لم يبقَ
فيها صغير ولا كبير، وكان قد بقي في الدار صبيٌّ رضيع صغير
يجبو ولا يقوم، فعمد من بقي من أهل تلك المحلة إلى باب
الدار فسدّوه. فلما كان بعد ذلك بأشهر، تحوّل إليها بعض
ورثة القوم، فلما فُتح الباب، وأفضى إلى ساحة الدار، إذا هو
بصبي يلعب مع جرو كلبة كانت لأصحاب الدار، فلمّا رآها

الصبي حبا إليها، فأمكنته من لبنها.
فعلموا أن الصبي بقي في الدار وصار منسياً، واشتدَّ جوعه،
ورأى جرو الكلبة يرضع فعطف عليها، فلما سقطته مرة، أدامت
له وأدام لها الطلب!!

● ذكر أبو الحسن محمد بن عمر العلوي - عميد
الطالبين أيام عضد الدولة - أنه لما بنى داره بالكوفة، وكان
فيها حائط عظيم العلو، فبينما البناء قائم على أعلاه لإصلاحه
سقط إلى الأرض، فارتفع الضجيج استعظاماً للحال، لأن
العادة لم تجرّ بسلامة من يسقط عن مثل ذلك الحائط. فقام
الرجل سالمًا لا ضررَ به، وأراد العودة إلى الحائط ليتّم البناء.
فقال له الشريف أبو الحسن: قد شاع سقوطك من أعلى
الحائط، وأهلك لا يصدّقون سلامتك، ولست أحبُّ أن يردوا
إلى بابي صارخين، فامضِ إلى أهلك ليشاهدوا سلامتك، وعد
إلى شغلك.

فمضى مسرعاً، فعثر بعتبة الباب، فسقط مَيِّتاً!!

● قال عبدالله بن محمد: حدثني شيخ كان يخدمني وقد
تجارينا أحاديث، قال:

بثُّ ليلةً في مكان، فقتل رجلٌ رجلاً. فخرجت والليلُ
منتصف، لا أدري أين أقصد!

وخفتُ الحرس، فرأيت موقدَ حَمَامٍ، ولم يوقد بعد، فقلت:
اختبئُ فيه إلى أن يفتح الحَمَامُ فأدخله.

فجلستُ في ناحية من الموقد، فما لبثت حتى سمعتُ وقع
حافر، فإذا رجل معه جارية، فأدخلها إلى الموقد، فذبجها،
وتركها ومضى!

فرأيت بريق خلخالين في رجليها، فانتزعتُهما، وصبرتُ
ساعة ثم خرجت. وما زلت أمشي في طريق لا أعرفه، متحيراً،
إلى أن اجتزتُ بحَمَامٍ قد فتح، فدخلته، وخبَّأته ما معي في
ثيابي.

وخرجت، فعرفت الطريق، وعلمتُ أني بالقرب من دار
صديق لي، فطلبتها ودققتُ بابه، ففتح لي، وسرَّ بقدمي،
وأدخلني.

فدفعت إليه دراهمي ليخبئها، والخلخالين، فلما نظر إليها
تغيَّر وجهه.

فقلت: ما لك؟

فقال: من أين لك هذان الخلخالان؟

فأخبرته بخبري كلّه في ليلتي تلك.

فقال لي: تعرف الرجل الذي قَتَلَ الجارية؟

فقلت: أما بوجهه فلا، لأن الظلمة كانت حائلةً بيننا، ولكن إن سمعتُ كلامه عرفته. فأعدَّ طعاماً، ونظر في أمره ثم خرج، وعاد بعد ساعةٍ ومعه رجل من الجُند، فكلمه، وغمزني عليه، فقلت: نعم، هو الرجل.

فأكلنا.. ونام الجنديُّ في موضعه، فغلق باب الدار، وذبح الرجل!

قال لي: إن المقتولة كانت أختي..!!

● قال مجاشع بن يوسف: كنتُ بالمدينة المنورة عند مالك بن أنس وهو يُفتي الناس، فدخل عليه محمد بن الحسن الشيباني صاحبُ أبي حنيفة وهو حَدث.

فقال: ما تقول في جُنُبٍ لا يجذُّ الماء إلا في المسجد؟

فقال مالك: لا يدخل الجُنُبُ المسجدَ.

قال: فكيف يصنعُ وقد حضرت الصلاة، وهو يرى الماء؟

فجعل مالك يكرر: لا يدخل الجُنُبُ المسجدَ.

فلما أكثرَ عليه قال له مالك: فما تقولُ أنت في هذا؟

قال: يتيمَّم ويدخل، فيأخذُ الماءَ من المسجد، ويخرُجُ

فيغتسل.

فقال: من أين أنت؟

قال: من هذه، وأشار إلى الأرض.
فقال: ما مِنْ أهل المدينة أحدٌ لا أعرفه.
فقال: ما أكثر مَنْ لا تعرف. ثم نهض.
فقالوا لمالك: هذا محمد بن الحسن، صاحبُ أبي حنيفة.
فقال مالك: محمد بن الحسن كيف يكذب، وقد ذكر أنه
من أهل المدينة؟
قالوا: إنما هو: من أهل هذه، وأشار إلى الأرض!
قال: هذا أشدُّ عليَّ من ذاك.

● دخل لصُّ دارَ أبي خليفة القاضي بالبصرة، فصاح ابنه
باللصِّ، فخرج أبو خليفة إلى صحن الدار فقال: أيها اللصِّ،
ما لك وما لنا؟ إن أردتَ المالَ فعليك بفلان وفلان، إنما عندنا
خزانتان: خزانة فيها أحاديث، وخزانة فيها أخبار، إن أردتَ
الحديث حدِّثناك عن أبي الوليد الطيالسي، وأبي عمر الجوصي،
ومحمد بن كثير. وإن أردتَ الأخبار أخبرناك عن الرياشي، وعن
الأصمعي، ومحمد بن سلام.
فصاح به ابنه: إنما كان كلباً.

فقال: الحمد لله الذي مسخه كلباً، وردّ عنا حرباً!

● قال شيخ يسكنُ بدرب الروّاسين في بغداد: كان قاضي القضاة أبو عبدالله بن أبي دؤاد ينزلُ بباب الشام من درب الروّاسين، وهو ضعيفُ المعيشة، فباع يوماً منديلاً له بسبعة دراهم لتعُدُّ القوتِ عليه، واجتازَ في طريقه - وهو عطشان - فرأى سقّاء، فذهب إليه، وطلبَ منه الماء، فكسر السقّاء شفة كوزٍ كان معه، وملاه ماءً ودفعه إليه.

فقال له ابن أبي دؤاد: لم فعلتَ ذلك؟

فقال: قد شرب في هذا الموضع قبلك من لم أرضَ لك أن تجعل شفتك في موضع شفته، فكسرتُ الموضع من الكوز لتشرب من موضع ما وقعت عليه شفةٌ غير شفتك!

قال: فشرب الماء، ثم دفع إليه سبعة الدراهم التي لم يكن يملك غيرها!

● ذكر أبو الحسن المدائني - الإخباري المعروف - أن التابعي الجليلَ محمد بن سيرين رحمه الله كان سبب حبسه هو الإفلاس، أي لعدم استطاعته إيفاء ديونه. وكان قد اشترى زيتاً بأربعين ألف درهم، فوجد في زِقِّ منه فأرةً، فقال: الفأرة كانت

في المعصرة. فصَبَّ الزيت كلَّه! أي أن الفأرة لا تستطيع دخول الزقِّ بعد ملئه وربطه، لذلك رَجَّح أنها كانت في المعصرة، فدخلت مع الزيت أثناء ملء الزقِّ، فتلَوَّث الزيت كله، فصَبَّه على الأرض - وهذا لشِدَّة ورعه وتدينه - وخسِرَ أربعين ألف درهم!

وكان يقول: عَيَّرْتُ رجلاً بشيء منذ ثلاثين سنة، أحسبني عوقبتُ به!

وكانوا يرون أنه عَيَّرَ رجلاً بالفقر فابْتُلي به!

● رأى بعضهم زنجياً بيئراً ميموناً - مكاناً بأعلى مكة - وهو يسحبُ الماء منها، ويهمسُ بشيء لم يدرِ ما هو. فدنا منه، فإذا بعضه بالعربية، وبعضه بالزنجية، ثم تبَيَّن ما قال، فإذا هو:

ألا يا لائمِي في حَبِّ رِيحٍ أفيقُ عن بعض لومك لا اهتديتَا
أتأمري بهجرة بعضِ نفسي معاذَ الله أفعل ما اشتهيتَا
أحبُّ لحيَّها تثليم طرّاً وتكعةً والمشكَّ وعيرَ زيتا

فقال: ما هذه؟ قال: أماكن كانت لنا بالحبشة كنا نألفها.
فقال: أحسبك عاشقاً؟ فقال: نعم. قال: لمن؟ فقال: لمن إن وقفت رأيتها!

فلما لبث ساعة حتى جاءت سوداء على كتفها جرّة،
فضربَ بيده عليها وقال: هذه هي.

فقال له: ما مقامك ها هنا؟

قال: اشتريتُ، فأوقفتُ على هذا القبر أرشُّه، فأنا أُبرِّد من
فوق، وربك يسجّن من أسفل!

● بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان أميرَ
البصرة وقاضيتها في ولاية خالد القسري سنة ١٠٩هـ، ثم سُجنا
وعُدِّبَا حتى ماتا في الحبس سنة ١٢٦هـ!

وكان كلُّ من مات في الحبس يُرفع خبره إلى الحجّاج، فيأمرُ
بإخراجه وتسليمه إلى أهله.

وكان من خبر بلال أنه قال للسجّان: خذ مني عشرة
آلاف درهم وأخرج اسمي إلى الحجّاج في الموتى، فإذا أمرتُ
بتسليمي إلى أهلي، هربتُ في الأرض فلم يعرف الحجّاج
خبري، وإن شئتَ أن تهربَ معي فافعل، وعليّ غناك أبداً.

فأخذ السجّان المال، ورفع اسمه في الموتى.

فقال الحجّاج: مثل هذا لا يجوزُ أن يخرج إلى أهله حتى
أراه. هاته.

فعاد إلى بلال، فقال: اعهد.

قال: وما الخبر؟

قال: إن الحجاج قال كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً
قتلني، وعلم أبي أردتُ الحيلة عليه، ولا بدَّ أقتلك خنقاً.
فبكى بلال، وسأله أن لا يفعل، فلم يكنْ إلى ذلك طريق،
فأوصى وصلى. فأخذ السجَّان وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج
ميتاً.

فلما رآه ميتاً قال: سلِّمه إلى أهله.

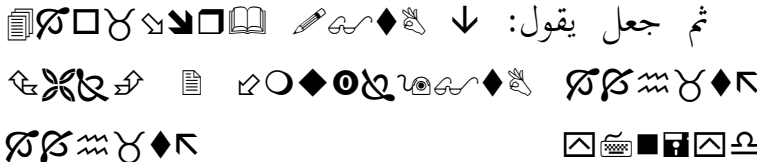
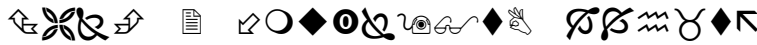


فأخذه، وقد اشترى القتلَ لنفسه بعشرة آلاف درهم،
ورجعتِ الحيلة عليه!

● لما احتُضر عضد الدولة^(١) في سنة اثنتين وسبعين
وثلاثمائة، جعل يتمثّل بقول القاسم بن عبيدالله^(٢).

(١) عضد الدولة، فنا خسرو بن الحسن الملقب ركن الدولة بن بويه الديلمي:
فارسي من المتغلبين على الخلافة العباسية، وهو أول من لقب شاهنشاه،
وكان شديد الهيبة جباراً عسوفاً، أديباً، وله نظم بالعربية. وكان محباً للعمران،
وهو الذي بنى البيمارستان العضدي. توفي سنة ٣٧٢ هـ عن ٤٨ سنة من
العمر.

(٢) أبو الحسين القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب الحارثي، كان وزيراً
للخليفة المعتضد ومن بعده للمكتفي، وكان مهيباً جباراً. وتوفي سنة
٢٩١ هـ.

فَتَلْتُ صناديدَ الرجالِ فلم أدعُ عدواً ولم أمهلَ على ظنِّه خَلَقاً
وأخليت دُورَ الملكِ من كل نازلٍ فشردُّهم غرباً وشرَّدتهم شرقاً
فلما بلغت النجمَ عزاً ورفعاً وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقاً
رماني الردى سهماً فأحمد جمرتي فهأنذا في حفرتي عاطلاً ملقى
فأذهبتُ دنياي وديني سفاهةً فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى

ثم جعل يقول: 



إلى أن توفي.

● ذكر أحدُ الولاة أنه تقلد منصب الوالي في "بادوريا" -
غرب بغداد - وصار يحاسبُ الوالي السابق، ويستدرِكُ عليه
أشياء كثيرة، ويطالبه بها، ولكنه لا يردُّ فيها شيئاً.

قال: فأخرجته يوماً إليَّ وناظرته، فأصرَّ على موقفه بعدم
الاعتراف. فاغتظتُ عليه وأمرتُ بصفعه، فلم يتأوّه، ولم يزل
يصيح: واحدة، فإذا صُفِعَ أخرى قال: اثنتان. وعلى هذا إلى
أن صُفِعَ ثلاث عشرة صفقة!

(١) سورة الحاقة، الآيتان ٢٨ و ٢٩.

فتعجبت من عدّه وقلت: يا هذا، ويحك، أي فائدة لك
في العدّ؟

قال: أنا أعدُّ ذلك - أعزّك الله - لأصفحك بعدده بعد
أيام إذا عُزِلت وتقلدت مكانك، فلا أظلمك بالزيادة، ولا تفوز
بالنقصان!

قال: فأخجلني، فقلت: قم في غير حفظ الله إلى منزلك.
فأطلقته، وذهب المال!

● ذكر أبو القاسم التنوخي عن أبيه، أن رجلاً نام في
مسجد وتحت رأسه كيس فيه ألف وخمسمائة دينار. فما شعر
إلا بإنسان قد جذبته من تحت رأسه، فانتبه فرعاً، فإذا شابُّ قد
أخذ الكيس ومرّ يعدو! فقام ليعدو خلفه، فإذا رجله مشدودة
بخيطة قنّب في وتدٍ مضروبٍ في آخر المسجد!

● قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: اجترتُ في بعض
أسفاري براهب في صومعة، فدققتُ عليه، والمساءُ قد أظف
جداً، وقد خفتُ من الصحراء، وسألته أن يدخلني.

فقال: من أنت؟

قلت: أنا الخليل بن أحمد.

فقال: أنت الذي يزعم الناس أنك وَجْه، وواحدٌ في العلم
بأمر العرب؟

فقلت: كذا يقولون، ولستُ كذلك.

قال: إن أجبتني عن ثلاث مسائل مقنعاً فتحتُ لك،
وأحسنْتُ ضيافتك، وإلا لم أفتح لك.

فقلت: وما هي؟

قال: أَلَسْنَا نستدلُّ على الشاهد بالغائب؟

قلت: بلى.

قال: فأنت تقول: إن الله ليس بجسم ولا عَرَض، ولم نر له
مثلاً، فبأيِّ شيء أثبتَّه؟

وأنت تزعمُ أن الناسَ في الجنة يأكلون ويشربون، ولا
يتغوَّطون، وأنت لم ترَ أكلاً شارباً إلا متغوَّطاً.

وأنت تقول إن نعيم أهل الجنة لا ينقضي، وأنت لم ترَ شيئاً
إلا منقضياً.

قال فقلت له: بالشاهد الحاضرِ استدلتُّ على ذلك كَلِّه.

أما الله تعالى فإني استدلتُّ عليه بأفعاله الدالَّةِ عليه، وفي
الشاهد مثلاً ذلك: الروحُ التي فيك وفي كلِّ حيوان، فنحن

نعلم أنه يحسُّ بها تحت كلِّ شعرة ونحن لا ندري أين هي، ولا كيف هي، ولا صفتها ولا جوهرها، ثم نرى الإنسان يموتُ إذا خرجت ولا يحسُّ بشيء، وإنما استدلتُّ عليها بأفعالها وبمركاتها، وبتصرفنا لكونها فينا.

وأما قولك عن أهل الجنة، فالشاهدُ لا يمنعُ ذلك: تعلم أن الجنين يغتذي في بطن أمه ولا يتغوَّط؟

وأما قولك: إن نعيم أهل الجنة لا ينقضي مع أن أوله موجود، فإننا نجدُ أنفسنا نبتدئ الحسابَ بالواحد، ثم لو أردنا أن لا ينقضي إلى ما لا نهاية له، لم نزل نكرره، وأعداده، وتضعيفه، إلى ما لا انقضاء له.

قال: ففتح لي البابَ وأحسنَ ضيافتي!

* * *

كتاب المُعَمَّرِينَ^(١) لأبي حاتم السجستاني

عاش نوح عليه السلام ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة. بعثه الله إلى قومه وهو ابن مائتين وخمسين سنة، ولبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة، وبقي بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة!
ولما أتاه ملك الموت قال: يا نوح.. يا طويل العمر.. كيف

(١) ... المُعَمَّرِينَ من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم/
تأليف أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني؛ عني بتصحيحه
وتعليق حواشيه محمد أمين الخانجي. - القاهرة: محمد أمين الخانجي، د. ت،
٩٠ ص.

جمع فيه المؤلف أخبار (١١٠) من المُعَمَّرِينَ، كلهم من العصر الجاهلي،
وبعضهم من المخضرمين، مع بيان منتهى أعمارهم، وطرف من أخبارهم،
وأحوالهم وأشعارهم، وحكمهم ووصاياهم.. وقد يشك القارئ - وهو محق
- فيما ودر من أعمارهم، وكذلك بعض أخبارهم.
ولا تعدُّ العرب معمرًا إلا من عاش مائة وعشرين فما فوقها، وقيل: مائة
وستة وعشرين فصاعداً.

والمؤلف من كبار العلماء باللغة والشعر، من أهل البصرة. كان المبرِّد يلازم
القراءة عليه. له نيف وثلاثون كتاباً، منها: ما تلحن فيه العامة، الشجر
والنبات، الوحوش، الحشرات، الشوق إلى الوطن، الفرق بين الآدميين وكل
ذي روح... ت ٢٤٨ هـ.

رأيت الدنيا؟

قال: مثل رجل بُني له بابان، فدخلَ من واحد وخرجَ من الآخر.

وقد قيل: دخل من أحدهما، وجلس هُنَيْئَةً، ثم خرج من الباب الآخر!

● عاش أكثم بن صيفي (٣٣٠) عاماً، وأدرك الإسلام. وعندما بلغ مائتي سنة جمع بنيه لينصحهم، فمما قال:

- إن قولَ الحقِّ لم يدعُ صديقاً!
- البطرُ عند الرخاء حُمق.
- لا تغضبوا من اليسير، فإنه يجني الكثير.
- لا تُجيبوا فيما لا تُسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه.
- تناؤوا في الديار ولا تباغضوا.
- المكثائرُ كحاطب الليل، ومن أكثرَ أسقط.
- لا يغلبنكم جمالُ النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مَدْرَجَةٌ للشرف.

● وقال أيضاً:

- إذا أفزع الفؤاد ذهب الرقاد.
- أعوذ بالله أن يرميني امرؤ بدائه.
- حافظ على الصديق ولو في الحريق.
- ليس بيسير تقويمُ العسير.
- غثك خيرٌ من سمين غيرك.
- لا جماعة لمن اختلف.
- من استرعى الذئب ظلم.
- لا ترجعنَّ عن خير هممتَ به.
- لا دواء لمن لا حياء له.
- اذلل للحقِّ تعزز.

● وكتب جهينة ومزينة وأسلم وخزاعة إليه أن أحدث إلينا
أمراً نأخذ به.. فمما كتبه لهم:

- لا تفرّقوا في القبائل، فإن الغريب بكلِّ مكان مظلوم.
- من يتتبع كلَّ عورة يجدها.
- من أساء سمعاً أساء إجابة.
- وكتب إلى ملك هجر أو نجران:
- إياك والتبذير، فإن التبذير مفتاح البؤس.
- من التواني والعجز نتجت الهلكة.
- حبُّ المديح رأسُ الضياع.

- أقبح أعمال المقتدرين الانتقام.

● وقال أيضاً:

- الصديق من الصدق سُمي.
- التقرب من الناس مجلبةٌ لجلس السوء، فكن من الناس بين المنقبض والمسترسل.
- أفضلُ القرناء المرأةُ الصالحة.
- من أتى مكروهاً إلى أحد فبنفسه بدأ.
- من اغترَّ بقوّته فإن الأمرَ يأتيه من فوقه.
- من سوء الأدب كثرةُ العتاب.
- من اغترَّ بقوّته وهن.
- لا مروءة لغاشّ.
- لا تثقنَّ بمن لم تختبره.

● وعاش دويد بن نهد (٤٥٦) سنة! وجمع بنيه عند الموت فقال: أوصيكم بالناس شراً! كلّموهم نَزْراً، واطعنوهم شزراً، ولا تقبلوا لهم عذراً.. ما احتجتم إليه فصونوه، وما استغنيتم عنه فأفسدوه على من سواكم، فإن غشّ الناس يدعو إلى سوء الظن، وسوء الظن يدعو إلى الاحتراس!

● وعاش دريد بن الصمّة الجشمي نحواً من مائتي سنة، حتى سقط حاجباه على عينيه، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وقُتل يوم حنين كافراً.

جمع قومه فنصحهم.. ومما قال:

- لا تحقرنَّ شراً فإنَّ قليله كثير.

- ليكن لكم سيّد، فإنه لا بدّ لكل قوم من شريف.

- ادفنوا الشرَّ يمت.

- لا تنكحوا دينياً من غيركم فإنه عار عليكم.

● وعاش ابن حُمّة الدوسي (٣٩٠) سنة فقال:

كبرتُ وطال العمرُ حتى كأنني سليمُ أفاعٍ ليله غيرُ مُودعٍ
وأصبحثُ مثلَ النَّسر طارت فراخه إذا رام تطياراً يقلن له: فَع
أخبّر أخبارَ القرون التي مضت ولا بدّ يوماً أن يُطارَ بمصرعي

● ومن المعدودين في المعمرين من قضاة: زهير بن جناب

ابن هبل. عاش (٤٢٠) سنة، وأوقع مائتي وقعة. وكان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه. ويقال: كانت فيه عشرُ خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيّد قومه، وخطيبهم، وشاعرهم، وأوفدهم إلى الملوك، وطبيبهم - والطبُّ في ذلك

الزمان شرف - وحازي قومه (كاهنهم) وفارسهم، وله البيت
فيهم، والعددُ منهم. وقد عاش حتى هرم وذهب عقله.. وأقسم
ألا يذوق إلا الخمر حتى يموت، فمكث ثمانية أيام ثم مات!

● وعاش عبدالله بن سُبَيْع الحميري (١٥٠) سنة. وقال في

ذلك:

أراني كلما هَرَمْتُ يوماً أتى من بعده يوم جديدُ
يعودُ شبابهُ في كلِّ فجرٍ ويأبى لي شبابي، لا يعودُ

● وعاش أوس بن حارثة بن لأم (٢٢٠) عاماً، ثم قُتل في

ولاية الحجاج مع ابن أبي بكر، فقال وهو يرتجزُ قبل أن يُقتل:

قد عشتُ بين المشركين أَعْصُرَا ثُمَّتْ أدركتُ النبيَّ المُنْذِرَا
وبعده صِدِّيقَه وَعُمَرَا ويوم مهران ويوم تَسْتُرَا
والجمعَ في صَمْتِهِم والنَّهْرَا هيهات ما أطول هذا عُمْرَا

● وعاش شرية بن عبد الجعفي (٣٠٠) سنة وأدرك

الإسلام، وقد قيل له - ومعه ابنٌ له قد خرف - : يا شربة ما
بال ابنك قر خرفَ وبك بقية؟

قال: أما والله ما تزوجتُ أمه حتى أتت عليَّ سبعون سنة،

وتزوجتها ستيرةً عفيفةً، إن رضيتُ رأيتُ ما تقرُّ به عيني، وإن
سخطتُ تأتت لي حتى أرضى. وإن ابني هذا تزوج امرأة فاحشةً

بذيئة، إن رأى ما تقرُّ به عينه تعرَّضت له حتى يسخط، وإن
سخطاً لم تدعه حتى يهلك!

● وعاش جعفر بن قرط العامري (٣٠٠) سنة، وأدرك
الإسلام وقال:

لم يبقَ يا خذلكُ من لِداتي أبو بنين لا ولا بناتِ
من مسقطِ الشمسِ إلى الفراتِ إلا يُعدُّ في الأمواتِ

● وعاش عامر بن الظَّرب العدواني (٢٠٠) سنة وكان
حكماً للعرب. وهو الذي يقال له "ذو الأصبع"، لأنه كانت له
في رجله إصبع زائدة. ولما كبر تخوَّف قومه أن يموت، فاجتمعوا
إليه وقالوا: يا سيدنا وشريفنا أوصنا... ومما أوصاهم به:

- من دفع الشرَّ بالشرِّ رجع الشرُّ عليه.
- من سبقكم إلى خيرٍ فاتبعوا أثره تجدوا فضلاً.
- إني رأيتُ للخير طرقاتاً فسلكتها، ورأيتُ للشرِّ طرقاتاً
فاجتنبتها. وإني والله ما كنتُ حكيماً حتى تتبعثُ
الحكماء، وما كنتُ سيدكم حتى تعبدتُ لكم.
- إن الموعدة لا تنفع إلا عاقلاً.

● وعندما زوَّج ابنته قال لأُمِّها: يا هذه، مري ابنتك فلا
تنزلنَّ فلاةً إلا ومعها ماء، وأن تكثرت استعمال الماء، فلا طيب
أطيب منه، وإن الماء جعل للأعلى جلاءً، وللأسفل نقاء...
● ومما قاله: ما رأيتُ شيئاً قطُّ إلا سمعتُ حسنه ووجدتُ

مسّه، وما رأيت شيئاً خلّق نفسه، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً، وما رأيت جائياً إلا ذاهباً، ولا غانماً إلا خائباً، ولا نعمة إلا ومعها بؤس. ولو كان يميّت الناس الداء لأعاشهم الداء، فهل لكم في العلم العليم؟!

قيل: وما هو؟ فقد قلت فأصبت، وأخبرت فصدقت!
فقال: أرى أموراً شتى، وشيئاً شيئاً حتى. قالوا: وما حتى؟
قالوا: حتى يرجع الميت حياً، ويعود لا شيء شيئاً؛ ولذلك خلقت الأرض والسماء!
فتولّوا عنه ذاهبين. فقال: ويل أمّها نصيحة لو كان لها من يقبلها!

● وعاش فالج بن خلاوة بن سبيع الغطفاني (١٨٠) سنة. وكان فارساً عريضاً، يعرض فيما ليس يعنيه! وهو الذي تضرب العرب به المثل، يقال للرجل إذا عرض فيا لا يعنيه: أنت من هذا الأمر مثل فالج بن خلاوة!

● وعاش جرّوة بن يزيد الطائي حوالي مائة عام، وكان ينزل بلخ خراسان، نزلها أيم عبدالله بن عامر. وقُتل مع سورة ابن أبحر وهو أشلُّ اليد اليسرى، ضربت يده يوم زحف الترك إلى الأحنف بن قيس... وكان يُكثر الغزو وهو شيخ كبير، وكان سخّاء لا يُمسك شيئاً، شجاعاً.. وهو الذي يقول:

قليلُ الهِمِّ يَزْهَدُ فِي الْمَعَالِي وَيَرْضَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ
فَهَمِّي غَيْرِ هَمِّكَ فَاتْرَكِينِي وَعَزُّوِي إِنَّهُ هُمُّ الْكِرَامِ

وهو الذي يقول لامرأته:

وقالت قد كبرت وقلتُ حقاً كبرتُ فكفكفي ودعي عتابي
عتابك كلَّ يومٍ لي عذابٌ ومثلي لا يَقْرُ على العذابِ
فإن لم تصبري وكرهتِ قربي فدونك ما أردتِ من اجتنابي
سأغزو الترك في نفرِ كرامٍ سراعٍ حين نُدعى للضرابِ
يرون الموتَ أفضلَ من حياةٍ تصيرها الدهورُ إلى تبابِ
وفي الأيامِ لي عظةٌ وناهٍ وما أرضى معاتبةَ الكعابِ

● وعاش بحر بن الحارث بن امرئ القيس الكلبي (١٥٠)

سنة وأدرك الإسلام فلم يُسلم، وقال:

من عاش خمسينَ حولاً بعدها مائةٌ من السنينَ وأضحى بعدُ ينتظرُ
وصار في البيتِ مثلَ الحلسِ مُطْرَحاً لا يُستشارُ ولا يُعطى ولا يَدْرُ
مَلَّ المعاشَ ومَلَّ الأقربون له طولَ الحياةِ وشرُّ العيشةِ الكَدْرُ

● وعاش عبّاد بن شداد اليربوعي (١٨٠) سنة، وقال في

ذلك:

يا بؤسَ للشيخِ عبّاد بن شدّاد أضحى رهينةً بيتٍ بين أعوادِ
وتَهزُّ العرسُ مني إن رأث جسدي أحذبَ لم تَبْق منه غيرَ أجلاذِ

● وعاش لبيد بن ربيعة (١٢٠) سنة، وأدرك الإسلام فأسلم. وحين مضت له سبعٌ وسبعون قال:

نفسى تشكى إلى الموتِ مجهشةً وقد حملتُك سبعاً بعد سبعينا
إن تُحدثني أملاً يا نفسُ كاذبةً ففي الثلاثِ وفاءٌ للثمانين

فلما بلغ مائةً وعشرًا قال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكاملٍ عشرٍ بعدها عُمرٌ

لما بلغ عشرين ومائة قال:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤالِ هذا الناسِ كيف لبيدُ

● وعاش النّمر بن تولب العكلي (٢٠٠) سنة حتى أنكر بعضَ عقله، فقال في ذلك:

لعمري لقد أنكرتُ نفسي ورايبي مع الشيبِ أبدالي الذي أتبدلُ
وتسميتي شيخاً وقد كان قبله لي اسمٌ فلا أدعى به وهو أوّلُ

● وعاش زهير بن مَرخة (١٧٠) سنة، وقال في ذلك:

كبرتُ وأمست عظامي رمادا وما تأملُ العينُ إلا رقادا
أقولُ لأهلي لا تظعنوا وهاتوا فراشاً وطيباً وزادا

● وعاش ثوب بن ثلدة الأسدي (٣٢٠) سنة، وأدرك

معاوية بن أبي سفيان، فدخل عليه فقال: ما أدركتَ وكم
عمرك؟

قال: لا أدري، إلا أني أدركتُ بني والبة ثلاث مرات.
(يريد: أفنيت ثلاثة قرون).

قال: فكيف بصرک؟

قال: أحد ما كان، كنتُ أرى الشخص واحداً فأنا أراه
اليوم شخصين!

قال: فكيف مشيك؟

قال: أمشى ما كنتُ قط، كنتُ أمشي تعداً، فأنا اليوم
أهرول هرولة!

● وعاش أمية بن الأسكر دهنراً طويلاً، وأدرك الإسلام
فأسلم، وأسلم ابنٌ له يقال له "كلاب"، وبقي هو في المدينة
وخرج ابنه في بعثٍ إلى العراق، ثم اشتاق إلى ابنه فقال شعراً
مؤثراً، فلما بلغ عمر بن الخطاب كبره وشوقه كتب إلى سعد بن
أبي وقاص بالكوفة يأمره بإرسال ابنه "كلاب". فلما قدم عليه
قال عمر لأمية: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: النظرُ إلى ابني
كلاب.

فدعاه، فلما رآه قام إليه، فاعتنقه وبكى بكاءً شديداً،

وبكى عمر رقةً لهما، ثم قال: يا كلاب، الزم أباك وأمك ولا تؤثرنَّ عليهما شيئاً ما بقيا.

● وعاش قسُّ بن ساعدة (٣٨٠) سنة، وسمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم حكمته. وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وأول من توكأ على عصا، وأول من قال: "أما بعد". وكان من حكماء العرب. وهو أول من كتب: "من فلان إلى فلان". ومما قاله بسوق عكاظ:

إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً. نجومٌ تغور، وبحارٌ تمور ولا تغور، وسقفٌ مرفوع، ومهادٌ موضوع. أقسم قسُّ قسماً بالله وما أثم، لتطلُبُنَّ من الأمر شحطاً، ولئن كان بعضُ الأمر رضاً إن لله في بعضه سخطاً، وما بهذا لعِبا، وإن من وراء هذا عجبا. أقسم قسُّ قسماً بالله وما أثم، إن لله ديناً هو أرضى من دين نحن عليه. ما بالُ الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أنعموا فأقاموا، أو تُركوا فناموا؟

● وعاش هاجر بن عبد العزّي الخزاعي دهرأ (١٧٠) عاماً، وقال:

وأصيحتُ مثل الفرخ لا أنا ميّتٌ فأسلَى ولا حيٌّ فأصدير لي أمرا
وقد كنتُ دهرأً أهزُمُ الجيشَ واحداً وأعطي فلا منّا عطائي ولا نَزرا

● وعاش كعب بن رداة النخعي (٣٠٠) سنة، وقال:

لقد ملّني الأدنى وأبغضَ رؤيتي وأنبأني أن لا يحلّ كلامي
على راحتين مرةً وعلى العصا أنوءُ ثلاثاً بعدهنّ قيامي
فيا ليتني قد سخّثُ في الأرض قامَةً وليت طعامي كان فيه حمّامي

● وعاش حارثة بن عبيد الكلبي دهرًا (٥٠٠) سنة! وأدرك
الإسلام. وقد حُجِبَ دهرًا طويلًا. قال المؤلف: وكذا كانت
العرب تفعل بالكبير منهم تحجبه (خوفًا من أن تبدر منه بادرة
كلام فيؤخذُ عليهم بذلك).

ومما قاله:

ألا ليتني أنضيتُ عمري وهل يُجدي عليّ اليومَ ليتي؟
حتتني حانياتُ الدهر حتى بقيتُ رذيلةً في فعرِ بيتي
تأذى بي الأقارب إذ رأوني بقيتُ وأين مني اليوم موتي

● وقال معاوية: إني لأحبُّ أن ألقى رجلاً قد أتت عليه
سنٌّ وقد رأى الناسَ يخبرنا عمّا رأى. فقال بعضُ جلسائه: ذاك
رجلٌ بحضرموت.

فأرسل إليه، فأتي به، فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد. قال:
ابن من؟ قال: ابن أمد. قال: ما أتى عليك من السنّ؟ قال:
ستون وثلاثمائة سنة.

قال: فأخبرنا عمّا رأيت من الأزمان، أين زماننا من ذاك؟

قال: يوم شبيةً بيوم، وليلةً شبيهةً بليلة، يموتُ ميتٌ ويولد مولود، فلولا من يموت لم تسعهم الأرض، ولولا من يولد لم يبقَ أحد على وجه الأرض.

قال: ما كان صناعتك؟

قال: كنت رجلاً تاجراً.

قال: فيما بلغت تجارتك؟

قال: كنت لا أشتري عيباً، ولا أردُّ رجحاً.

قال معاوية: سلني.

قال: أسألك أن تدخلني الجنة!

قال: ليس ذاك بيدي ولا أقدرُ عليه.

قال: فأسألك أن تردَّ عليَّ شبابي.

قال: ليس ذاك بيدي ولا أقدر عليه.

قال: لا أرى بيدك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة، فردّني من حيث جئت بي.

قال: أما هذه فنعم.

ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون!

● قالوا: وعاش ذو الأصبع العدواني ثلاثمائة سنة، وقال:

أصبحْتُ شيخاً أرى الشخصين أربعةً والشخصَ شخصين لما مسَّني الكِبَرُ
لا أسمعُ الصوتَ حتى أستديرَ له ليلاً، وإنْ هو ناغاني به القمُرُ
وإنما قال "ليلاً" لأن الأصوات هادئة، فإذا لم يسمع بالليل
والأصوات ساكنة، كان من أن يسمعَ بالنهار مع ضجَّة الناس
ولغظهم أبعد!

* * *

وتحقيق محمد أحمد دمج. — بيروت: مؤسسة بحسون: دار المنال، ١٤١٥ هـ.

للشيزري

● قال بزجمهر: ما أورثت الآباءُ أبناءها شيئاً أفضلَ من الأدب، لأنها إذا أورثتها الأدب والعلم اكتسبت بها الأموال ونالت بهما أعلى المراتب، وإذا أورثتها الأموال أضاعتها وبقيت عدماً من الأدب.

● قال نصر بن سيار: كلُّ شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة، فإنها تبدو كبيرةً ثم تصغر.

ويعرف موضوع الكتاب من عنوانه، فهو في "سياسة الملوك"، ألفه صاحبه للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وقد حشد فيه ما طاب وأفاد مما يتعلق بالسياسة الشرعية، والإدارة الإسلامية، والعسكرية والجنديّة، إضافة إلى شواهد عديدة، وحكايات وأخبار طريفة ونادرة، وقصص مفيدة رائعة. وعلى الرغم من عرض عدة كتب من هذا النوع في هذه السلسلة، إلا أن الملاحظ أن في كل كتاب إضافات وأخبار وحكايات جديدة لا تتوافر في مثيلاتها، وهذا لأن كل مصنف يحاول أن يجمع، وينقّب عن الجديد المفيد، فيضيف ما حدث مما استجد إلى ما كان، فيكون غير مكرر، إلا ما كان ضرورياً لا يستغني عنه السلطان، ويكون لائقاً بمجالسه، يستحوذ على سماع جلسائه وقدمائه، ويضيف معلومات وخبرات جديدة إلى هيئته الاستشارية. والمؤلف هو جلال الدين، أبو النجيب، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري، قاضي طبريا، شافعي، نسبته إلى قلعة شيزر (قرب المعرة). سكن حلب. له كتب عرا ما ذكر، منها: "نهاية الرتبة في طلب الحسبة"، و"خلاصة الكلام في تأويل الأحلام". ت ٥٩٠هـ.

وسبق طبع الكتاب المعروف في القاهرة: مطبعة الظاهر، ١٣٢٦هـ، ١٤٠ص. كما صدر بتحقيق آخر، حققه علي عبد الله الموسى. - الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ، ٧٩٩ص.

- وكلُّ شيءٍ يرخص إذا كثُر إلا الأدب، فإنه إذا كثُر غلا.
- قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: من عمل بغير علم كان ما يهدمُ أكثر مما يبني.
 - أوصى ملكٌ من ملوك اليمن وليَّ عهده فقال: اتَّقِ مَنْ فَوْقَكَ يَتَّقِكَ مَنْ تَحْتِكَ، وكَمَا تَحُبُّ أَنْ يُفَعَلَ بِكَ فَافْعَلْ بِرَعِيَّتِكَ...
 - [أمسك نفسك عن الهوى، وإلا حجتَ عنها صواب الرأي، ووقعت فيما لا يُحمد عقباه].
- فمن ذلك أن الظبي مع شدَّة نفوره إذا سمع صوت أواني النقر مع تواتر النقراتِ ألهاه سماعُ ذلك عما يُراد به، فإلبث في مكانه حتى يأتيه الصياد فيقتنصه!
- والفيلُ مع عظم جسمه وشدَّة قوته، يلهيه لينُ اللمس ويذهله عن نفسه، حتى تُنصبَ له المصائد، فيُصادُ ويُذَلُّ ويُركبُ عنقه!
- والفَرَّاشُ الذي يستكينُ من حرِّ الشمس إذا رأى ضوء النار أعجبه نورها وحسنُ منظرها، فيلهيه ذلك حتى يُلقي نفسه فيها فتحرقه!
- وذبابُ الوردِ المتتبعُ لطيب الروائح، يطلبُ ما يقطرُ من أصلِ أذنِ الفيل عند هيجانه، فإنه يكون في طلب رائحة

المسك، ولا يهوله تحريكُ أذن الفيل، بل يلهيه شمُّ ذلك القاطر
عن الاحتراس، حتى يلج في أصل أذنه، فتقع عليه ضربة الأذن
فتقتله!

والسّمكُ في البحر يسلبه ذوق الطُّعم ويلهيه ويذهله عن
القنص الذي فيه اللحم، فيبتلعه، فيكون فيه حتفه!

● سئل رجلٌ من بني أمية عن سبب زوال دولتهم، فقال
مثلما قال بزجمهر: شغلّتنا لذاتنا عن مهمّاتنا، وقلّ عطاؤنا
لجندنا فقلّ ناصرنا، وجُرنا على أهل خراجنا فدعوا علينا وطلبوا
الراحة منا، وأشدُّ من ذلك أنّا استعملنا صغارَ العمال على
كبار العمال، فأل ملكنا إلى ما آل.

● قال سفيان الثوري للخليفة المنصور: إني لأعرفُ رجلاً
إن صلحَ صلحت الأمة.

قال: ومن هو؟

قال: أنت!

● قال بعض الحكماء: أجلُّ التّوال ما كان قبل السؤال.

● قال بعض العلماء: خيرُ الملوك من أشربَ قلوبَ رعيته
محبّةً كما أشعرها هيبةً، ولن ينال ذلك منها حتى يكون عاملاً
بخمس خصال:

إكرام شريفها، ورحمة ضعيفها، وإغاثة لهيفها، وكفُّ عدوان
أعاديها، وتأمين السبيل لرائحتها وغاديتها.
ومتى أعدمَ الرعية شيئاً من ذلك فقد أحقدتها بقدر ما
أفقدتها.

● حُكي أن المأمون لما ظفر بعمه إبراهيم بن المهدي^(١)،
أحضرَ عنده جماعة من خواصِّه ثم قال: عليّ به. فأدخل إليه
وهو يججلُّ في قيوده، فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال:
لا سلام الله عليك ولا رعاك. فقال إبراهيم: على رسلك يا أمير
المؤمنين، ثم أنشد يقول:

أنا المذنب الخطّاء والعفوّ واسعٌ ولو لم يكن ذنبٌ لما عُرفَ العفوّ
سكرتُ فأبدتُ مني الكأسُ بعضَ ما كرهتُ وما إن يستوي السُّكرُ والصحوّ
فإن تعفُ عني تُلفَ حظوي واسعاً وإلا تداركني فقد قَصُرَ الخطوّ

ثم قال: يا أمير المؤمنين إنك وليُّ تأري، وإن القدرة تُذهب
الحفيظة، وإني أصبحتُ فوق كلِّ ذي ذنب، كما أصبح كلُّ
ذي عفو دونك، فإن تُعاقب فبحقِّك، وإن تعفُ فبفضلك.

قال: فأطرق المأمون ثم رفع رأسه وقال: إن هذين أشارا

(١) وكان قد اختلف مع المأمون وأساء إليه قبل توليه الخلافة، كما أوصى بولاية
العهد لعلي الرضا...

عليّ بقتلك - يعني العباسَ والمعتصم - فقال: إنهما أشارا بما يشيرُ به مثلهما على مثلك إذا كان مني الذي كان، فقال المأمون: يا ثمامة إن من الكلام كلاماً كالذُّرِّ في ثغورِ الغواني وإن هذا الكلام منه. يا غلام حلِّ القيودَ عن عمي!

● يُحكى أن الخليفة هارون الرشيد حبسَ أبا العتاهية، وأقسم أن لا يُخرجه من حبسه. فبقي في السجن مدة طويلة. فلما ضاق به الأمر كتبَ على حائط الحبس هذه الأبيات:

أما والله إن الظلمَ شؤمٌ ولكنَّ المسيءَ هو الظلومُ
تنامٌ ولم تنمَ عنك المنايا تنبُّةً للمنيعة يا نؤومُ
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمعُ الخصومُ

وأخبر الرشيد بذلك، فبكى، وأحضرَ أبا العتاهية، واستحلَّه، ووهبه ألف دينار، وأطلقه، وكفَّر عن يمينه.

● حُكي أن بهرام - ملكَ العجم - ولىَّ قائداً من قواده تخوم أرضه مما يلي أرضَ الترك. فبلغه عنه أنه يكتر من غيبة خاقان، فقال: هذا دليلُ عجزه وضعفه عن مقاومته. ثم عزله وولىَّ غيره.

● اجتمع أربعةُ ملوك من الروم عند حكيم من حكمائهم،

فقالوا: أوصنا أيها الحكيم وصيةً ننتفعُ بها فيما صار إلينا من أمر الملك.

فقال: من استطاع منكم أن يمنع نفسه من أربعة أشياء، فهو حقيق أن لا ينزلَ به مكروهه، وهي: العجلة، واللجاجة، والعجب، والتواني.

فثمرَةُ العجلة الندامة.

وثمرَةُ اللجاجة الحيرة.

وثمرَةُ العجب البغضة.

وثمرَةُ التواني الذلة.

● كان يُقال: العجلةُ مكروهةٌ قبيحةٌ إلا في ثلاثة أشياء: في اصطناع المعروف إذا أمكن، وفي تزويج البكر إذا حُطبت، وفي دفن الميت إذا مات.

● كانت العرب تقول: المشايخُ أشجار الوقار، ومنابع الأخبار، لا يطيشُ لهم فهم، ولا يسقطُ لهم وهم.

فقد حُكي أن ملكاً من ملوك الفرس جلسَ على سريرهِ في يوم نوروز، وجعل الناس يهدونَ له أصناف الهدايا، فدخل عليه الموبذ ومعه طبقٌ مغطى، فأهداه إليه، فلما كشف عنه رأى فيه

فحمتين! فقال الملك: ما هذا؟ فقال: أيها الملك، أحدهما باز، والآخر دُرّاجة، وإني رأيتُ الباز أُرسِلَ خلف الدُرّاجة فلم يزل يتبعها وهي تطيرُ بين يديه إلى أن أتيا أجمّة قد وقعت فيها نار، فحمل الجزعُ الدُرّاجة على اقتحامها، وحمل البازُ الحرصُ على اتباعها فاحترقا جميعاً، فرأيتُ أن خير الهدايا هذه الموعظة، فأهديتها لك. فاجتنب أيها الملك الإفراط في الجزع والحرص، فإنهما سائقان إلى الهلكة.

فقال الملك: ما أُهديت إليّ هدية أنفع من هذه الهدية!

● قال الفقيه أبو طاهر إبراهيم بن الحسين بن الحصين الحموي: كنت عند الملك العادل محمود بن زنكي في دار العدل بدمشق، وقد أخرج جريدة خراج أملاك أهل الشام، فجعل ينظر فيها، فلما انتهى إلى ذكر خراج معرّة النعمان قال: إني قد عزمْتُ على انتزاع أملاك أهل المعرّة من أيديهم، فقد رفع إليّ أهل الخبر من الثقات أن جميع أهل المعرّة يتقارضون الشهادة، فيشهد أحدهم لصاحبه في دعوى ملك حتى يشهد ذلك معه في دعوى أخرى، وأن الملك الذي في أيديهم إنما حصل لهم بهذه الطريقة.

① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊥ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠

ثم استدارَ إلى القبلة وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوبُ إليك
مما عزمْتُ عليه.

ثم تناول الكتاب، فمزَّقه، وجعلَ يستغفِرُ الله تعالى جميعَ
ذلك اليوم.

● الطعامُ المسمومُ يُستدلُّ عليه من وجهين:

أحدهما بالنار، فإن الطعامَ المسمومَ إذا وضعتَ منه شيئاً في
النار لم يصعدْ دخانه مستطيلاً إلى الهواء، بل يدورُ على ذلك
الطعام، ويُسمَعُ له صوتُ شرارٍ، وأيضاً يكون طرفُ ما ينبعث
من النار كأنه عنقُ الطاووس. وأيضاً ربما ظهر منه - إذا احترق
- رائحةٌ متنتة.

والوجه الثاني: أن يُعرض الطعامُ على الطير والدواب التي
هي معدةٌ في دار الملك لمعرفة الطعام المسموم، وأما الطيرُ فمنها
الغراب، فإنه إذا أكل من الطعام المسموم انكسرَ صوته، ومنها
الصُّرد والقفعاء، فإنهما إذا شمَّتا رائحةَ الطعام المسموم صوتتا
بأعلى صوتيهما، ومنها طائرٌ من جنس الإوز الصيني يقال له
الهيث، فإنه إذا رأى الطعامَ المسموم أو شمَّ رائحته هربَ منه

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

وجعل يعثر في مشيته، ومنها الكركي، فإنه إذا شم رائحة الطعام المسموم أو أكله فإنه يدور حتى يظن أنه مغشي عليه، ومنها الفواخت والعقق، فإنهما يموتان بأكل الطعام المسموم، وكذلك إذا شم رائحته، ومنها الطاووس، فإنه إذا رأى الطعام المسموم تشوّق إليه وطفق يأكله ويهواه، ومنها طائر من طيور الماء أحمر العينين يقال له حنون، فإنه إذا نظر إلى الطعام المسموم أو شم رائحته ذهب حمرة عينيه، ومنها طائر من طيور الماء أيضاً يقال له حوصل، فإنه إذا رأى الطعام المسموم خرّ إلى الأرض مغشياً عليه، ومنها الذباب، إذا سقط على الطعام المسموم مات من ساعته.

وأما الدواب المعدّة لذلك فمنها السنور، فإنه إذا أكل من الطعام المسموم أو شم رائحته نفر من موضعه ولم يستقرّ فيه، ومنها القدر، فإنه إذا قُدّم إليه الطعام المسموم أيضاً لم يتمالك حتى يهرب منه ويصعد إلى الأشجار والحيطان، فهذا كله يستدلُّ به على الطعام المسموم.

فينبغي للخادم المقدّم للطعام أن يمتحنه بالنار ويعرضه على الطير والدواب التي ذكرناها قبل إحضاره بين يدي الملك، وإذا كان الطباخ بصيراً حاذقاً عرف السمّ إذا طُرح في القدر بالأمارات الدالة عليه، فإن قدر الأرز إذا وُضع فيها السمّ أيضاً أبطأ نضجها، وإذا أنزلت عن النار انعقد فيها سريعاً وصلب

حَبُّهَا، ويفور من القدر بخارٌ كلون عُنق الطاووس، أما قدور
المرق إذا وُضع فيها السُّمُّ فلا تلبثُ إلا قليلاً حتى تنشفَ المرقّة
منها ويبقى اللحم يابساً لا مرقّة عليه، ومهما بقي منه تغيرَ لونه
وكَدُر.

وأما دليلُ معرفة الشراب المسموم، فإن كلَّ شرابٍ حلو إذا
طُرح فيه السُّمُّ يظهر فيه خطٌّ مستطيل أسود، ويظهر في اللبن
والحليب أيضاً خطٌّ مستطيل كلون النحاس، ويظهرُ في المخيض
خطوطٌ من الخضرة والصفرة والسمرة، ويظهر في ماء العسل
خطٌّ كلون شعاع الشمس، ويظهر في الماء والنبيد خطٌّ أسود.

وأما معرفة الفواكه المسمومة، فإن الذي لم يدرك منها يظهرُ
للعين كأنه مدرك، والذي قد أدرك منها يظهرُ كأنه لم يدرك،
لتغيرها وانقباضها، وكلُّ رطبٍ منها تراه كأنه مهترى، وكلُّ
يابس تراه منقبضاً متسيحاً، وجميعُ الفواكه يذهبُ صفاءً لوُحها
ويعلوها غبرةٌ وتصيرُ كدرة، واللّين منها يصلب، والصلبُ منها
يلين.

والحمدُ لله ربِّ العالمين